كتاب

العالم الإسلامي

تأليف

بشاشة أفندي

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة أمين هندية

بمطبعة هندية بشارع المهدى بالأزبكية

obeikandl.com

English World

العالم الانكليزي

المقدمه

« لكل زمان دولة ورجال » فالزمان الآن زمان الدولة الانكليزية تشخص اليها الانظار وتتجه لمعرفة احوالها الافكار وتشتغل باموره صحف الاخبار حتى اصبحت تسير سياسة العالم في اكثر الامصار والاقطار.

كانت اذكانت ممالك العالم القديم بين صعود وهبوط في مكان من الارض سحيق هائمة في ظلمات الجهالة فما انعشتها روح الوجود كما انعشت غيرها من قبلها حتى اتكأت على عصا الاقدار وانبعثت ترتقي سلم الحضارة بجليل الاعمال فمضت قرون وتصرمت سنون ودارت ادوار واذا بها قد انتهت الى السدة العليا فاستعبدت واستعمرت ودهت واخضعت حتى صار ربع العالم في قبضة سلطانها وصارت الدول العظيمة تخشاها وترهب بأسها تنظر اليها شزراً وتتميز منها غيظاً وتتساءل كيف تم لها ما كان فمن قائل ان الزمان قد حاد عن محجة الصواب ودارت احواله على غير محورها الاصلي فرضي عنها تمام الرضا وهام بها حباً ووجدا.

ومن قائلين: إنّا ماسمعنا ان مملكة امتدت وانتفخت مثلها بالغلبة والعظمة حتى هوت من اعالي مجدها ولا ينبئك مثل ما حل بالرومان وغيرهم من قبلها. يتكهنون عنها بمثل هذه الاقاويل وهي بما عليه من الرسوخ امنع من الاهرام تمر الاجيال بعضها وراء بعض والانكليز ناظرون من آفاق جزيرتهم انقراض الدول وقيامها في السلم وفي الحرب وما يحدث لها من النقص والتغيير وهم

على عهدهم الاول لم يحولوا عن قانونهم القديم من عهد الزعيم كرومويل ولم يزيدوا بمرور الايام الا رسوخاً في حقوقهم المشروعة واحتراساً على الاستقلال واطلاق الحرية قولا وفعلا

ولما كان الشرقيون عموماً والمصريون خصوصاً لايلم معظمهم بتاريخ هذه الدولة العظيمة ولا يعرفون من شؤونها وسر ارتقائها غير ما يتصفحونه في صحف الاخبار او بعض التواريخ الافرنجية رأيت ان انصحهم بهذا المؤلف الذي تحريت فيه كل ماتهم معرفته من تاريخها ونظامها الى آخر ما أدّى بها الى مجدها الحاضر . وقد رغّبني في وضعه انه لم يوضع لهذا العهد كتاب في العربية جامع لما فيه من فرائد الفوائد فشمرت عن ساعد العزيمة على تأليفه مستمداً من المؤلفات الجديدة المخصصة لقص انباء الانكليز كيف ابتدأوا همجاً ثم ترقوا الى ذرى المدنية وماتداول على دولتهم من ظروف الاحوال بين غلبة وانقلاب وانتقال الملك من سلالة الى اخرى . فابتدأت في تعريف جغرافية القوم على ماهي في عهدنا الحاضر ببيان موقع جزيرتهم من الارض وما يحدها من البحار ويخترقها من الانهار ويتخللها من الجبال والاوعار وما اختط فيها من المدن الفخيمة والعواصم المعصومة عن شبيه في العظمة والضخامة وما في تربتها من المعادن ونحو ذلك من المباحث المختلفة التي يهم الوقوف عليها

ثم انتقلت الى تاريخ المملكة القديم والحديث فافردت له فصلا مخصوصاً ذكرت فيه مايقال عن اصل البريطانيين القدماء وعن قديم عوائدهم وديانتهم وسيادة الرومانيين عليهم ثم انتقال الحكم الى السكسونيين فالدانماركيين فالنورمانديين فالدول التي تناوبت الحكم فيما بعد مع ما طرأ من الحوادث

التي نشأ عنها بعض الانقلاب في نظام المملكة وكيف تفرقت ثم اجتمعت دولة واحدة كما هي اليوم تحت لواء الملكة فيكتوريا الملقبة بملكة المملكة المتحدة وامبراطورة الهند بحثت بفصل مخصوص على ترجمة حياة هذه الملكة السعيدة المغبوطة المكرمة بين الخلائق وعما بلغ اليه الانكليز في مدة حكمها البالغ قدره نيفاً وستين عاماً من الظفر والعلو الشاهق في الحضارة والعمران

ثم افضت في ذكر المستعمرات وشرح احوالها فهي من ملحقات الدولة تضاف اليها وجديرة والحالة هذه بالذكر والتعريف اذ كانت في الواقع جزءا من المملكة تستمد منه الثروة والنجدة فلم يك بدٌ من احاطة القارئ علما بهذه المستعمرات المنتشرة في انحاء الكرة الارضية المرفوع فوقها العلم الانكليزي بما لم تصل دولة من الدول قديماً وحديثاً الى مثل هذا الاتساع فابنت بوجيز القول عن تاريخ فتوح انكلترا هذه البلدان وذكر الحوادث التي حملتها على الاستعمار والاصول التي اتبعتها مع هذه المستعمرات وما اشتملت عليه من المدن والسكان ومن مصادر الثروة والنعيم التي جعلت هذه الدولة اغنى امة في الكون واوسع تجارة صادراً وواردا وجعل لها المقام الاول في الابحار والاتجار والادخار

ويلي هذه المطالب مباحث ادبية وفنية وانتقادات في الاخلاق افرزت لها فصلا مطولا لانه ما من امة في العالم اشتهرت بشديد تمسكها بعوائدها والمحافظة على القديم منها مثل الانكليز فعوائدهم عندهم بمثابة نظام الشريعة كل عادة منها تقوم مقام سنة مشروعة ولا ريب ان في دراسة هذا الفصل هداية لمعرفة حقائق القوم والحكم عليهم عدلا من غير رجم ظنون يرسلها

القول جزافاً

ثم بحثت في نظام الدولة السياسي لان الفضل في منعة هذه الدولة قوام دستورها الكافل لامورها فان تفاخر قوم فللانكليز ان يفتخروا بان كانوا مثالا ينسج عليه غيرهم من الدول اقتداء بهم فالشورى قائمة فيهم متأصلة في اخلاقهم لم تكد امة تفقه حقيقتها كما ادركوها واتبعوا منهجها القويم حتى لم يكن في الارض شعب يحافظ على دستوره ويحترم ملوكه ويحافظ ملوكه على ذلك الدستور كالانكليز

واستيفاء للبيان اتيت على ذكر لندن عاصمة البلاد مأوى كبار التجار وذوي السمة واليسار ومهد اصحاب جلائل الاعمال تلك العاصمة التي ارتقت الى العمران ارتقاء سريعاً غريباً حتى دعيت ببابل العصر الحديث فابنت بوصف موجز لما اشتملت عليه من الصروح الفاخرة والمباني السنية والآثار العظيمة التي تدهش العقول وتسحر الالباب وقد اتيت بهذا الفصل تمهيدا لذكر حركة التجارة التي ترزق انكلترا من فضلها فشرحت ماجاء عن عظمة هذه التجارة واوضحت النفع الذي يستمده الانكليز منها والاعمال العظيمة التي قاموا للآن بها والتي دون الوصول اليها شيب الرؤوس وبذل الاموال والنفوس حتى اوصلوا سلعهم الى حيث يستطاع الوصول والى حيث تثبت قدم الانسان

ولما كانت الصناعة الانكليزية من اكبر الاسباب في ارتقاء تجارتها لان خمس صادرات البلاد من مصنوعاتها جئت بفصل في بيان مستخرجاتها ومعاملها ومناجمها المنتشرة في اطراف المملكة تلك المناجم التي امتازت على غيرها وصار يفاخر بها الانكليز ويدعونها بالهند السوداء ويفضلونها على كل ما لهم من

الاملاك الواسعة والمستعمرات الكثيرة الشاسعة المنتشرة في انحاء الكرة الارضية

ثم تكلمت على الزراعة من حيث هي الآن وعن تربة الارض وما تنبت من المحصولات واتيت على بيان قوة انكلترا البحرية وعلى ماتبذله من النفقات الباهظة لانشاء البوارج العظيمة والسفن الحربية لتحفظ لها السيادة على البحر وتمتلك ناصيته الى الابد

ثم انتقلت الى ذكر ميزانية الدولة ودينها ومواد ثروتها مما تجمعه من الضرائب ومصادر صرفها وما يهم معرفته من هذا القبيل مما اوصلها الى درجة الثروة والشوكة والعمران الممتعة بها الآن

ثم خصصت فصلا بذكر الديانة واصول الدين المتبعة عندهم وما يأتونه من الاعمال الخيرية وما في بلادهم من المستشفيات والكنائس الكبيرة ثم جعلت فصلا آخر لذكر اللغة الانكليزية واللغات التي اشتقت منها ببيان عدد المتكلمين بها في انحاء الارض البالغ قدرهم نيف مائة وعشرين مليونا

واتماماً للفائدة اسهبت في ذكر آداب القوم وفي اصول التربية المتبعة عندهم وما ينفقونه على التعليم ووصفت مدارسهم ثم انتقلت الى شرح الصحافة في بلادهم وما بلغت اليه من الشأن الرفيع اهمية « واعتبارا » في اعين الخلق

وختمت الكتاب بترجمة مشاهير الانكليز في كل مطلب اذ كانوا أئمة لهم يتوارثون تقليدهم خلفاً عن سلف فآثارهم قائمة في العيان وفي الاذهان واحرى بكل امة طلبت العلا ان تحذو حذوهم ففي ذكر الاسلاف المجيدين حث على الفضل ونعم العمل

هذا ولم اسر فيما كتبت مع رياح الاغراض ولا ملت مع هوى الجهل فما اثبت حرفاً الا مما اتصل بي عن الابحاث الحقيقية حتى جاء الكتاب مرآة تتمثل في صفحها وجه الحقائق فاستطلعوا يا ايها الشرقيين حقائق ترقي هذه الامة ظواهرها وخفاياها واستجلوا دقائق هذه المواضيع فهو كما قدمت اول كتاب عربي صدر في العربية في هذا المعنى ما اقدمت على وضعه الا تنويرا للافكار وهداية للمستبصرين

وفي الختام اتوسل الى الله من صميم الفؤاد ان يرشدنا جميعاً الى سواء السبيل حتى نبلغ شأوَ القوم المحدث عنهم ونحرز ما احرزوه ونعلو علوهم همة وقدرا في حمى الحرية والاستقلال والله على كل شيء قدير وعليه الاتكال

لمؤلفه

بشاره كنعان

الباب الاول

« جغرافية الجزائر البريطانية الطبيعية واقسامها السياسية »

CHAPTER I.

PHYSICAL GEOGRAPHY OF THE BRITISH ISLES

تتألف انكلترا من جزيرة بريطانيا العظمى وجزيرة ايرلندا وما جاورهما من الجزائر الصغيرة وهي متوسطة بين العالمين القديم والحديث وواقعة في في المحيط الاطلانطيقي بالجهة الغربية من القارة الاوربية

وهي سابع مملكة من ممالك اوروبا في اتساع البقعة ولكن ليس في ارضها شبر واحد من الارض متروكا بلا فائدة او منفعة كلها محروثة عامرة وجبال غنية لم تكن تأوي منذ ٨٠٠ سنة اكثر من ثلاثة ملايين من النفوس وكان عدد سكانها منذ تبوأت اريكة الملك الملكة ڤيكتوريا نصف ماهو الآن فزادوا زيادة سريعة حتى اصبحت وهي تقل كما ظهر من آخر تعداد (٤٠ر١٨٨ر٩٢٧) نفسا والانكليز على ما احصى الجغرافيون يزويدون مليوني نفس في كل عام . وقد قدّر ان الميل المربع من ارضها يخصه ٣١٢ نفسا

وهي ثانية ممالك العالم بنسبة عدد السكان الى مساحة الارض .

ويقدر ان اول الممالك في هذا التناسب هي بلجيكا لان فيها ٥٣٦ نفسا في كل ميل مربع وتلي انجلترا المانيا وفيها ٢٧٣ نفسا . فايطاليا . فقرنسا . اما

لو احصى سكان قسم انجلترا بدون ايرلاندا واسكوتلاندا لكانت انجلترا اوفر سكاناً من كل البلاد

ولا ريب بان السبب في ازدحام سكانها هو ازدياد عدد المواليد فيها عن الوفيات فيما هو في غيرها فيوجد فيها على كل الف نفس

	مواليد	وفيات	الباقي
في انجلترا	٣٥	٢٠	١٥
« المانيا	٤٠	٢٨	١٢
« فرنسا	٢٦	٢٤	٢

فيتضح مما تقدم ان ارض هذه الجزائر تكاد تضيق باهلها ولذا يهاجر منهم في كل عام (٢٥٠٠٠٠) نفس يعمرون المستعمرات التي لا يمر عليها حين من الزمن حتى تصير ممالك قوية .

ويلي الانكليز في المهاجرة الالمانيون واقل اهل اوروبا مهاجرة هم الفرنساويون .

ويبلغ عدد التابعين لراية الانجليزية في انحاء المعمورة ثلثمائة وخمسين مليونا من النفوس واعظم اقسام المملكة الانكليزية جزيرة بريطانيا العظمى واقعة بين ٥٠ طولا و ٥٨ عرضاً و ٥٢ شرقاً و ٦ للطول الغربي وهي تتألف من قسم اسكوتلاندا في شمالها وقسم الغال او ويلس في الجنوب الغربي منها وقسم انكلترا في جنوبها الشرقي ويتألف كل قسم من هذه الاقسام من اقاليم عدة تعرف بالانكليزي باسم الشير او كونتي Shire, county وكلها تقاسيم قديمة العهد لا تزال باقية على حالها مع مايضاف عليها .

﴿ انكلترا او انجلند ﴾

ENGLAND

قسم انكلترا هو اهم اقسام المملكة الانكليزية واكثرها سكانا يبلغ عدد سكانه وسكان قسم ويلس (٣١٫٣٩٧٫٠٧٨) . وهو واقع في الجنوب الشرقي من جزيرة بريطانيا يحده شمالا قسم اسكوتلاندا وشرقاً البحر الشمالي وجنوباً بحر المانش وغرباً بوغاز ماري جرجس والبحر الايرلندي الفاصل بينه وبين ارلاندا

ويتخلل سواحل هذا القسم كثير من الموانى والمرافئ العظيمة المرصعة بالمنارات والاعلام المديدة التي تبقى انوارها الليل كله لهداية السفن وفي مواقع كثيرة منه رؤوس مرتفعة كرأس ليزيد ولانزاند (او رأس البر) واكثر جهاته جبالا واقع شمال نهري همبر ومرزي ويتخلله شمالا وجنوبا سلسلة جبال تعرف بجبال بنين والسلسلة الشمالية وهي متصلة بجبال تشيفيوت الواقعة في تخوم اسكوتلاندا ويخترق ايضاً جنوبه ثلاثة سلاسل متقاطعة تشتمل على جبال نوثوند وسوثوند المشهورة وبينها اودية جميلة وسهول كثيرة رحبة

وفي انكلترا انهر وجداول كثيرة تصلح للسفر وتسهل اسباب النقل بين المدن التجارية والمعامل منها نهر سفرن وهو ينبع من بلاد الغال ونهر توي ونهر اسك وهي تصب في قنال بريستول ونهر مرزى ويصب في بحر ارلاندا عند مدينة ليفربول ثم نهر دي ونهر التيمس ويصبان في البحر الشمالي وبين هذه الانهر ترع كثيرة يبلغ طولها نحو خمسة آلاف كيلو متر وبحيراتها قليلة

ولكنها مشهورة بجمال منظرها واشهرها بحيرة وندرمير

وهواء انكلترا كثير التقلب يختلف في اليوم الواحد مراراً فبينما يكون الجو صحواً اذا بالغيم يطبق الافق ويتراكم فتتدفق الامطار كافواه القرب وتوحل المسالك وهو في الغالب بارد يحوج للاصطلاء وخصوصاً في المقاطعات الجنوبية والسواحل الشرقية ومعظم تربة انكلترا خصب فتكثر فيها الحبوب والكتان وليس فيها من الغابات الكبيرة الا شيء قليل ولا ينبت فيها من الاشجار ماتحتاج اثماره الى الحر والاعتدال وذلك كالعنب والبردقان وقصب السكر الخ ولا يوجد من هذه الاثمار الا ما يخصص لها مواضع تسخن من حرارة النار وقد انقرض كثير من حيواناتها البرية التي كانت تألف الغابات الا ان الحكومة سنت اخيراً قوانين صارمة لحفظ الكثير منها كالايل وخلافه وخيلها مشهورة بحسن منظرها ويعتني الانكليز في جلبها وتربيتها حتى فاقت سائر انواع خيل اوروبا وغنمها موصوفة بجودة صوفها ولحمها وهي تسمن كثيراً بالنظر لاتساع المراعي ووفرة المروج الخصبة فيها وبقرها يعظم جسما في عظم جواميس مصر

ويتألف قسم انكلترا باعتبار نظام الحكومة الاداري من كونتيات او مقاطعات شرقية وجنوبية ومتوسطة وشمالية يحكم كل مقاطعة لورد من لورداتها . اما المقاطعات الشرقية فهي

(١) مقاطعة ميدلسكس وفيها مدينة لندن

(٢) » إيسكس : هريك وهي على البحر

(٣) » كمبريدج : شهيرة بمدرستها العظيمة الجامعة

(٤) مقاطعة سفلك ايبسوتش وهي شهيرة بتجارة الحبوب والمحصولات الزراعيـة وفيها معامـل للآلات الزراعية ثم نيوماركت معروفة بسباق الخيل فيها

(٥) نورفك : نوريك مشهورة بما يصنع فيها من المنسوجات الكتانية التي تصدرها من ميناء يارموث القريبة منها وفي هذه البلدة يصطاد نوع من السمك يشبه السمك البردويلي المصري المقدد

اما المقاطعات الجنوبية فتشمل المراعي النضرة والمروج الخصبة وهي

(١) مقاطعة كينت مشهورة بما يزرع فيها من حشيشة الهوبلون التي تعمل منها البيرة وفيها مدينة كنتربري وهي مركز الكنيسة الانجليكانية التي يعد مطرانها من اعظم نواب المملكة يقيم في لوندرا ثم جرينتش على نهر التيمس مشهورة برصـدخانتها واعتبارها لدى الجغرافيين مبـدأ لخط العرض ثم ثغر دوفر وهو من النقط الحربية الحصينة على بعد ٤٠ كيلو متر من مدينة كالي بفرنسا ومحل مرور بين فرنسا وانكلترا وكذلك ميناء فلكستون القريبة منها فانها معروفة بعلاقتها مع الموانى الفرنساوية ثم مدينة ووليش واقعة على نهر التيمس وهي نقطة حربية حصينة فيها ترسخانة ومدرسة حربية شهيرة ومعامل كثيرة لعمل السفن

(٢) ساري وفيها تمتـد شوارع مدينة لوندرا الجنوبية وسوث ارك وفيها مدينة كيوو مدينة رتشموند الشهيرتين بما لهما من المراكب في نهر التيمس ومدينة البسوم ويجري فيها اكثر الاوقات سباق للخيول وفيها ينابيع مياه معدنية

(٣) بركشير : وندسور الشهيرة بقصرها الملوكي الفخيم

(٤) سسكس : هستن وهو الثغر الذي دخل منه وليم الظافر دوق نورمنديا الى انكلترا وانتصر فيه بعد واقعة عظيمة سنة ١٠٦٦ ثم بريتون وهي جميلة الموقع يقصدها الاغنياء والعظماء في فصل الصيف وفيها حمامات شهيرة ومدرسة عظيمة ويبلغ عدد سكانها (١٣٠,٠٠٠) نفس

(٥) همپشير : پورتسموث مدينة حصينة واقعة في جزيرة في البحر وهي اعظم ثغور انكلترا الحربية وبها معامل كثيرة لاصطناع البيره وزيت السمك وخصوصاً معامل بناء السفن ويبلغ عدد سكانها (١٧٠,٠٠٠) نفس ثم مدينة سوثامبتون وهو ثغر تجاري عظيم ويتبع هذه المقاطعة جزيرة وايت التي فيها القصر الملوكي المعروف بقصر اوسبورن

(٦) ولتشير : وهي على تل مرتفع في ضواحي صحراء سالسبوري وبه كثير من بقايا آثار قدماء البريطانيين

(٧) دورستشير : وهي عبارة عن بحيث جزيرة پوتلند التي استحالت الى ارض فنشأ فيها مرقأ وبيوت

(٨) سومرست : باث وهي بلدة من اقدم مدن المملكة واقعة على نهير اڤون ومعظم دورها مبني بحجر رملي على جوانب آكام عالية وفي انحائها كثير من الرياض والبساتين وهي ملجأ المرضى لما فيها من الينابيع الحارة التي تشفي من الفالج والامراض العصبيه والنقرس والخنازير والامراض الجلدية لانها كبريتية قلوية تحتوي على الحديد

(٩) ديفونشير :وهي مقاطعة معتدلة الهواء خصبة التربة فيها پليموث وهي ثاني ثغور انكلترا الحربية في موقع جميل تجاهها منارة اديستون

(١٠) كورنويل : ويستخرج من هذه المقاطعة معدن النحاس الاصفر والقصدير وتنتهي برأس لانزاند او رأس البر وينتشر بجوار هذا الرأس جزائر شيلي و سورلنج وكلها صخور جرداء غير مأهولة ويوجد امام سواحل فرنسا جزائر نورماند منها جزيرة جرزي وهي مشهورة بحاماتها البحرية

وجزيرة جرنزي وفيها مقاطع من حجر الصوان

اما الثمانية اقاليم المتوسطة فارضها خصبة وسكانها يهتم البعض منهم بالزراعة والبعض الآخر باستخراج الفحم والحديد والملح وبكثير من الصنائع وهذه الاقاليم هي

(١) اقليم غلوشستر : مدينة غلوشستر واقعة على نهر سڤرن وفيها معامل كثيرة للجوخ ثم مدينة بريستول وهي من المدن القديمة ومحل للوسق بين ايرلاندا وانكلترا وفيها كثير من المعامل لنسج القطن وعمل الآلات واصطناع الزجاج والسكر والمشروبات وفيها ايضا عدد وافر من الآثار والابنية القديمة ككنيسة القديس ردكليف وتشتمل على مكتبة عظيمة للبلدة وعدد سكانها (٢٣٠٫٠٠٠) نفس

ثم مدينة جتنهام وهي معروفة بمياهها المعدنية وبما فيها من المباني الفخيمة والطرق النظيفة والرياض الغناء الكثيرة

(٢) اكسفورد : او كسفورد وهي مدينة قديمة العهد مبنية على اكمة جميلة

على مسافة ٥٢ ميلا من لوندن ومنظر بناياتها الفخيمة يروق الناظر ويشرح الخاطر ومعظم تجارتها في الحبوب وهي مشهورة كثيرا بكليتها العظيمة وبمكتبتها المشتملة على كثير من الكتب الثمينة

(٣) ووريك فيها قصر فخيم مبني على صخرة عظيمة ثم «كفنتري» وهي بلدة قديمة العهد شهيرة بعمل السلاسل والساعات ثم مدينة برمنجهام وفيها ابنية جميلة من دور وكنائس ومن اجمل دورها دار المدينة الشتمل على متحف واف بالآثار ومكتبة عظيمة عمومية وتجارة هذه البلدة متسعة النطاق وفي ضواحيها معادن كثيرة تنتفع منها الصناعة وفيها ورش كثيرة للجلوانو بلاستيا ومعامل عظيمة لاصطناع الآلات التجارية والادوات الحديدية كالمسامير والاسلحة والدبابيس والابر وغير ذلك وهي بالنظر لتوسطها بين مناجم الفحم ومعادن الحديد دائمة الاتصال بكل مدن المملكة بواسطة الترع والسكك الحديدية وهي اشهر مدن الارض في صناعة النحاس فيها عدد عظيم من العمال يعملون في معامل الاواني النحاسية ولم يكن عدد سكانها منذ جيل واحد الا اربعة آلاف نفس واما الآن فهم يقدرون بنحو (٥٠٠ر٠٠٠) نفس

(٤) نوتنهام على نهر ترنت وفي هذه المدينة عرفت صناعة الجرابات وفيها معامل عظيمة لاصطناعها وعمل التخريم والكفوف وعدد سكانها (٢٥٠ر٠٠٠) نفس

(٥) تشستر وهذه المقاطعة شهيرة بملاحاتها وبمروجها النضرة ومراعيها

الخصبة التي يرعى فيها ما يربو على المائة الف بقرة فيحصل منها مقدار وافر من الزبدة والجبن وفيها مدينة استوكبور الشهيرة بمنسوجاتها القطنية والحريرية ثم مدينة بركهند المبنية حديثاً امام مدينة ليفربول فبلغ عدد سكانها (١٠٤٫٠٠٠) تشترك معها بالتجارة ثم مدينة تشستر على نهر دي في موضع قديم انيق

(٦) ستافورد : يغشي ارض هذه المقاطعة معادن الحديد ومناجم الفحم وفيها كثير من المعامل لعمل الادوات الحديدية وعلى الخصوص في مدينة ولثرهمبتون ثم مدينة ستوك ابون ترنت وفيها نحو السبعين الف عامل يعملون فقط في معامل الاواني الفخارية والخزف .

(٧) ليشستر وهي مقاطعة خصبة التربة ترعى في مروجها ومراعيها نوع من الغنم الشهير بجودة صوفه وفيها مدينة ليشستر الشهيرة بجودة الجرابات الصوفية

(٨) دربي : وفي هذه المقاطعة كثير من المعادن والمغائر والمناظر البهيجة الطبيعية وفيها المدينة المعروفة باسمها الشهيرة بسباق الخيل الذي يجري فيها

اما المقاطعات الشمالية فان وعرها اكثر من سهلها وهي مشهورة بما فيها من مناجم الفحم الحجري وهي

(١) مقاطعة يورك وهي اكبر مقاطعات انكلترا في اتساع البقعة وفيها بقعة يورك تقابل مدينة كنتربري في اسقفيتها وميدلسبورج وقد اشتهرت حديثاً بما استخرج منها من الحديد ومن المعامل المعدة فيها

للتنقية وليدس وهي مدينة عظيمة بعمل الاقمشة من الصوف والجوخ والبسط وعدد سكانها (٣٧٠ر٠٠٠) نفس ويتبعها في صناعة هذه الاصناف مدينة برادفورد القريبة منها وفيها (٢٤٠ر٠٠٠) نفس ثم مدينة هاليفكس شهيرة بصناعة النظارات ومدينة شفيلد المشهورة بصناعة السكاكين والاسلحة البيضاء ويبلغ عدد سكانها (٣٣٠ر٠٠٠) نفس ثم مدينة هال وهي ثغر هذا الاقليم واقعة عند مصب الهمبر ومحط لتصدير كافة محصولاته وفيها (٢١٠ر٠٠٠) نفس

(٢) مقاطعة لانكستر وهي اعظم مقاطعات المملكة في اتساع الصناعة والتجارة واكثرها في عدد السكان وفيها عدد وافر من مناجم الفحم الحجري ومدنها الشهيرة هي :

ليفربول . وهي ثاني مدن انكلترا التجارية بعد لوندرا كان عدد سكانها في سنة ١٧٠٠ لايتجاوز (٥ر٠٠٠) نفس اما الآن فيبلغ (٧٠٠ر٠٠٠) وهي مبنية على جانب نهر مرزي عند مصبه في بحر ايرلاندا ولم تكن في بدء نشأتها سوى محل لصيد الاسماك فارتقت كمدينة لوندرا ارتقاء سريعاً حتى صارت من اعظم موانى الكرة الارضية بالنظر لما يتقاطر لمرساها من السفن العظيمة الواردة من اطراف الارض مشحونة بالمحصولات من القطن والحبوب والصوف والجلود وبالبضائع التي تصطنعها في معاملها العديدة ثم تصدرها الى جميع الجهات حتى الواردة منها ومعلوم ان نصف محصولات القطر المصري تصدر اليها ويقدر عدد السفن التي تدخل مرساها في العام

بنحو (٢٠٠٠ر٠) سفينة ويتقاطر اليها من التجار مابين انكلتيز واجانب نحو (٤٠٠٠ر٠٠٠) تاجر وفيها مبان حسنة اعظمها بناية سانت جورج (ماري جرجس) وهي محل الانتخابات العمومية وفيها كثير من الكنائس والمدارس والملاهي والملاعب

ثم مدينة منشستر وعدد سكانها (٧١٠ر٠٠٠) نفس وهي اعظم مدن العالم في صناعة القطن والنساجه تقابل مدينة ليون بفرانسا في معاملها الحريرية وتشبه مدينة لوندرا ببعض اسواقها التي يتكاثف فيها الدخان وبحوانيتها العظيمة وبشوارع عديدة وفيها بعض تماثيل الرجال العظام من الانكليز وفيها اول ترعة انشئت في انكلترا وتعرف بترعة بريدجوتر وهي توصل لمناجم الفحم وفيها ترعة اخرى تصلها بمدينة ليفربول وتسهل اسباب النقل ويتبعها في هذه المقاطعة كثير من المدن الصناعية التي تمد معها اقطار الدنيا بمنسوجاتها القطنية مثل اولدهام وبولتون وبلاكبورن وروشدل وبرتلي وويجان وورنجتون ثم مدينة باروا اوف فورنس وقد اشتهرت حديثاً بصناعة الحديد

(٣) مقاطعة كامبرلند : اكثرها جبال وبحيرات ومواقع طبيعية ومناجم تحوي الفحم الحجري ومعدن الرصاص وفيها مدينة وتيهافن معروفة بما فيها من مناجم الفحم

(٤) دورم : دورم وفيها كلية عظيمة شهيرة بما تصدره من الفحم وبما يعمل فيها من السفن وعدد سكانها (١٣٥٠٠٠) نفس

(٥) نور ثمبرلند : نيوكاسل وهو اشهر ثغور الكرة الارضية بتصدير

الفحم الحجري الجيد وفي هذه المدينة من السكان (٩٩٠٠٠٠) نفس ويصطنع فيها عدد من المراكب الحربية وهي واقعة على نهر السين على بعد ١٥ كيلومتر من بحر الشمال وفيها كثير من مناجم الفحم العظيمه التي لا تنضب مدى العمر ويتبعها في هذه المقاطعة بتصدير هذا الصنف مدن جاتهاد وشيد ويقدر ما يتصدر من هذه الموانى في العام الواجد نحو (١٠٠٠٠) سفينة مشحونة بالفحم

ويستخرج من معدن الرصاص مقدارا وافرا من جزيرة مان الواقعة في بحر ايرلاندا بجوار هذه المقاطعة

بلاد الغال

WALES

اما بلاد الغال او ويلس فهي في غرب انكلترا يغشى ارضها جبال كثيرة يستخرج منها الفحم الحجري والحديد والرصاص وقليل من الذهب والفضه وهي تقسم الى اثني عشرة كونتية

واشهر مدنها مرتير تيدفيل ومدينة يستردي نورويك التي تجاورها وكلاهما مركز لما يستخرج من الفحم الحجري من الجبال المجاورة ثم مدن كارديف وهي ثغر هذه المقاطعة وفيها الفحم الحجري المشهور باسمها ومدينة سونسي شهيرة بثغرها وبما فيها من معامل النحاس الاصفر

وكان اهل هذه المقاطعة عند مادخلها الرومانيون في عصر يوليوس قيصر بخمسه وخمسين سنه قبل المسيح اشداء وفي غاية التوحش حتى كانوا يدعوّن القوة لاغترارهم بقوتهم وكان بينهم فئة من الشعراء تنظم القصائد الراوية لحروب امرائهم وابطالهم بقيت معززة مكرمة الى ان ابادها ادوارد ملك انكلترا بسبب تهييجها الشعب ضده بعد ان انتصر على لويس امير هذه المقاطعة وقتل اخاه داوود فانقرضت من ذلك العهد سلالة امراء ويلس وضمت البلاد الى المملكة الانكليزية .

وفي تلك الاثناء رزق ادوارد ولدا فجمع حوله عظماء المقاطعة وكبرائها واخذ الولد على ذراعيه وقال هذا مواطنكم وملككم فصارت هذه العبارة

تكتب علي ترس امير والس وصار هذا اللقب خاصاً بولي العهد من ملوك انكلترا

وقال احد المؤرخين ان اهل والس هم الحريون بان يقال لهم بريتانيون فهم ذو بسالة وشجاعة ولغتهم تشبه اللغة الغالية وتختلف عن اللغة الانكليزية حتى ان الزائر لهم لا يكاد يخطر بباله انه في قسم من بريطانيا العظمى على ان اكثرهم يتكلم الآن باللغة الانكليزية لما عندهم من المكاتب العديدة لتعليمها حتى ان لغتهم الاصلية كادت تزول وتضمحل

اسكوتلاندا

SCOTLAND

اسكوتلاند ويقال لها اسكوتسيا وهي احدى الممالك الثلاث التي تؤلف مملكة بريطانيا العظمى والجزء الشمالي من الجزيرة يبلغ عدد سكانها (٤ر٢٤٩ر٩٤٦) وتفصلها عن انكلترا جبال تشفيوث وتقسمها جبال جرامبيان الى قسمين أعلى ويقال له هايلاند (اي الارض العالية) واسفل ويقال له لولاند (الارض الواطئه)

اما القسم الأعلى فيشتمل على جبال عالية باردة لا تصلح الا لتربية بعض المواشي تعرف بجبال الكلتيين او جبال كالدونيا يتكلم سكانها باللغة الفاليكية التي يعسر فهمها وهم يقربون بلغتهم وعوائدهم من الغاليين والارلنديين . وقد حرصوا كثيرا على عوائد آبائهم القديمة

ويروي ارض هذا القسم نهر دي وتي وفيه بحيرات شتى كبحيرة نس وبحيرة لومند وكثير من الاوهاد والسهول التي جعلت لها مشاهد متنوعة ومناظر مختلفة حسنة ولذلك يقصدها السياح في فصل الصيف للتنزه

اما القسم الاسفل فانه الى جهة الجنوب وارضه جيدة منبسطة تكثر فيها المراعي والمروج الخضراء ويشتمل القسم الغربي من هذا القسم على جزر عديدة تتخللها مياه الاوقيانوس الاطلانتيكي النافذة الى مواطئ الجبال ولذلك تكوّن في تلك الجهة عدد وافر من الخلجان والاجوان اشهرها خليج سولوي وخليج كليد وجون ويفتون ولوس وعلى الشاطئ الشرقي يوجد

جون سنكلير وخليج دورنتش وكرومرتي ومورّاي وسنت اندراوس وفورث . وتروي اراضيها عدة انهار وجداول اعظمها نهر إسبي ودي واسك وتاي وفورث وكليد وتويد وامان وليدال . ومن ترعها ترعة كلاسكو الجامعة بين نهر كليد ونهر فورث وترعة كليدونيا الجامعة بين خليج موراي والاوقيانوس الاطلانتيكي .

وعلى نهر فورث مشيد اكبر جسور العالم يعرف بجسر فورث .

وتكثر في جبالها معادن الحديد والرصاص والفحم الحجري وانواع الرخام وحجر البلور والحجر اليماني ونحوه وفيها ايضاً المعامل والمصانع والصناعة في رواج عظيم لا سيما في القسم الاسفل وصناعة الاهاين مشهورة في نسج الكتان والصوف .

وتقسم بلاد اسكوتلاندا باعتبار نظام الحكومة الى ٣٣ كونتية وعاصمتها مدينة ايدنبرج وهي على بعد ثلاثة كيلو مترات ويبلغ عدد سكانها مع ثغرها ليث القريب منها (٣٤٠٠٠٠) وهي بلدة بهيجة في موقع انيق تكتنفها الجبال الزرقاء وتحيط بها المياه من الاربعة جهات كالاطار وتغشي بناياتها الشاهقة المبنية من الحجر الصلب عدة نجوات متوازية وتتخللها الاودية المشتملة على بيوت عديدة ورياض نضيرة وتنقسم البلد الى شطرين احدهما الشطر القديم والآخر الجديد

اما القديم فانه يشتمل على شوارع ضيقه مظلمة يتصاعد منها في الغالب روايح كريهة تتكاثف فيها ديار عالية شامخة تشتمل الدار على ١٢ طبقة بعضها فوق بعض اما الطرق الواسعة والمباني الانيقة فقد انحصرت جميعها في الشطر

الجديد وفيه كلية الطب الشهيرة باسم البلد والقبة العظيمة المقام عليها تمثال (ولتر سكوت) شاعر الاسكوتلانديين الشهير وتمثال (نيلسون) وقصر عظيم كانت تسكنه (ماري استوارت) وغير ذلك من المباني العظيمة والاثار القديمة

ومن امهات مدنها واشهرها مدينة جلاسكو وهي مشهورة بتجارتها العظيمة ومعاملها الكثيرة لنسج الملابس وعمل المشروب المعروف بالويسكي واصطناع الزجاج وهي ايضاً من اعظم المدن في انشاء المراكب والآلات من الحديد فالسائر في شوارعها اينما سار لايجد سوى الاتاتين العديدة المتأججة بالنيران المتصاعد منها الدخان ولا يسمع سوى طقطقة المطارق التي يرتاح اهلها لسماعها اكثر من ارتياحهم لسماع العيدان من آلات الطرب والمدينة في وضع انيق بيوتها مبنية من احجار صلبه وهواؤها صاف يتخلله نسيم البحر فينقيه من دخان معامل ويبلغ عدد سكانها الآن (٦٠٠٠٠٠) نفس

ثم مدينة دندي معروفة بتجارتها في الاقمشة وعدد سكانها (١٥٨٠٠٠) نفس وابردين مشهورة بمبانيها وقصورها المشيدة من حجارة الصوان والتجارة رائجة فيها كثيرا

والاسكوتلانديون اصحاب جد ودأب في الصنائع وقد بقي اكثرهم محافظين على عاداتهم ورسومهم القديمة وهم اشد من الانكليز تحمساً في الدين ويعرفون في التاريخ بما كان لهم من السطوة وشدة البأس واشتهروا بمقاومتهم العظيمة للرومانيين حين هجموا على بلادهم ورموا غزوها وكانت مساكنهم

اذ ذاك الجبال ومعيشتهم من الصيد والقنص وفي سنة ٨٣٩ نهض احد قوادهم المدعو كونت وحارب عشيرة البكت واخضعها وصار ملكا على اسكوتلاندا وكان هو اول من استولى عليها وقام بعده ملوك كثيره ليس في تواريخهم شيء يستحق الذكر ثم وقعت البلاد في الحروب مع انكلترا حتى اذا قام جمس الخامس ملكا بغضه الشعب في آخر ايامه وكرهه فشق عليه ذلك ـــــــ فمات نفسه جوعاً وعطشاً وترك ابنة وهي ماري استوارت ويقال انها كانت اجمل نساء عصرها تهذبت في فرنسا فبرعت في العلوم والآداب واشتهرت بالكتابة والفصاحة والظرف وقد دعيت بعد موت ابيها ملكة على اسكوتلاندا بوكالة امها ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها تزوجت بامير فرنسوي صار فيما بعد ملكا باسم فرنسيس الثاني ومات عنها بعد سنه ونصف فدعيت ماري الي اسكوتلاندا وتبوأت كرسي الملك المحفوظ لها بعد موت ابيها ثم اقترنت بابن عمها اللورد هنري دارنلي لمجرد جماله وكان يغار عليها من داوود الطلياني كاتب سرها فدخل عليها ذات ليلة من باب خفي ورآها منفردة به وهو يعزف لها بالقيشارة فقتله امامها عند الباب الخارجي ويرى في قصرها بايدنبرج صورته وصورتها وقد أثر عليها هذا الحادث فانتقمت من زوجها حيث اماتته في قصر ملغوم بالبارود واقترنت بعده باللورد بوسويل ولم تتدبر العواقب فاتهم هذا ايضاً بالمشاركة في قتل زوجها ومن ذلك العهد حل البغض قلب شعبها وزاد على ذلك تمسكها بالمذهب الكاثوليكي بينما كان المذهب البروتستانتي يمتد في البلاد فخافت سوء العاقبة وكتبت الى ابنة عمتها اليصابات ملكة انكلترا تستجير بحماها فاجابتها الى طلبها . وقال بعض المؤرخين انها كانت تحسدها

على جمالها ومحاسنها فاضمرت لها شرا والقتها في السجن مدة ١٨ سنه حيث لقيت الضر والنكد ثم جنت عليها لما كان يثير بسببها من الفتن والدسائس وعلمت انه مادامت في قيد الحياة لاتزول الدسائس من البلاد فعقدت مجلساً فحكم اعضاؤه بقتلها فماتت شر ميتة وهي صابرة متجلدة ولا يزال الى الآن من شعرها الرقيق المنسجم قصائد غراميات ووداعيات ولا يزال يتذكرها الكاثوليك الى يومنا هذا ويمدحونها لكونها ماتت في حماية مذهبها . وقد وضعت وهي في معتقل لوثيان باسكوتلاندا جمس الاول خلفها على اسكوتلاندا تحت اسم جيمس السادس ولما ماتت اليصابات ملكة انكلترا ولم تترك لها خلفاً كان جيمس اقرب الناس الى ملك انكلترا فصار ملكا وانتقل من ايدنبرج الى لندن ومن ثمّ صارت المملكتان مملكة واحدة وذلك سنة ١٧٠٦ وقد اشترط الاسكوتلانديون على هذا الانضمام شروطاً كثيرة اهمها بقاء رسوم كنيستهم كما كانت ولا تزال اسكوتلاندا الى ايامنا هذه خاضعة لانكلترا

ويجاور اسكوتلاندا في بحر يبقى مضطربا هائجاً في اكثر اوقات السنة وفيه كثير من انواع السمك جزائر عدة منها جزائر هبريده وهي مأوى لطيور البحر وجزائر اوركادا وهي مأوى الصيادين وجزائر شتلندويسكنها قوم ينتهي نسبهم بالنورفيجيين سكان نورفيج وجزيرة سكاي ورام وكول وبتري ومول ولاي وبوت وجورا وارّان وغيرها

جزيرة ايرلاندا

IRLAND

أَوْ أَيْرْلَنْدوبالايرلندي إرين اي الجزيرة الخضراء وهي احدى الجزائر البريطانية . يحدها ويحيط بها من الشمال والغرب والجنوب الاوقيانوس الاطلانتيقي ويفصلها عن جزيرة بريطانيا من جهة الشرق البوغاز الشمالي والبحر الإرلندي وبوغاز ماري جرجس .

وهي تقرب من القطر المصري اتساعاً تبلغ مساحتها (٣٠٤٠٠) ميل مربع ويبلغ عدد سكانها ٨٢٠٠٠٠٠ مع انه كان بالغاً ٨٢٠٠٠٠٠ في سنة ١٨٤٠

ويحدق بسواحل هذه الجزيرة كثير من الصخور الطباشيرية التي تحول دون سير السفن في الشرق ولكن فيها عدة السنة تلتجئ اليها سفن الصيادين على نور كثير من المنارات . وفيها ايضاً موانئ حسنة لارساء السفن كميناء بتري وكورك وبلفاست ودنكل وسليكو وغيرها ويوجد على شاطئ البحر في الجهة الشمالية من الجزيرة اعمدة طبيعية قائم بعضها على بعض يبلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم تعرف باعمدة طريق الجبار . وفيها عدة سلاسل جبلية يتألف من بعضها مجتمعات منفردة قرب الساحل تنخفض بتوغلها في اواسط البلاد واكبرها جبال دونيغال في الشمال الغربي وجبال دون في الشمال الشرقي ثم جبال كري في الجنوب الشرقي وفى تاريخ هذه الجزيرة اخبار كثيرة عن تشقق اراضيها بفعل البراكين ومن معادنها الفحم الحجري

والنحاس والرصاص والفضه والانتيمون والحارصين والشب والجص اما الذهب فقليل جداً وبها مقاطع من الرخام وحجر البناء وفيها كثير من الينابيع المعدنية . واما كن كثيرة لطمر جذور النباتات وتيبيسها في الشمس لاستعمالها للوقود عوض الفحم والحطب .

واما انهارها فكثيرة اعظمها نهر شانون وهو ايضاً من اكبر انهار المملكة يبلغ طول مجراه (٢٥٠) ميلاً يمر ببحيرات كثيرة ثم يصب في المحيط الاطلانتيقي ونهر نبدون ولي وبلاكوَتروبوين وليفي وسوير وبَرُّو وسلان وغيرها . ولها ثلثة خلجان كبيرة وهي الخليج الكبير والخليج الملوكي وخليج توري . وفيها عدة بحيرات اعظمها بحيرة تويلي وفويل وبحيرة نياغ وهي في الجهة الشمالية الشرقية من اعظم بحيرات المملكة وتعد ايضاً من اعظم بحيرات اوروبا ثم بحيرة إرن وهي عبارة عن بحيرتين موصولتين بترعة وقد اشتهرت هذه البحيرات بصفو ماءها وحسن منظرها ولذلك يقصدها السياح في فصل الصيف للتنزه

اما هواء الجزيرة فمعتدل ولكن الرطوبة لا تنقطع من البلاد وهي تساعد النبات على النمو وتجعل النضارة دائمة بالمروج وبسبب ذلك تسمى هذه الجزيرة بإرن الخضراء او جزيرة الزبرجد . واما ارضها فعلى ثلاثة اقسام منها ماهو صخور جرداء وآجام ومستنقعات وهو عبارة عن ربعها ومنها ماهو قابل للحراسة وهو ربع آخر والباقي ارض مخلوطة من طين ورمال واكسيد الحديد . وتكثر فيها الحبوب والبطاطا واللفت والكتان والتوت الافرنكي وفيها كثير من انواع الخيول الصغيرة والبغال والحمير والماعز

والخنازير وكذلك كثير من الطيور الآهلة وتألف سواحلها الحيوانات البحرية الكبيرة .

وتقسم هذه الجزيرة باعتبار نظام الحكومة الى اربعة مقاطعات كبيرة وتقسم هذه المقاطعات الى ٣٢ كونتيه

(١) مقاطعة اولستر شمال الجزيرة واعظم مدنها بلفاست وفيها كثير من المعامل وهي مشهورة بصناعة التيل وتجارتها عظيمة واكثر سكان هذا الاقليم من البروتستانت واصلهم من الاسكوتلانديين المولعين بالصنائع .

(٢) مقاطعة لينستر شرق الجزيرة واعظم مدنها دبلين مركز اللورد حاكم الجزيرة يبلغ عدد سكانها (٤٠٠٠٠٠) وهي مدينة جميلة ومن الاسواق الانكليزية التي تباع فيها المواشي والمحصولات الزراعية وفيها مدارس جمة منها مدرسة الثالوث الاقدس الشهيرة ومكاتب وجمعيات خيرية وكثير من الابنية الفخيمة وفيها الاحياء الحديثة المنتظمة البناء مقام في احدها تمثال لوليم الثالث وعمود لتذكار نلسون وفي بعض منتزهاتها وشوارعها تمثال لجورج الثاني ولا ليفرغولد سميث وغيرهم من الرجال العظام .

(٣) كنوت في الجهة الغربية من الجزيرة واعظم مدنها غلوه وهذه المقاطعة معروفة بخصوبة ارضها ومحصولاتها الزراعية وبجودة صوف اغنامها .

(٤) مونستر في الجنوب الغربي وفيها مدينة كورك الشهيرة بمدرستها

العظيمة وهي ميناء شهيرة وكذلك مدينة ليمريك شهيرة بكثرة نسيجها وبما يعمل على سواحلها من المراكب وتصلها بدوبلين ترعة .

واهل إيرلاندا مشهورون بالنخوة وشدة البأس واكثرهم من الكاثوليك الرومانيين ومقدار الربع منهم بروتستانت يسكنون غالباً الجهة الشمالية من الجزيرة

والجانب الاكبر من اراضي هذه الجزيرة ملك اكابرها ومعظم الاهليين شركاؤهم واكثرهم فقراء وغير مستنيرين بالعلوم كسائر اهالي المملكة البريطانية سيما الذين في الجهة الجنوبية من الجزيرة ولذلك يرحل منهم في كل سنة عدد وافر الى اميركا واوستراليا طلباً لاسباب المعيشة.

والصناعة ليست متقدمة في إيرلاندا كتقدمها في غيرها من المملكة وفيها يعمل انسجة الكتان والقطن والموصلينا والعرقي والبيره وغير ذلك

وفي ايرلاندا اربع كراسي اساقفة كاثوليك وهي في ارماغ ودوبلين وكشل وتوام وكرسيا اساقفة بروتستانية وهي في ارماغ ودوبلين

وقد استقلت هذه الجزيرة في اول امرها باحكامها زمناً طويلا ثم تبعت انكلترا تحت حكم هنري الثامن بعد المدافعة الشديدة عن استقلالها وقبلت في المعاهدة مع القسمين الاخرين من المملكة سنة ١٨٠١ ولا تزال للان جزءاً منها ولم تمد انكلترا اليها الإصلاح الا في عهد جمس الاول . ولكن العداوة قائمة في نفوس الإيرلنديين ضدها ويتمنون فصل بلادهم عنها ويحاولون الاستقلال بشؤونهم ولما حدثت الثورة الانكليزية الشهيرة سنة ١٦٨٨ وخلع وقتئذ الملك واقيم على عرش انكلترا جده وليم الثالث

امير اورانج تظاهر الايرلنديون بالانحياز لاخصامه الذين كانوا من الكاثوليك وكان الانكليز الذين اقاموا وليم من البروتستانت فاشتدت العداوة بين الامتين ولما تربع وليم بيت الشهير دست الوزارة الانكليزية عمل على الغاء المجلس الذي كان للايرلنديين وضمه الى انكلترا وقرر بان يكون عدد الايرلنديين في البارلمنت الانكليزي نحو ١٥ من النواب وثلاثين من الاشراف وهكذا صارت البلاد مملكة واحدة عاصمتها لوندن بيد ان العداوة ازدادت تمكناً في انفس الايرلنديين ضد الانكليز وصارت الحزازات تشتد يوماً عن يوم حتى ثار الايرلنديون ثورة كبيرة في اكثر انحاء المعمورة واقاموا عليهم رئيساً بارنل الخطيب الذائع الصيت فجمع حوله نحو مائة عضو من اعضاء المجلس واخذ يجاهر بفصل بلاده عن حكومة انكلترا والانسلاخ عنها وعظم في هذا الامر الجدال والنضال حتى كادت تؤدي الحال الى الحرب فتفصل الخلاف غلادستون الشهير بلائحته سنة ١٨٨٥

الباب الثاني

CHAPTER II.

(لندن)

LONDON

أو لنـدرا هي عاصمة بلاد الانكليز بل هي بابل هذه الايام ونينوي هذا العصر ومشهد لاشتات عجائب الخليقة واعظم ما عمّر الانسان واغرب ما انتج الزمان

وهي واقعة في اربع كونتيات مدلسكس فى الشمال واسكس في الشرق وسيرى فى الجنوب وكنت فى الجنوب الغربي وموقعها على جانبي نهر التيمس وهو يخترقها من الغرب الى الشرق الى شطرين غير متكافئين . وقد كانت في اول نشأتها قرية صغيرة مؤلفة من اكواخ حقيرة في جوار برجها المشهور باسمها ولم تضم في اوائل هذا القرن اكثر من مليون نفساً تقريباً فارتقت بمدةٍ وجيزة الى العمران ارتقاءً سريعاً غريباً فاقت به مدن العلم قاطبةً واصبحت وعدد سكانها ما ينيف عن الاربعة ملايين ونصف مليون نفس ومساحتها لاتزال تزداد يوماً فيوماً فهي تقدر الآن بمائة وثلاثين ميلاً مربعاً انكليزياً . وعلى ذلك وصفها احد المؤرخين بقوله : « لو مثّلت نتائج ارتقاء البشر وتقدمهم لما كانت ادل على حالة العمران من هـذه المدينة » . وهي الآن مركز الاشغال العظيمة والمبايعات الجسيمة تمد جميع اقطار الدنيا بما يدخّر فيها من السلع والبضائع والمهمات ولكن القادم اليها ينقبض صدره

من منظر مبانيها المتغلب عليها سواد دخان معاملها الذي يجعل منظرها حزيناً كئيباً كجدران الافران فتبدو به كأنها قديمة العهد وكأن احقاباً من الدهر مرت عليها

ومما يدعو الى الاندهاش الخطوط الحديدية التي تغطي ارضها فتذهب في شوارعها العديدة المرصوصة بالاسفلت او المبلطة بالخشب المقطرن كل مذهب وهي مشبكة بعضها ببعض كشبكة الصياد وعليها العربات والحوافل تروح وتغدو والناس بينها يغدون ويجرون للاعمال كخيل الطراد

وتقسم لوندن الى اقسام اهمها الجهة التي على شمال النهر وفيها السيتي اي المدينة وهي مركز الاشغال والاعمال فيها سراي الملكة والبرلمان ثم قسم « ايست لندن » وهناك سكن الاشراف والاعيان تكثر فيه الحدائق الغناء التي تروق الناظر وتسر الخاطر وتسطع فيه انوار السعادة من الصروح الباسقة الشماء التي تكاد تسد وجه الفضاء ، وهي على اعجب طرزٍ واتم بناء

ووسائط النقل في المدينة كثيرة متوفرة من اهمها « نهر التيمس » River Thames وهو من اعظم الاسباب الميسرة لتجارتها وله عند اهلها شأن عظيم ويقول بعض المؤلفين ان لولاه لما حصلت لندره على هذه السعادة العظيمة والثروة الواسعة فترى فيه البواخر والزوارق تجري منحدرة وصاعدة والحوافل والعجلات والقطارات وعربات الترامواي تمر على غالب جسوره وكلها مفعمة بالرجال والنساء فالحركة فيه تدهش البصر وتحير الفكر وعلى الاخص عند ميناه حيث يرد اليها في كل سنة من جميع البلاد نحو ثلاثين الف سفينة ويقدر بعضهم انه يبلغ عدد سكان النهر الذي يقيمون في

القوارب ثلاثمائة الف نفس وله نحو ٥٠ محطة على ضفتيه تمر بها البواخر ذهاباً وايابآ غير انه لما كانت حركة المدينة التجارية تفوق حد المتوسط اضطر الشعب ان يبني على النهر بعض الجسور على مسافات متباعدة متناسبة يتسنى بها للاهلين الوصول من فم الى آخر بكل سهولة وعجلة

واول جسر يراه القادم الى المدينة « جسر لوندرا London Bridge » بدئ بانشائه عام ١٨٢٥ وكان الاحتفال بفتحه بعد ست سنوات خلون من يوم البداية به وقد بلغت نفقاته ٥٠٦٠٠٠ جنيه انكليزي ومن غريب مافي هذا الجسر صنع احكامه ودقه بنائه . ويكثر الازدحام عليه لحد لايتصوره العقل وقد اقيم عليه تمثال للملك وليم الرابع من الرخام . ثم جسر سوسوارك وقد بلغت نفقاته ٢٠٠٠٠٠ فرنك والمار على هذا الجسر يدفع رسما للشركه التي اقامته مقداره بنى واحد (مليمان تقريباً) ان كان انساناً و ٦ بنس (٢٤ مليما) ان كان عربة

ثم جسر بلاكفريارس « Blackfriars Bridge » وقد اقيم في سنة ١٦٧٠ باسم كبير وزراء الامة الانجليزية وليم بيت الشهير عنواناً لاخلاص الشعب وولائه له ولذا يرى الرائي لوحاً من المعدن منقوشاً عليه جملة لاتينية هاك تعريبها « إنه في آخر يوم من شهر اكتوبر سنة ١٧٦٠ وفي بداية حكم الملك جورج الثالث وضع اللورد مايور محافظ المدينة اول حجر لهذا الجسر الذي امر بانشاءه المجلس البلدي وكان روبرت ملن مهندسه البنائي وقد اقيم تذكارا للخلف وعنوانا على اخلاص المدينة للرجل الذي توصل بقوة عقله وثبات عزمه وحسن طويته وصدق وطنيته لاعلاء كلمة الدوله البريطانية وتوطيد

سلطتها ومد نفوذها في اسيا وافريقيا واميريكا ... الخ ،وقد اجمعت اصوات الشعب على تسمية هذا الجسر باسم وليم بيت ومع ظهور هذا اللوح جلياً على هذا الجسر فان الاسم المتعارف له هو جسر بلاكفريارس وقد بلغت نفقته ١٥٢٠٠٠ جنيه انجليزي

ثم جسر واترلو Waterlow Bridge وقد بدئ في بنائه عام ١٨١١ وصادف اتمامه في ١٨ يونيه سنة ١٨١٧ وهو يوم الاحتفال بتذكار واقعة واترلو الشهيرة . ولما كان الانجليز يطربون باسم تلك الواقعة ويعجبون لذكرها اجمعت اراؤهم على تسمية هذا الجسر باسم جسر واترلو تخليداً لذكر هذه الواقعة على ممر الاعوام وقد حضر الاحتفال بفتحه الدوق ولنتون وبلغت نفقاته مليون جنيه . وهو بديع الصنعة من اجمل جسور لندره والطفها منظراً واكثرها بهجة وبهاء ..

بيد انه لما كانت هذه الجسور العديدة المقامة على النهر غير كافية لسد ضرورات الحركه التجارية في المدينة اضطر الاهلون تسهيلاً للمواصلة بين ضفتيه وعدم مزاحمة السفن الواردة الى ميناه حفر طريق في الارض تحت النهر يصل بين الشاطئين ويبلغ طوله ٣٠٠ قدم وعرضه ٣٨ وارتفاعه ٢٢ قدماً ونصف قدم وهو منقسم الى قسمين احدهما لمرور عربات الاياب والآخر لعربات الذهاب وعلى جانب كل قسم رصيف لمرور المشاة وثخن سقفه وهو الفاصل بين ماء النهر وجو النقب يبلغ ١٥ قدماً

واهم من هذا النقب واجل منه السكك الحديدية التي انشئت في بطن الارض تحت المدينة والغاية منها تسهيل المواصلات التجارية بنقل البضائع

والسلع من طريق الى آخر ومن نقطة الى مثلها بعيدة عنها . وهـذا العمل اكثر خطارةً واعظم نفعاً واكبر اهمية من غيره من الاعمال لانه يجمع بين جميع محطات سكك لندره الحديدية التي تتفرع الى جميع جهات المملكة . وطول هذه السكك الباطنية ٦٢٤٠ مترا وبها ٣٥٠ وابورا تجري عليها في اليوم الواحد. وقد بلغت نفقات انشائها ٣٢ مليون فرنك و ٥٠٠ الف . و يبلغ عدد الركاب فيها في السنة الواحدة ٣٠ مليوناً من النفوس و بلغ دخلها مسانهة من سبعة الى ثمانية ملايين من الفرنكات وقد ثبت بالاحصاء ان انشاء تلك السكك الحديدية قد ضاعف الحركة التجارية بلوندره حيث سهل للاهليين ان ينتقلوا من جهة الى غيرها بكل سرعة وبقليل من المال حتى اصبحت لوندن بمثابة الحركة والانتقال مدينه لولندن على وجه الارض ولندن في باطن الارض

اما «الستي» « City » اي «المدينة» فانها واقعه في القسم الذي على شمال النهر وهي روح تجارة لنـدن ومركز اشغالها واعمالها ففيها البنك والكمرك والبوسطة والمحاكم وديوان اللورد حاكم البلد ومطبعة التيمس وكل الاماكن التجارية والمعامل الكبرى وليس في هذا الحط ادنى شيء يبسط النفس حتى ان ظاهر حوانيته ومخازنه ليس بالشيء الذي يذكر ولا يكاد يصدق ان فيها من السلع والمهمات مايساوي القناطير المقنطره وان اصحابها هم اعيان تجار الارض . وهي تحتوي على ٦٥٠٠ دار معظمها او كلها مكاتب تجار ومخازن وحوانيت . ويقدر عدد الذين يشتغلون فيها نهاراً نحو ٢٧٠ الف نفس والذين يبقون فيها ليلاً ٣٠ الف نفس . ويدخلها في اليوم نحو ٨٠٠ الف نفس

من المشاه و ٨٠ الف من المركبات

وتبتدئ حركة العمل فيها من الساعة ٧ صباحا فتنقص اذ ذاك المسالك بالحوافل والعجلات . وتزدحم المناكب بالمناكب وتشتد حركة الاعمال فالقادم اذ ذاك الى تلك الانحاء يقف موقف الحائر اذ يرى الشيوخ والغلمان في النشاط والاستعداد متساويين وكل انسان فيه يحدث نفسه فيما يباشره من الاعمال فلا لهو ولا فراغ وبالجملة فلا شيء ادل في العالم على عظم الاعمال والجد والاشغال وكثرة الاخذ والعطاء وحركة البيع والشراء من هذا الخط

على ان السائر في شوارع هذا الصقع يكون هدفاً للخطر ويرى من نفسه انقباضاً لا ينجلي عنه الا متى بلغ نهايته عند شارع اكسفورد ستريت من ناحية الشمال وهو من اعظم شوارع لندن واطول شوارع الارض ويليه شارع ريجنت ستريت وفيه الدكاكين البهية والمخازن العظيمة مما يجعله من اسواق الارض الشهيرة ومنها شارع ستراند وهو في منتصف مدينة لندن وبين قسم التي والمساكن العظيمة وتكثر فيه حركة الانتقال الى حد لا مثيل له الا ان يكون حوالي بنك لندن. والسترند هذا والشارع الذي يليه فليت ستريت مع الشوارع الصغرى التي تتفرع منها مركز الحركات العلمية وادارات الجرائد ووكلاء الشركات الكبرى في لندن . وقل ان تجد ادارة جريدة في غير هذين الشارعين ويلي ستراند وريجنت ستريت في الشهرة شارع الملكة فيكتوريا وشارع كانون وشارع تسيبسيد وهي اعظم شوارع الاشغال في لندن وتبلغ شوارع لندن وحدها ٧٨٠٠ شارع طولها لا يقل

عن ٣ الاف ميل اذا اتصلت اطرافها طرفاً بطرف بلغ مجموع طولها فدر مابين لندن وبطرسبرج من المسافةوهي مع ذلك ضيقة وقليلة لاتكاد تفي لمرور المشاة والركاب والخيل والمركبات ينفق في سبيل تطويلها وتوسيعها وتنظيمها الاموال الطائلة وخصوصاً في فتح الشوارع الجديدة فقد اشترت الحكومة داراً واحدة بخمسماية الف جنيه ثم هد متها لفتح شارع صغير يسمي شارع نرثمبرلند واشترت ايضاً مرة فدان ارض بتسع مئة الف جنيه لفتح شارع جديد وهكذا فان المدينة في ازدياد مستمر يبنى فيها في كل برهة من الوقت مكان جديد حتى صارت بيوتها تقدر بسبعماية الف بيت كما ان معدل زيادة اهلها اليومية ثلثماية نفس . وقد جمعت نصف اغنياء الانكليز وجمعت من الكاثوليك اكثر مما في رومة ومن اليهود اكثر مما في فلسطين وسوريا ومن الايرلنديين اكثر مما في دبلين عاصمة ايرلاندا ومن الاسكوتلانديين اكثر مما في ادنبرج عاصمة اسكوتلاندا . وفيها اكثر من الفي مكتب للبريد يدير اعمالها اكثر من ١٣ الف مستخدم و٣٠٠ مكتب للتلغراف وأكثر من مئة محل للتليفون معدة للجمهور باجرة طفيفة ونحو ٨٠ مرسحاً للتمثيل و ٥٠٠ قاعة يحضر فيها كل ليلة نحو ٣٠٠ الف نفس لرؤية التمثيل والغناء وفيها نحو ٥٠٠ فندق

وشركات المدينة كثيرة لاتعد ولا تحصي ويندران يوجد في الارض برمتها عمل خطير الا وتعقد له فيها شركة ويبلغ ربح هذه الشركات سنوياً نحو ٢٠ مليون جنيه

«بنك لندن »London Bank«

ومن طرائف اعمال الانسان في هذه المدينة البنك المشهور باسمهاوهو ايضاً من اعظم مصارف الارض انشئ سنة ١٦٩٤ في عهد وليم الرابع وكان اعظم الاسباب في انشائه ايجاد المال لمداومة الحرب مع فرنسا . فتهافت الناس على الاكتتاب في كل رأس ماله بعد اعلان فتحه بعشرة ايام . وكانت الصرافة قبل فتح هذا المصرف في لندن بيد اليهود فلم يمضِ عليه القليل من الزمن حتى صار محور المعاملة بين العالم ومستودع اموال العظماء والماليين ومرجع اكابر التجار من كل صقع وناد . وهو بناء هائل منظره الظاهري مظلم يشغل من الارض مساحة ٤ افدنه في موقع هو مركز الحركة الهائلة والزحام الغريب المشهور عن لندن . وفي احدى قاعاته ساعة كبيرة غريبة الصنعة يتفرع منها ستة عشر ساعة خلافهامتفرقة في انحائه من الساعة الكبيرة وفيه عدة ادوات لفرز النقود وكلها تزن الدينار وترمي الجيد في صندوق والزائف في صندوق آخر .ولخزينته محل حصين محاط بالماء حذراً من الحريق ويحفره الجند ليلاً مع بعض الموظفين .

وقد قاسي هذا البنك في بدء نشأته خسائر فادحه من التزوير بلغت عشرين مليوناً من الجنيهات ولكنها انقطعت الآن وبطل التزوير بعد اختراع مطبعته والحبر الخاص والاوراق التي لا يتسني للمزورين تقليدها .

ويقسم البنك الى ثلاثة اقسام تتبع كلها المدير العام . اولها قسم الدين ثانيا قسم الصرف ثالثاً قسم الادارة وتديره لجنة مؤلفة من اربعة وعشرين

عضواً من اصحاب الاموال يبلغ راتب رئيسها سنوياً ٥٠٠٠٠ جنيه ورئيسه ١٥٠٠٠ جنيه وكل عضو من اعضاء اللجنة ٥٠٠٠ جنيه . وفيه نحو الف ومئة مستخدم ويزيد مجموع راواتبهم عن ثلثماية الف جنيه في العام وللمتقاعدين الذين قضوا زمناً في خدمته نحو خمسين الف جنيه في العام . وهو يصدر كل اسبوع اوراق مالية بقيمة ٢٤ مليون جنيه ويبلغ رأس ماله نحو ٧٥ مليون جنيه

وفي لوندرا المباني العظيمة القديمة العهد والقصور الفخيمة الشاهقة المبنية على اعجب طرز واتم بناء ودور التحف الطافحة بالآثار والكنوز التي لاتقدر بثمن والحدائق والمعارض وغير ذلك كثير مما لا يتيسر استيفاء وصفه وشرحه تماماً وانما نذكر القليل منها الشهير حرصاً على فائدة الكتاب:

«المتحف البريطاني British Museum »

او (برتش ميوزيوم) فهو بلا غلو ولا اطراء اعظم متاحف الدنيا بل هو معرض العلوم والفنون والصنائع والتحف الغريبة والسبب في انشائه في سنة ١٧٥٣ ان رجلاً من اعيان الانجليز يدعي (هافس سكون) اوصى قبل وفاته بعشرين الف جنيه ليشتري بها تحفاً واثاراً ووهب ايضاً مكتبه تشتمل على ٥٠ الف مجلد من طبع وخط وكثير من المسكوكات القديمة والعاديات تكرماً منه ورغبة في ان تعرض في مقام خاص للنفع العام فاهتم من ذلك العهد مجلس الشورى بابتناء محل فخيم يليق بعرضها وجمع ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه لهذا القصد . وقد ابتدأ العمل في هذا المتحف سنة ١٨١٣ وانتهى ١٨٥١ وهو

من اعظم المباني القديمة فيه رواق كبير قائم على ٤٤ عمود وقد اخذت محتوياته تزيد من يوم ابتنائه للآن بالابتياع والهبات حتي اشتملت على الكتب النادرة والتحف والكنوز التي لاتثمن بمال ولايكاد يكون لها مثيل في العالم . وهو يقسم الى قسمين عظيمين احدهما دائرة المكتبة وتتبعها قاعة المطالعة . والثاني دائرة الآثار القديمة ويتبعها قسم الصور والرسوم والمعادن والنباتات ولكل دائرة ناظر وعدة مستخدمين .

اما المكتبة فهي في الطابق الاسفل من البناء تبلغ جملة الكتب المحرزة فيها زهاء المليوني مجلد . واعظم موضع فيها هو ما وقفه الملك جورج الرابع ويبلغ ثمنه ١٣٠٫٠٠٠ جنيه . وفيه توراة قديمة العهد طبعت في متس سنة ١٤٨٠ واول نسخة طبعت من اشعار اوميروس في فلورانس سنة ١٤٨٨ . ونسخة من اشعار فرجيل . وكتاب صلوات للملكة اليصابات غشاؤه من صنع الابرة عمل يدها

وفي المكتبة نحو ٤٠٫٠٠٠ مجلد من الكتب العربية . فيها نسخة من القرآن الشريف . وتاريخ ابن خلدون . ومدح الشيء وذمه للجاحظ . والنوابغ للزمخشري . والمقتطف . وغيرها من الكتب النادرة الوجود . وقد اشتملت على مقدار من الكتب العبرانية اكثر مما يوجد في العالم بأسره . وقد بنى فيها تسهيلاً للمطالعة والدرس والمراجعة قاعة كبيرة بلغت نفقاتها مئة وخمسين الف جنيه ويمكن ان يجلس فيها نحو ٣٦٠ شخصاً وفي وسطها كرسي عال يجلس عليه وكيلها وامامه ٤٠٠ مجلد تقريباً مبين فيها فهرس الكتب . فمن اراد كتاباً يكتب اسم الكتاب ونمرة الكرسي الذي هو فيه ونمرة الطاولة

ويضعها في سبت خصص لهذه الغاية فلا يمضي الا القليل حتى يأته الخادم بمطلوبه ولا يجوز الدخول في هـذه القاعة الا لمن تجاوز عمره الواحد وعشرين سنة ولا يقبل احد بدون ورقة الاذن ولا يسوغ لاحد ان ينسخ كتاباً منها برمته ولا ان يستصحبه معه . وتضاء القاعة ليـلاً بالنور التكهربائي اما دائرة الآثار ففيها سيف كان يتقلده كرمويل الشهير وتمثال للشاعر شكسبير وجثة الحصان الذي كان يركبه نابوليون الاول وفيها كثير من المسكوكات القديمـة والآثار المصرية والاشورية واليونانية والرومانية وبقية الطوائف القديمة

اما قاعة الحلي والجواهر والذخائر والنقود فقد اشتملت على ما يندر وجوده في العالم باسره ولا يدخلها الزائر الا بعد ان يكتب اسمه ومحل اقامته ومما فيها النقود التي ضربت على عهد هارون الرشيد بالخط الكوفي . وفرد مرصع بالحجارة الكريمة اخذه الملك بطرس من قائد الجيوش التركية في بحر الخزر ثم انتقل الى لوندرا. ويعتني الانجليز بهذه الآثار اعتناء عظيما يفوق حد الوصف .

وهو متحف الصور الوطني

(ناشونال جالري)« National Gallery »

بلغت نفقته نحو ٩٦٠٠٠ جنيه. ويفد اليه في السنة ستمائة الف نفس تقريباً وهو معرض الصور البديعة من احسن ما ابتدعه المصورون منها ما اتصل اليه بالهبة ومنها ما ابتاعته الحكومة باثمان عظيمة . فمن ذلك ٧٠٠٠٠ جنيه دفعتها ثمن صورة السيدة العذراء من تصوير روفائيل المصور الشهير .

و ٥٠ الف جنيه ثمن ٣ صور و ١٧ الف جنيه ثمن صورة الملك تشارلس الاول . و١٤ الف جنيه ثمن صورة عائلة داريوس ومن اشهر واجمل صور هذا الرواق صورة تمثل الزهرة عارية بحضرة اله الحب الذي يقرأ في درج بيد عطارد الواقف على يمينها ثم صورة باخوس اله الخمر واريادن الجميلة وغير ذلك من الصور البهية العظيمة البالغة حد الاتقان والكمال

(متحف سوث كنسنتن) (South Kensington)

وهو من اعظم واشهر المتاحف يهتم به ديوان المعارف فيصرف عليه سنوياً نحو نصف مليون جنيه عدا مايتصل اليه من الهدايا والهبات وهو يقسم الى ستة اقسام :

القسم الاول وهو مايحتوي على مصوغات الزينة والزخرفة التي صنعت في كل زمان ومكان على اشكال وضروب شتى كتيجان واقراط وخواتم وقلائد مرصعة باحجار كريمة من ياقوت وزمرد والماس فمصنوعات ذهبية او نحاسية مفضضة او مرصعة بقطع كبيرة من الزجاج التي تزري بالجوهر وفي هذا القسم ايضاً مجموعة وافرة من الآنية الخزفية بين رومانيه ويونانيه واسبانوليه وعربيه الخ . الا ان اشهرها واتقنها الآنية الصينية واليابانية . وفيه ايضاً ما لا يعد ولا يحصى من المصنوعات الشرقيه كالدروع والتروس والسيوف والحراب وكلها مودعة في خزائن خاصة بها ويشتمل كذلك على كثير من النقوش والانصاب والزخارف المشهورة وتماثيل الصناع المشهورين كروفائيل وميخائيل وانجلو . وتماثيل آلهة الرومان واليونان وغير ذلك .

وتجاور هذا المتحف دار كبيرة تعرض فيها المصنوعات الهندية الفاخرة يوفر

عظيم وبجانب هذه الدار دار اخرى تعرض فيها الهدايا التي اهديت الى ولي العهد وزوجته وهي تبلغ الفاً وخمسماية هدية عظيمة بين خواتم واساور وعقود وقلائد ومراوح وكثير مما يتعذر وصفه ويطول شرحه . واما الخمسة اقسام الباقية ففي الاول مدرسة لفن التعليم وفي الثاني مدرسة لتعليم النقش والتصوير وفي الثالث مكتبة للعلوم . وفي الرابع مكتبة للفنون . واما الخامس فقد جعل معرضاً للصور ولا سيما ما صور مصورو الانجليز .

﴿ القصر البلوري . Crystal Palace ﴾

وهو على بعد اميال من المدينة يذهب اليه بالسكة الحديد باجرة زهيدة ويسير اليه قطار كل نصف ساعة . وكان في بدء نشأته مركزا لمعرض لندن العام سنة ١٨٥١ ثم نقل الى حيث هو الآن على ربوة مرتفعة وبنى له روض انيق فبلغت نفقتهما معاً نحو مليون ونصف من الجنيهات وهو على احسن اسلوب فائق الصنعة والاتقان مواده كلها من الحديد والزجاج جامع لاشتات عجائب الطبيعة والآثار الغريبة ويحتوي على كثير من الاروقة والغرف والمقاصير وكثير من الدور الرحيبة الفسيحة المشتملة على صناعة وآثار كل زمان ومكان . فمن ذلك الدار المصرية على شكل دور قدماء المصريين وعلى جدرانها وعمدها الكتابة الهيروغليفية ومثال النقوش المصرية وفيها تماثيل الفراعنة ومدافنهم وكلها على ابدع شكل واتم تقليد . ثم الدار اليونانية وهي تشتمل على الاشكال الطبيعية الجميلة البهية كتمثال الزهرة الهة الجمال وتماثيل فطاحل شعراء اليونان وغير ذلك من الانصاب البالغة اقصى درجات الجمال

والاتقان . ثم الدار الرومانية وهي تمثل ابدع ما كان يتباهى به الرومان من زخرفة وتزويق وتشتمل على تماثيل آلهتهم وقياصرتهم الخ .

ثم الدار العربية وهي على نحو ابنية العرب فائقة الصنعة والتأنيق فتمثل حمراء غرناطة بالاندلس وما كان فيها من كتابات الخط الكوفي وعلى عمدها وجدرانها مرسومة آيات القرآن الكريمه . وفي هذه الدار ممثل صناعة النقش البهيه وطرق طلى البيوت وتمويهها بالذهب وفي القصر ايضاً دار تمثل الصينيين وصناعتهم والمكثرين منهم من تعاطي الافيون وتأثيره في مناظرهم وعقولهم كل هذا بتماثيل من الشمع غريبة الصنعة ثم ان في القصر ايضاً دور عديدة لصناعة الاوروبيين . ثم معرض للوحوش والطيور وآخر للصور المعروضة للمبيع وفيه ايضاً دار لبيع التحف والبضائع . ومحل للتمثيل ويسع الفي نفس وعلى جانبيه رواقان يسع كل منهما ٤ آلاف نفس ويجلس فيهما الناس لاستماع الانغام . وفيه ايضاً عدة مطاعم ومعامل ومطابع ومكاتب وكل ما جادت به الطبيعة وابتدعته الصناعة من آثار القدماء والمحدثين وبدائع المشارقة والمغاربة مما لا يستطاع تفصيله الا بشرح واف واسهاب زائد

« البرج London Tower »

« ويسمى تور اوف لندن » وهو واقع على شط نهر التيمس . بني على ايام وليم الظافر عند ما زحف على المدينة (راجع باب التاريخ) واحب ان يسلك بالرعية بطريق الرفق ولكن اذ رأى نشوز الكثيرين عدل الى القوة والقساوة وبطش بذوي الفساد والعدوان ونزع السلاح من ايدي السكان وشاد القلاع

والابراج ارهاباً لهم وخلعاً لقلوبهم فكان من جملة ما بناه هذا البرج وفيه حصلت حوادث تاريخيه فظيعة نشأ اغلبها عن الظلم والجور

ومنظر هذا البرج كئيب اسودت جدرانه وتقشرت من مرور الايام وتأكلت ارضه من كثرة الوطء بالاقدام .

وله اربعة ابواب وهي : باب الحديد . باب الماء . باب الخائنين . ثم الباب الاسود . وهو حصن للمدينة وسجن لعقاب الخائنين من الدولة . وساحة لقتل من هبطوا من اسمى درجات المجد والسعادة الى احط درجات الخسف والهوان ومدفن لكثير من الملوك والرجال العظام فهناك ترى مدفن الملكة حنة بولين والملكة كاترين هوار وكلتاهما من نساء الملك هنري الثامن كانتا فقيرتين فاحبهما لفرط جمالهما (راجع باب التاريخ) واعلاهما مقاما شامخاً حتى تزوجهما ثم حكم بقتلهما وقد قتل في هذا البرج هنري الخامس وادورد الخامس وسجن فيه يوحنا الصالح ملك فرنسا وهنري السادس ملك انجلترا والملكه مريم ملكة سكوتلاندا بامر من اختها الملكة اليصابت (راجع باب التاريخ) وغيرهم من الملوك والعظماء . وهو ايضاً متحف للجواهر وخزانة لادوات الحرب والجلاد التي كانت تستعمل قديماً وهي موضوعة بدواليب متينة من الزجاج . ففيه تاج يقال له تاج سانت ادورد صنع لتتويج كارلوس الثاني ثم توارثته جميع الملوك من بعده وهو التاج الذي يضعه رئيس الاساقفة على رأس الملك عند تتويجه ثم يرد الى البرج . ومن اعظم التحف المودوعة فيه تاج الملكه ڤيكتوريا صنع سنة ١٨٣٨ وهو اثمن واعظم تاج في الدنيا على شكل طربوش من القطيفة الحمراء يحيط به اطار من الفضه رصعت

ويعلو حاشيته العليا مائة واثنتا عشرة لؤلؤة وحاشيته السفلى مائة وتسعة وعشرون لؤلؤه وباعلاهما حجر من الزبرجد حوله دائرة من حجارة الالماس . وازدانت جوانبه بثلاثة زبرجدات وثمانية زمردات تحيط بها احجار كثيرة من الالماس وصليب من الذهب مالطي الشكل في مقدمته ياقوتة حمراء كبيرة كالبيضة الصغيرة تساوي خمسين الف ليرة وفي اعالي التاج دائرة زنبق من الالماس وورق السنديان تتخللها اثمار من اللؤلؤ . ويقال ان جملة ما في هذا التاج من الاحجار الكريمة ٢٫٧٨٣ ويبلغ ثمنه ١١٢٫٧٦٠ جنيه

ومودع ايضاً في هذا البرج تاج زوج الملكة وهو مرصع بالدر والالماس وكذلك تاج ابنها ولي العهد . ثم صولجان الملك وعليه تفاحة مرصعة بالياقوت والزمرد والالماس ويبلغ طوله قدمان وتسعة اصابع . وفيه ايضاً كثير من الاواني الذهبية التي تعرض يوم تتويج الملك والملكه . كركاب من الذهب ووعاء للماء المبارك وطشت فضه مذهب يستعمل لمعمودية ولي العهد وغير ذلك من النفائس والجواهر التي يطول شرحها

ومما يدعو الى الاستغراب ان هذه الجواهر والذخائر واحجار الالماس والياقوت والاواني والوسامات والسيوف المرصعة بالاحجار الكريمة التي تقدر بثلاثة ملايين من الجنيهات مودوعة كلها في غرفة كئيبة المنظر سوداء الحيطان مراعاةً لقديم عوائد الانكليز واعتباراً الى ان البرج التي فيه اشهر ما بقي من قديم آثارهم

ورسم الدخول لهذا البرج شلين واحد .

وهي من الاماكن الشهيرة في لوندره

« رحبة ترافلقار Trafalgar square »

سميت بهذا الاسم تذكاراً للواقعة الشهيرة التى انتصر فيها الانجليز على الاسطول الاسبانيولي والفرنسوي بقيادة الاميرال نيلسون امير البحر وقد اقاموا له في هذه الساحة تمثالاً طوله ١٤ قدماً على عمود من المرمر يبلغ ارتفاعه ١٧٦ قدماً بلغت نفقاته ٤٥ الف جنيه وقاعدة العمود مزينة بنقوش مسبوكة من المدافع الفرنساوية التي غنمتها وكلها تمثل الوقائع الشهيرة التي ظفر بها وكتب على العمود الجملة الاخيرة التى نطق بها يستنهض جنوده وهو على آخر رمق من الحياة

« ان انجلترا تؤمل من كل انسان ان يقضي الواجب عليه »

واقيم ايضاً حول العمود اربعة اسود من صنع البرنز وفوارتان يتدفق منهما الماء امامهما تمثال تشارلس الاول . وفي هذه الرحبة ايضاً تمثال لغوردون باشا . وتمثال للملك جورج الرابع وتماثيل واعمدة اخرى كثيرة . والغياض في لندن كثيرة اشهرها

(غيضة هيد بارك Hyde Park)

وهي رحيبة الانحاء متسعة الارجاء تبلغ مساحتها ٨٧ فداناً يسكن بجاوره كبار المدينة واعيانها فيها تسعة ابواب كبيرة لمرور المركبات على الاول قوس نصر من الرخام الابيض مزدان بالنقوش والرسوم الجميلة بلغت نفقتها ثمانية الف جنيه كانت اولاً في غيضة سان جمس ثم نقلت اليها . وفي الغيضة قوس اخرى بلغت نفقتها ١٨٠٦٩ جنيه . وتمثال للبرنس البرت زوج الملكه .

البرنز المذهب بلغت نفقته مئة وعشرين الف جنيه جمع نصفها بالاكتتاب من الاهالي . وعلى القاعدة المقام عليها ١٩٦ صورة من المرمر تمثل اعاظم العلماء والشعراء والمصورين والمغنين الخ .. وهذه الغيضة من اعظم منتزهات لندن ففيها الاشجار المظلة التي تنطح بعلوها الغمام غرست اكثرها على ايام هنري الثامن . والازهار الجميلة التي تشرح الخاطر وتسر الناظر عند كل زهره ورقه مكتوب عليها اسمها . وتظل ارضها في اكثر الاوقات مفروشة ببساط اخضر سندسي في وسطها بحيرة ماء تجري فيها المياه كالفضة تحتاطها الاشجار والازهار ويطيب قلب العليل باعتلال هواءها ويكون منظرها في ايام الآحاد بهياً انيقاً فتكثر فيها الخطباء ويتزاحم حولهم الجماهير الغفيره وتتهافت اليها الاعيان والعظماء في احسن المركوب والملبوس وتخطر فيها ربات الجمال وذوات الحسن والدلال بقدود هيفاء تميل كالاغصان اذا حركتها يد الهواء باثواب فاخرة وزينات باهرة

وتتلو هيد بارك حديقة (سان جمس St James Park) وهي متصلة بها وبقصر الملكه ثم جنائن كنسنتن . KingstonGarden وكاترين بارك Catherine Park (وريجنت بارك) Regent Park وهما من حدائق الارض العمومية الكثيرة الزخارف وانواع الزهور الملونة ولكنهما دون هيد بارك في الاتساع .

اما حديقة الحيوانات المعروفه باسم

(زولوجيال جاردن Zeological Garden) فقد اشتملت على انواع الوحوش والطيور المجلوبة من كل ناحية في الارض واغلبها مقدم هدايا من

الشعب مما وصلت اليـه ايديهم . واحسن وقت تتمثل فيه للنظر حينما يقدم لها غذاءها فتندفع اليه بسرعة غريبة

ورسم الدخول الى هـذه الحديقة شلين واحد في ايام الاحد والايام المخصصه للاعلانات ونصف شلين في بقية الايام . ويدخل فيها حديقة النبات وهي روضـة فيحاء وغيضه غناء تشتمل على مختلف الازهار وانواع النبات ويتنابها اهل الثروة وربات الجمال لترويح النفس وتنزيه الطرف ويمضي كبراء الانجليز واغنيائهم بعض اوقات الفراغ في منتديات خصوصيه تعرف بالكلوب . وهي ديار رحيبه في غاية الزخرفه والاتقان منها ماهو للرجال ومنها ما هو للنساء ويجتمعون فيها للمذاكرة والمنادمة والمطالعة والاكل والشرب ويشتمل اكثرها على جميع جرائد العالم تقريباً ولا يتنابها غريب الا بصحبة البعض من اعضاؤها واعظم منتدي في لندن هو الخاص بفن التشخيص وفنون الآداب ورئيسه ولي عهد الملكه

وفيها منتديات للمصوريين وللمحامين وللاحرار وللمحافظين وللمتخرجين من مدرسة اكسفورد ومن مدرسة كمبريدج وبالجملة للاصدقاء المتشابهي المشرب . وعلى كل منتدي ان يعقد وليمة سنوية ويدعو اليها اعضاء المنتديات الاخرى . اما رسوم دخولها فانها متنوعة ولكنها ليست اقل من خمسة جنيهات سنويا عدا بعض المصاريف

(قصرسان جمس St James Palace)

من اشهر مباني لوندره وهو قديم البنيان لايستعمل الا للمقابلات الرسمية بني في ايام هنري الثامن وفيه بيعه يقام فيها الصلاة ايام الاحاد بحضور الملكة

واعاظم المملكة وكانت مقابلة الملكة الرسمية في هذا القصر ولكن بعد موت البرنس البرت زوجها لم تعد تقابل فيه سوى الرجال وتقابل النساء في قصر «بوكنهام . BuckmghamPalace »وهذا القصر مبني بجانب حديقة سان جمس وفي الدور الاعلى منه القاعة المحفوظ فيها العرش الملوكي ممثل في سقفها حرب الوردتين الشهيرة

ومن القصور المعروفة بوقائعها التاريخية

(قصر ويت هول Whitehall Palace)

وهو القصر الذي اعدم فيه تشارلس الاول ثم قصر كنسنتن Kingston Palace وقصر نشن هوس Nachen House وهو القصر الذي يسكن فيه اللورد امير المدينة

ومن اكبر مباني لوندرا بناء وستمنستر Westimnster Palace وهو محل البرلمنت يجتمع فيه مجلس الاعيان ومجلس النواب وقد انفقت على هذا القصر الى هذا العهد النفقات الطائلة لتجديده واصلاحه من وقت لآخر وفيها نحو الالف ومئة مقصورة بين كبيرة وصغيرة واحدى عشر ساحه مكشوفه وثلاثة ابراج عظيمة وكثير من الاروقة الكبيرة والاعمدة الفاخرة . وفيه الايوان الكبير الشهير بحوادثه التاريخية حيث كان يجتمع البرلمنت الانجليزي القديم . وفيه قتل كثير من الملوك كادورد الثاني وريتشرد الثاني . وفيه لقب كرمويل الشهير بحامي حمى جمهورية انجلترا ثم شهر رأسه فوق سطح هذا الايوان وفيه الآن كثير من تماثيل الملوك والامراء وصور الحوادث التاريخية والنقوش والزخارف ودلائل المجد ومايمثل مظاهر الابهة والفخامة .

يرى القارئ انا اتينا في هذا الباب على وصف موجز للصروح الفاخرة والمباني السنية والآثار العظيمة مما حوته مدينة لوندره الواسعة الاطراف الشاسعة الارجاء مأوى كبار التجار وذوي السعة واليسار وكعبة السياح ومعهد اصحاب جلائل الاعمال وما هذا الوصف وما تلك الآثار الا نذر يسير من كل كبير لايسع القلم حصره ولا وصفه وانما اتينا على ذكره لنبين للقارئ صورة حقيقة تصدق على هذه المدينة العظيمة)

الفصل الثالث

— ١ —

(قدماء البريطانيين)

CHAPTER III.

— 1 —

(The Ancient Britons)

يذهب المؤرخون الثقاة الى أنّ العنصر البريطاني تألف من أُمم مختلفة وطئت ارض الجزائر البريطانية في اوقات مجهولة قبل ميلاد المسيح وعمّرت بقاعاً كانت لدي الاقدمين مهجورة اخص تلك الامم قومٌ من الكلتيين المتصل نسبهم بجومار اكبر اولاد يافث هاجروا من نواحي بكتريان من الشرق فوفدوا الى اليونان وايطاليا وتقدموا في شمالي غاليا (فرانسا) حتى اشرفوا على المحيط الاطلانتيكي فخروا في عرض البحر واجتاز فريق منهم الخليج الفاصل جزيرة بريطانيا من قارة اوروبا علّهم يدفعون الى بلاد كريمة الارض يوسعون دائرة متجرهم فيها او يغتصبونها ويستعمرونها . فلما استقرت اقدامهم في ارض الجزائر البريطانية ووجدوها خالية من السكان طاب لهم استيطانها فاستعمروها ثم اقتفى أثرهم بحراً قوم من البلج من شمالي فرنسا واختلطوا بهم فعلموهم اصطناع الخبز وكثيراً من الاصول الزراعية . واقتبسوا صفاتهم وتطبعوا بطباعهم الشجاعة وشدة البأس .

وكانت عاداتهم في بدء الامر وحشية بدوية . اطعمتهم من ألبان الحيوانات ولحومها وتارة من الخضر او نوع من غلال ينبت في غاباتهم فيدّخرونه في شقوق الصخور . وكانت مساكنهم اكواخاً حقيرة من اغصان الاشجار وطين الارض وملبسهم في الشتاء من جلد الوحوش الضارية وفي الصيف يبقون عراةً ينقشون على اجسامهم اشكالاً واشباحاً غريبة من عصير نبات ازرق يسمى (وود) كانوا يتباهون بنقشها ظناً انها تكسبهم الهيبة والوقار في الحرب ويطوقون اعناقهم بسلاسل من الفضة والذهب

اما اسلحتهم المشهورة فكانت القوس والرمح والنشاب والبلطات والحراب الكبيره الغير المدببه ولم يكن لهم بالملاحه ادنى اهتمام بل كانت مراكبهم وقواربهم من الجدل المغطى بالجلد او من شجر مجوف كالمراكب الهنديه.

وما كانوا يحلون مكاناً مخصوصاً بل يجولون بحسب اختلاف الفصول الى حيث يجدون موضوعاً يناسبهم للاستيطان فيلقون فيه عصا الرحيل ويتخذونه محلاً لهم فيحلون في الصيف في الاوديه المخصبه وينتقلون في الشتاء الى التلال والجبال وهكذا كانوا مقيدين تحت ربقه الخشونة الى ان ابتدأت تتنوع فيهم مقتضيات الحضاره فصارت فيهم احكام عرفيه اعني ان كل عائله منهم تخضع لاحكام كبيرها الى ان انقسموا الى ثلاث رتب متباينه:

« عامة الشعب » وكانت معاملتهم كالعبيد { والاشراف } وكان كل منهم يحكم مقاطعة مستقله . ثم (الكهنه) وكانوا يقسمون الى ثلاث رتب . اختصت الاولى بنظم الاشعار . والثانيه بالترتيل والانشاد على القيثاير . اما الثالثة فكانت تعرف بالدوريده . وذهب بعضهم الى ان هذه اللفظه مشتقه

من لفظه دروس اليونانيه ومعناها شجره وكان يتخب الدرويد من اكرم العيال ويشتغلون بالدروس العقليه ومعرفة الفرائض الدينيه . ولما كان البريطانيون وقتئذ كسائر الامم الوثنيه لا يعرفون الاله الحق استبدّ بهم الدرويد وألّهوا لهم الصخور والاحجار وينابيع المياه والاشجار وعلى الخصوص شجر السنديان والرجال العظام. ثم شيّدوا لمعبوداتهم الهياكل العظيمه وذهب بعض العارفين بالعاديات الى أن الدائره الجسيمه المؤلفه من الاحجار الضخمه في مدينة ستونهنج بالقرب من مدينة سالسبوري هي من بقايا معابدهم .

وكان لهم بعض تعاليم حسنه منها الاعتقاد بالثواب والعقاب بعد الموت وتحريض الشعب على تربية اولادهم وتعويدهم الشجاعة والسخاء والانتصار لكل من استغاث بهم والنجأ اليهم . وكان من مقالهم أن من أقرض صاحبه شيئاً في هذه الحياة الدنيا يلاقيه في الحياة الآتية ومن قتل نفسه لاجل صديق له يلاقيه في العالم الآخر وغير ذلك من الاقوال التي اذهلوا بها عامة الشعب وهو غائص في بحار جهالته ثم ادعو الوحي والتوسط بينهم وبين الهتهم فصاروا اصحاب الحل والعقد وقاموا مقام القضاة والمشرعين واستبدوا فيهم استبداداً عظيماً وفرضوا عليهم الضرائب وكانوا يقدمون منهم الضحايا باضرام النار فيهم احياءً زاعمين ان الآلهة لاتسر الا بالدم .

وقد روى قيصر ان الدرويد لم يتعلموا الكتابة وان منتهى علمهم هو تناسخ الارواح بعد الموت وانعاشها لاجسام اخرى . واستمر استبدادهم بالبريطانيين حتى دخل الرومان بلادهم فاستأصلوا شأفتهم وأبادوهم عن بكرة ابيهم وذلك في عهد الامبراطور نيرون

وقد استمرت الجزائر البريطانية زماناً طويلا مجهولة تعتبر كانها منقطعة عن الكرة الارضيه حتى عرفها الفنيقيون فصاروا يفدون الى السواحل الجنوبية الغربية فيجلبون منها الحديد والقصدير وغيرها من المعادن ويحملونها الى ثغور البحر الابيض المتوسط غير انهم لم يكتبوا ادنى شيء عن طبيعة الارض وعادات واخلاق سكانها وانما يعزى الفضل العظيم في استجلاء الحقائق التاريخية عنها الى البطل الشهير يوليوس قيصر . فقد أرخها هذا القائد وكتب عنها كثيرا حين افتتحها بالجيوش الرومانية سنة ٥٥ ق . م . وذلك بعد ان صرف ثلاث سنوات متتالية يسعى في خضاع اخلاط القبائل المتنوعة التي كانت تسكن في بلاد الغاله فرنسا فطمح الى جزيرة بريطانيا لتوسيع سلطان دولة روما ورفع العلم الروماني على ارض جديدة كان عالما بخصوبتها فجمع الجيوش وحشد القوات وسافر من جوار قرية بولونياورسا على جزيرة {ديل} غير ان سكان بريطانيا علموا من بعض بحرية الغوليين بقدوم القيصر اليهم لشن الغاره عليهم فتأهبوا للدفاع وكانوا على جانب عظيم من الشجاعة والبسالة ومحبة الحرية فلما وفد القيصر بجنده ومراكبه اليهم وجد الجماهير العديدة منهم وقوفا على الشاطيء عراة الاجسام وبايديهم الحراب والبلطات فصادف منهم مقاومة شديدة لم يكن ينتظرها وساعد الاهالي توالي عصف الارياح على مراكب الرومانيين وهياج الانواء مصحوبة بالتغييرات الجوية فرأى القيصر بعين حذقه ومهارته ان وجوه تلك العواصف العبوسة تذهب ببسالة جنوده وتحدوبها الى اليأس والجزع فرجع عن تلك الجزائر بدون حرب وارجاء الفتح الى وقت آخر . فعاد الى غالياً وتأهب للاقلاع مرة اخرى في

فصل الربيع . فغشي وجه المياه بعمارة بحرية عظيمة مؤلفه من السفن والبوارج والذوارق والقوارب تحمل القوات العظيمة من الفرسان وما يتبعها من الاستعدادات المتنوعة ففاجأ بها البلاد في فصل الربيع الذي تلا ذلك الفصل من تلك السنة قبل الميلاد باربع وخمسين سنة فدوّخها واخضعها وهلعت قلوب الاهلين فدان له اكثرهم صاغرين وانتشر الرومانيون في البلاد ورفعوا فوقها العلم الروماني وادرجوها في عداد مستعمراتهم

وكان البريطانيون مقسومين وقتئذ الى اربعين قبيلة اشهرها قبيلة الكنتي التي كانت تسكن في مدينة كنت وقبيلة الترنيتيوس التي كانت تسكن في مدينتي مدلسكس واسكس . ومع مابذل يوليوس من الجد والجهد في اخضاع كل هذه القبائل لم يتيسّر له النصر التام على كل البلاد فلما تولى الامبراطور اكلوديس على رومه ارسل اليها في سنة ٤٣ الجيوش تحت قيادة اولوس بوتيوس فقاومهم اشهر قواد البريطانيين ويدعى كار اكتاكوس وحارب الجنود الرومانيه بمزيد البساله والاقدام فاضطر الامبراطور ان يفد بنفسه الى الجزيره بجنود اخرى ولبث فيها حيناً من الزمن اتخذ في اثنائه لقب برتيكوس ثم قفل راجعاً الى مقره بعد ان عهد تمام الفتح الى بلوتيوس وقسيسان وكان كلاهما من نخبة الابطال المجرّبين والشجعان المنتخبين فوقعت بينهم وبين البريطانيين الثائرين حرب عوان دارت فيها الدائره عليهم وانكسر كراكتاكوس فقبض عليه وأرسل اسيراً مكبلاً بالحديد الى رومه فلما مثل بين يدي الامبراطور كلوديوس وكان قد شاهد ماحيّره من عظمة مملكة الرومان سأله الامبراطور مزدرياً : «كيف ترى حالك الآن ايها القائد العظيم»

فاجابه وقد هتف الآواه اضاقت الدنيا بمملكة الرومان العظيمه فأدّى بها الطمع الى اغتصاب الكوخ الحقير الذي لي في بريطانيا أهذا عدل الملوك العظام، فدهش الامبراطور ومن كان حوله من جوابه واعجبوا بحسن تصرفه حتى ان الامبراطور اطلق سبيله خلافاً للعادة وقتئذ ويقال انه اقطعه قسماً من اقسام الارض الخاضعه للرومان ليحكمها

وفي عهد حكم الامبراطور نيرون استلم من قبله زمام الاحكام سيونيوس پولينوس فقتك بكهنه الدروید ولحق بهم حتى استأصل شأفتهم فهبت الملكه بواديسيا ملكة ايسيتي واثارت روح العصيان بين بعض القبائل الخاضعه لها واحرقت مدينة لوديثيوم (لندن الآن) و بعض المدن التى كان يسكنها الرومان وقتلت جماً غفيراً منهم غير ان سيوتونيوس تمكن بجيوشه من الانتقام لقومه فحارب بواديسيا وانتصر عليها في معركة شهيره وقتل من العصاه نحو الثمانين الفاً وضايق بواديسيا حتى آثرت الممات على الحياه بالاسر وجرعت نفسها بيديها كاس الحمام وذلك في سنة ٦١ للمسيح . اما سيوتونيوس فانه دام على استبداده بالبريطانيين حتى استبدلته الدوله الرومانيه بغيره من القواد الذين مازجوا الاهالي وعاملوهم باللين والرفق وكان اشهرهم يوليوس اغريقولا الذي اتاها سنة ٧٣ للمسيح واليه يعزي افتتاح جزيرة بريطانيا فتحاً تاماً وسيادة الدوله الرومانيه عليها فانه تقدم الى اسكوتلاندا بملء البسالة والشجاعة واقام صفاً من القلاع فيما بين نهري فورث وكليد في سنة ٨١ صداً لغزوات الاسكوتسيين ثم هزم قائداً عظيماً من قواد البريطانيين عند سفح جبال جراميان وذلك في سنة ٨٤ وقد تعمّد معاملة الاهالي بوجه السداد حتى مال البريطانيون الى

الرومانيين كل الميل واستحسنوا لغتهم وعاداتهم واطوارهم

وقداستمر حكم الرومانيين في الجزائر البريطانيه مدة اربعة اجيال ارتقت البلاد في اثنائها ارتقاءً عظيماً وازدادت غنى وثروة وتهذبت اخلاق الاهالي وتحسنت عاداتهم ودانوا بالديانة المسيحية وتعلموا زرع الارض وكثيراً من الصنائع وانتشرت بينهم العلوم المعروفه اذ ذاك ومجمل القول انهم ساروا في طريق الحضاره والعمران بقدر ما كانت تسمح به احوال ذلك الزمان . اما الرمانيون الذين كان عدد كبير منهم مقيماً في الجزيرة فقد انشاؤا طرقاً جميلة وبنوا المدن والقرى التي تحيط بها الاسوار الجسيمه لصد هجمات القبائل المتوحشه سكان جبال كاليدونيا ولما اضطربت احوال المملكة الرومانية واشتغلت بالحروب مع البرابرة الغوطيين بتوالي انحطاط شوكتها واقتدارها حوّل القياصرة انظارهم عن جزيرة بريطانيالانهم رأوا ان حفظ ملكهم أولى لهم من حفظ المتسعمر منها فاستقدموا الجنود والقواد سنة ٤٢٠ من الجزائر البريطانية وتركوا البلاد واهلها هدفاً لغزوات البكتين والاسكتولاندبين والسكوت ارباب السلب والنهب وقرصان البحر

— ٢ —

(الاسرة السكسونية والدانيمركية)

من ١٤٢٠ الى ١٠٦٦

— 2 —

«The House of Saxous & Danes»

ما كاد يستقل البريطانيون في شؤونهم بعد خروج الرومانيين من بلادهم حتى قام بينهم النزاع وثارت الحروب الاهلية فاستفاد السكوتلانديون والبكتيون من نزاعهم وانشقاقهم ومن غياب الرومانيين عنهم فانهالوا عليهم كالسيول الجوارف وعاثوا في البلاد مفسدين فاستنجد البريطانيون بالرومانيين فلم ينجدوهم فاضطروا ان يلتمسوا المدد سنة ٤٤٩ من جيرانهم السكسون (قبيلة جرمانيه على شواطئ نهر الالب دائبها القرصانيه والاصوصية) فاجابوا طلبهم وطرقوا الجزيرة تحت قيادة الرئيسين هنجست وهورسا وانحازوا اليهم وساعدوهم على اعدائهم وعملوا فيهم ويلاً وهواناً . ثم دوّخوا البلاد وانتشروا فيها انتشار الجراد حتى استوطنوها وحلوا فيها بدل المطرودين . ثم انضمّ اليهم امة من الانجله وهى امة جرمانيه من نسل السكسون صرفت زمانا طويلا في التنقل دون ان يقر لها قرار ثم نزلت بالدانمرك واجتازت منها الى انجلترا افواجاً فتألّف من هاتين الامتين شعب عظيم اطلق عليه اسم انجلو ساكسون جاؤا اصدقاء محالفين فاظهروا بادئ بدء للبريطانيين حباً ووداداً ثم طمعوا في مصالح البلاد فكانوا اشد عليها من الاخرين فوقعت بين الطرفين حروب سال فيها الدم انهاراً حتى كاد يفنى البريطانيون عن بكرة

ابيهم ولم يسلم منهم الا من نفر الى الجبال او من شرد الى الغاليا (فرنسا) فعمّر فيها ذاك المكان المعروف بريتاني نسبة لهم وبذلك انقرض نسل الكلتيين سكان الجزيرة الاصليين واستقل الانجلو ساكسون بالبلاد وقسموها الى سبعة اقسام سميت باسماء اعيانهم وهي : كنت ، وسكسوسينا الشرقية وسكسونيا الجنوبية ، وسكسونيا الغربية . ونورثمبريا ، وانجليا الشرقية ومرسيا ، واقاموا على كل قسم امير يحكمه فنشاء النزاع عن هذه السيادة وقامت بسببها الحروب الداخلية ، ثم استقل الملك اجبرت بملكه وكان اشدهم بأساً واقواهم جنانا فضرب الخراج على الست المقاطعات الباقية ثم ضمها جميعها الى مملكة واحدة فاسس منذ سنة ٨٠٠ المملكة الانجليزية وسميت من ذلك الحين مملكة انكلترا وكان هو اول من ملك من الدولة الساكسونية

اما الديانة المسيحية فكانت تلاشت بدخول الساكسون ثم عاد التبشير بواسطة كثير من المرسلين حتى محى اثر الديانة الوثنية شيئاً فشيئاً وعمت النصرانية البلاد في زمن قليل

وبعد موت إجبرت توارث الولاية اولاده وفي مدة حكمهم تأهب الدانيون من سكان الدانيمرك وبلاد البلتيك للاقلاع نحو الجزائر البريطانية وغزوها حيث طمعوا ايضاً بحسن موقعها وخصب ارضها فانضم اليهم بقية من البريطانيين الذين نزحوا الى الجبال فهاجموا جميعاً البلاد مراراً متوالية وصرف الانجلو ساكسون همهم الى مطاردتهم ومحاربتهم وهكذا كانت الحرب بين الفريقين سجالاً فكان السكسون ينتصرون تارةً والدانيمرك اخرى وافتتحوا من البلاد قسما كبيراً في ايام اثلبرد ثالث اولاد اجبرت واثخنوا

في اهلها قتلاً ونهباً وذبحوا اثابرد نفسه في بعض المواقع . فاختار السكسون للتملك عليهم بعده اخاه الفريد . وكان في مقتبل صباه لم يتجاوز الاثنين والعشرين من عمره الا ان مركزه كان محفوفاً بالمخاطر والاهوال فسعى جهده حتى عقد مع الدانمركيين صلحاً موقتاً ولكنهم لم يلبثوا على العهد الا يسيراً وعادوا فاستولوا على ولايات مرسيا ونورثمبريا وانكليا الشرقية ثم هاجموا البلاد فجأة بجيوش جرارة تحت قيادة قائدهم العظيم كثروم وعاثوا فيها عيثاً عظيما ففاز الفريد بنفسه وفرّ مع قليل من رجاله الى الغابات والجبال واختباء في كوخ راعٍ في بقعة منفردة محاطة بالآجام وبقي فيها مدة ستة اشهر كان يتأهب في اثنائها لشن الغارة على اعدائه ولما كان يحسن ضرب القيثارة تزيا بزي قيثاري عازف واندمس في معسكر النورمنديين متجسساً واخذ يطوف بينهم كمطرب ويراقب حركاتهم ويطلع على خفايا امورهم حتى امتثل امام قائدهم كثروم فاكرمه اذ اعجب بحذاقته وبذا ازداد الفرد خبرة باحوالهم واطلع على كل ما كانوا يدبرون عليه من المكايد فعاد الى معسكره وجمع اليه رجاله واطلعهم على ما كان من امره ثم زحف بهم على الدانمركيين وحاربهم في السهل والجبل وانتصر عليهم واسترجع بلاده واكرههم على اعتناق الديانة المسيحية واقطعهم قسما من الارض المنبسطة على السواحل الشرقية من التيمس المعروفة للآن بدانيلاغ نسبة لهم . ثم صرف جده الى ترميم المدن والقلاع التي خربت واصلح الاسطول الذي انشأه وجعل نصف الاهالي من السكان لحمل السلاح في زمن الحرب وترك النصف الآخر لحراثة الارض وزرعها ثم فرض على اهالي اسكوتلاندا

وويلس ان يطوفوا الغابات ويجمعوا منها الذئاب والوحوش الكاسرة ويقدموا له في كل سنة ثلثماية رأس عوض الجزية التي كانوا يؤدونها للملوك اسلافه وبذلك امنت السكان من الضرر الذي كان يلحقها من تلك الوحوش

ويظن البعض بانه المؤسس مدرسة اكسفورد الشهيرة وقد ترجم كثيرا من الكتب اللاتينية التي رأى فيها فائدة لرعيته وسعى جهده بتعميم الآداب والمعارف بينهم وفتح لهم بابا من الحرية حتى كان من جملة اقواله الجارية عندهم مثلا الى الآن (يجب ان يكون الانكليز احرارا مثل افكارهم) والمؤرخون منهم يعدونه من اعظم ملوكهم ولذلك لقب بالاعظم . وكان لطيف الطباع محبوبا طلق المحيا حكم سنة ٢٩ ومات سنة ٩٠ وعمره ٥٢ سنه

وخلفه اكبر اولاده ادوارد وهو اول من لقب بملك انكلترا وقد ظن الدانمركيون في بدء حكمه ان احوال المملكة التي نظمها الفرد تتضعضع بموته ولا تثبت امامهم فسعوا مفسدين في البلاد واثاروا شرر الحرب الا ان ادوارد انتصر عليهم انتصارا تاما واستأثر بالملك وحده وكانت الفريدة والدة اخيه اثلرد مضمرة له الشر تتوقع سنوح الفرص لاهلاكه حتى اذا كان عائداً ذات يوم من الصيد وقد اعياه التعب واشتد عليه الظماء عرّج على قلعة جورف التي كانت تسكنها فطلب جرعة ماء ولم يكد يدفعها الى فمه حتى اشارت الفريدة الى احد خدمها بالهجوم عليه فطعنه بخنجر في صدره خلفه صريعاً يتخبط بدمه فخلفه اخوه اثلرد ولم يكن على شيء من العقل وحسن التدبير سام الدانمركيين اشد قساوة فاشتد بغضهم للساكسون ونما الحقد بين الحزبين ثم اقترن بإمّا ابنة رتشاردر دوق نورمانديا وقد سعى بهذا الاقتران تعزيزاً

لجانبه اذ اوجس شراً من النورمنديين لان اعداءه الدانيركيين كانوا منهم ايضاً فسبق هو واكتسب قرابتهم حتى خيَّل له انه حصل بذلك على مايتمنى من السؤدد والقوة فامر السكسون بقتل الدانمركيين في مؤامرة سريه فقتلوا منهم عدداً عظيما بفظاعة لم يسمع بمثلها حتى انهم كانوا يطمرون نسائهم عاريات في حفر الى اوساطهنَّ ويطلقون عليهن الكلاب فتمزق اجسادهنَّ وتميتهنَّ موتة تتمزق لها كبد الانسانية حناناً وكانت بينهنَّ اخت ملك الدانيمرك سوين فلما طار الى الدانيمركيين خبر هذه الفظائع هاجوا وماجوا واندفعوا على البلاد بقيادة ملكهم سوين طالبين الانتقام فاقاموا الحرب على قدم وساق واستظهروا على اثلريد وضايقوه حتى اضطرَّ ان يفر الى نورمنديا بزوجته وابنيه ادورد والفرد . فاستولى على عرش الملك سوين وتوفى بعد ثلاثة اسابيع تاركاً فتوحاته لابنه كانون .

بيد أنَّ السكسون ابوا قبوله ملكاً عليهم وارسلوا يطلبون اثلرد فرجع مع زوجته الى ملكه الغابر وعاد الى طغيانه واستبداده فانتقم من الدانمركيين اشد انتقام ثم توفى في غضون اضطراب عظيم وتولى بعده ابنه ادموند من زوجته الاولى ومات هذا بعد عقده معاهدة سلم مع كانون على تقسيم البلاد بينهما وبموته انتقل الملك الى كانوت وهو اول من ملك من العائلة الدانمركية وكان حازقاً فهماً وغايةً في الشجاعة والاقدام حاز شهرة عظيمه بين ملوك انكلترا وقد بذل جهده في توسيع نطاق ملكه وحكم الساكسون والدانمركيين بوجه السداد والانصاف وتعمَّد في سائر الاحوال صيانة حقوق الطرفين فانتشر الأمن في انحاء البلاد واستتب الهدو والسلام وانعكف الشعب في

ايامه على تحصيل الفائدة والمكاسب فاستطاع السفر الى زيارة البابا في روميه وقد كتب منها الى عمّاله يوصيهم بانه لا ينبغي بان يحكم بلاده سوى بالعدل ويطلب منهم ان يسووا بين الاشراف وغيرهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها وقد حذر كثيراً من ان اولاد اثلريد يترقبان الفرص في نورمنديا فيعملان على منازعته في الملك فطلب الاقتران من إمّا زوجة اثلريد فاجابت هذه طلبه بلا تردد طمعاً في استرجاع مقام عظمتها السابق كملكة انكلترا وهكذا فقد احتفل بزفافها عليه بغاية الاحتفاء والتجلة ثم وضعت منه ولداً دعي باسمه كانوت ويعرف في التاريخ هارديكنوت بزيادة كلمة سكسونيه عليها ومعناها قوي وتوفى كانوت بعد ان حكم تسعة عشر سنة فاوصى بالملك من بعده لاكبر اولاده هارولد فاغتاظت إمّا من اهمال كانوت لابنه هرديكنوت المولود منها وطفقت تسعى سراً بين السكسون لترشيح احد اولادها لملك انكلترا فاستدعتهما من نورمنديا الفريد الاصغر مع جيش من النورمان فثار عليه اعوان هارولد واسروه مع من كان معه ثم حكم عليه بقلع عينيه لكنه ماعتّم ان مات من تأثير هذا الحكم . وبعد موته خلفه اخوه هارديكنوت وتوفى بعد ان حكم سنة واحدة وبموته انقرضت الاسرة الدانمركية التي قام منها ثلاثة ملوك

ثم عاد الملك للسكسون واحتفل الاهالي احتفالاً عظيما بتتويج ادورد ابن اثلريد عليهم فوفد من نورمنديا بعدد عظيم من اهلها الذين امضى معهم ٢٧ سنة فعزّز شأنهم واعلا مقامهم وقلّدهم زمام الاحكام فسخط الشعب لذلك وشقّ عليه هذا التميز وتألف ضده حزب برئاسة غودوين الذي كان

ادورد متزوجاً بابنته ثم توفى سنة ١٠٦٦ ولم يترك له ولداً يخلفه في الملك وهو آخر ملوك الاسرة السكسونية فانتخب الشعب من بعده هارولد اخ زوجته وابن الامير غودوين فثار عليه في بدء حكمه اخوه وطلب مساعدة النورمانديين الذين كانوا يترقبون الفرص لافتتاح انجلترا واستيطانها فدارت الدائرة على الاخوين بسبب ما كان يقع بينهما من النزاع واستولى النورمان على البلاد وانقرض حكم الدولة السكسونية بعد ان قام منها ١٧ ملكا .

— ٣ —

الاسره النورمنديه

من — ١٠٦٦ الى ١١٥٤ ق ٠م٠

« The House of Normandy »

نورماندیا مقاطعه خصبة من شمال فرنسا على ملاصقة المضيق الانجليزي تنسب اليها الدوله التي حكمت انجلترا بعد انقراض الدوله السكسونيه واول ملوكها وليم الاول الملقب بالظافر كانت إنجلترا اذ ذاك اقوى جانباً واوسع اطرافاً من امارة نوورماندیا المذكورة فكأنها ضاقت على هذا البطل حتى نزع الى التوسع بغيرها فوجّه امله الى تدويخ انكلترا وافتتاحها فجمع جيشاً جراراً قويا واتاها مدعياً انه هو الوارث الشرعى لتخت ملكها وان حقه يفوق حق هارولد اخ زوجة ادورد لان إمّا ام ادورد كانت عمة ابيه فدخل لوندرا وهو ناشر علماً كان قد باركه البابا فقابله هارولد بجيشه وبعد موقعه هائلة في هاستين لقى فيها هارولد حتفه واضاع ملكه تقدم وليم فدوّخ البلاد ودانت له الرقاب فدخلت الاساقفة في طاعته واقبلت اليه القضاة بالتاج فتوّجوه ملكا في كنيسة وستمنستر سنة ١٠٦٦ ولما استولى على سرير الملك اذل الدانيزين والسكسون والقى مقاليد القوه العسكريه والملكيه الى النورمنديين فعظم ذلك على سكان الجزيره وكادوا يتميزون غيظاً ولذا كانت كثيرا ماتجري بين الطرفين معارك تسيل فيها الدماء انهاراً ثم تلافى وليم الامور وازال ما كان امامه من الموانع واضطرّ النورمنديين والسكسون الى الخضوع له

وقبل خروجه من نورمنديا ترك ابنه روبرت نائباً عنه عليها فعضده فليب ملك فرنسا وشدَّد عزيمته حتى اضطرَّه ان يشق عصا الطاعة على ابيه ويستقل بتلك الاماره . فلما طار هذا الخبر الى وليم بادر الى محاربة ابنه العاصي الثائر فوقعت بينهما عدة حروب استطالت زمناً وقد بارز في احدها الابن اباه اذ كانا مدججين بالسلاح فطعنه طعنةً كادت تصرعه حتى اذا عرفه خجل من فعله وخرَّ بجانبه على الارض مستغيثاً فرفض الاب قبول ادنى مساعدة منه

وكان وليم مقترناً بتليده وهي اميره من اجمل وافضل اميرات اوروبا في ذلك الزمن ينتهي نسبها بالفرد الاكبر فاثَّرت فيها وطأة المخاصمة بين زوجها وولدها حتى كادت تذوب حزناً وقهراً فاضطرت زوجها على حسم النزاع والخصام فدعى ابنه وعقد معه صلات الصلح والسلام ثم استصحبه معه لانكلترا كاحد قواد جيشه الكبار . وفي مدة غيابه عن انكلتر اصلى السكسون والدانماركيين نار الثورة لما رأوا من تعدي النورمنديين عليهم فقتلوا منهم عدداً عظيماً فلما عاد وليم اعمل في المغتصبين السيف وانتقم منهم اشدّ انتقام وضبط اموال الكثيرين وفرّقها على عساكره وعلى الذين ثبتوا من النورمانديين . ثمَّ مهد الامور بهمةٍ ونشاط واخذ يسعى للتوفيق بين النورمان والانجليز وان يصوغ من لغتيهما لغة واحدة حتى يجعل انجلترا كنورمندى في كل شيء تقريباً فاخذ يمد نطاق اللغة النورمندية ويشيع استعمالها في لسان جميع السكان ويحتم بتعميم التعامل بها في سائر الاشغال فسنَّ بها الشرائع وسجَّل الاحصآت بحروفها وكانت تلك اللغة فرنساوية

مختلطة بالدانيزية بعيدة عن الفصاحة والبيان وقد بقيت مستعملة الى عهد ادور الثالث على ان اسم الانكليز اصبح مكروهاً ممقوتاً لدى النورمان كما كان اسم النورمان مغلقاً على كثير من الانجليز حتى ظنّ بعضهم ان تغلب وليم قاضٍ عليهم بالذل والانخذال الى الابد . ولم يمتزج الشعبان ببعضهما الا بعد جيل من الزمن وقد اتى وليم باعمال عظيمة لا تزال مأثورة عنه الى الآن يبدأنّ كثيراً من مؤرخي الانجليز ذمّوه تحاملاً عليه مع ان له الفضل في تأييد دولة انجلترا وجعل لها المركز الخطير بين الدول العظام وكان جميل الطلعة عظيم الشان حاذقاً بصيراً بعواقب الامور طائر الصيت في الشجاعة والاقدام والظفر في مواقع الحروب مات اثر وقوعه عن ظهر جواده وقد كان يتهادى عليه نشواناً بثورة النصر والظفر في بعض اراضي نورمنديا وذلك في سنة ١٠٨٧

وليم الثاني — وكان يدعى روفوس اي الاحمر لاحمرار شعره خلف اباه بعد موته وترك اخاه روبرت يستأثر بامارة نورماندي فوقعت الحرب بين الفريقين زماناً طويلاً . ولما ظهرت الحروب الصليبية رهن روبرت مملكته عند اخيه واخذ منه مقداراً وافراً من المال وانطلق للجهاد فسر وليم لذلك اذ رأى انه تمهد له سبيل الاستيلاء على نورمانديا التي كان يتمناها غير ان المنون عاجلته قبل ان يدرك مراده فمات وهو في الصيد يطارد الوحوش ويقال ان قوساً افلتت من يد فارس نورماندي قصداً او عمداً اصابت منه مقتلاً فخرّ صريعاً ولم يهتم احد من المملكة بالبحث عن راميها نظراً لبغض الامة له لانه كان ظالماً مستبداً

هنري الاول - وهو اصغر اولاد وليم الظافر تبواء اريكة الملك سنة ١١٠٠ بعد موت اخيه فاحسن السياسة واستمال اليه الرعيه وبعد تملكه بزمن قليل رجع اخوه روبرتس من الاراضي المقدسة وكاد يقع بينهما الخصام لو لم يسرع رئيس اساقفة كنتربوري بفض الخلاف وعقد الصلح بينهما فتنازل روبرت لاخيه عن حقوقه واكتفى بأمارة نورمنديا بعد ان اخذ عليه شروطاً كثيرة نكث بها هنري فهجم على اخيه واحضره اسيراً الى انجلترا وضمّ اليها نورمنديا سنة ١١٠٦ وساعده

وسنة ١١١٩ قام ابن روبرت لويس السادس ملك فرنسا على الطالب بثار ابيه فغاز لهما هنري . ثم نازع البابا بروميا في حق منح الوظائف الدينية وتكفل هو بها مثل سائر الوظائف ولم يكن له سوى ولد وابنة تدعى متيلدا . مات الولد غريقاً وتزوجت الابنة اولا بهنري الخامس امبراطور جرمانيا ثم اقترنت (بجوفروا بلانتاجنت) وهو كنت انجو (مقاطعة في فرنسا) فولدت منه هنري الثاني وتوفى هنري الاول بعد ان اوصى لها بالملك في حياته فاعترف لها اكابر المملكة وعظماؤها وعمّت المظالم اطرافها فقام احد اشراف نورمنديا ويدعي اسطفان ابن ابنة وليم الظافر يطالب بالملك وتواطأ الانكليز والنورمانديون على توليته لاستهجانهم تملك امرأة عليهم واشترطوا عليه ان يكون طوع ارادتهم فرضي بذلك حتى اذا ارتقى منصة الملك استبدّ بالاحكام ونشر المظالم فثاروا عليه وثارت الحروب الاهلية فاغتنمت متيلدا سنوح تلك الفرصة وهبّت باعوانها لمحاربته فانخذلت اولا ولكنها ثابرت على الحروب حتى استظهرت عليه وطرحته السجن وعادت لملكها الغابر

فطغت واستبدت وانتقمت من الاهالي شر انتقام حتى ثاروا عليها فهربت وخرج اسطفان من سجنه واستمال اليه رضا الرأي العام وقبض على ازمة الاحكام حتي توفى سنة ١١٥٤ بعد ان اقر بالخلافة من بعده لهنري الثاني ابن متيلدا

الاسرة البلانتاجينية

من سنة ١١٥٤ الى ١٣٩٩

The House of Plantagenet

سميت ملوك هذه العائلة بالبلانتاجينية نسبةً الى حشيشة كان يضعونها في قلانيسهم واول من تولى منهم « هنري الثاني » كان ميّالا الى السلم فسعى جهده كي يزيل كل ما يسبب الحروب الاهلية وقسّم البلاد الى مقاطعات اقام لها لاول مرة القضاة ونشر الآمان في اطرافها وتعمّد الحكم بالعدل في كافة الاحوال وازال ما كان للاعيان من السطوة والاستبداد واشتهر بالحلم والحزم فاحبته الرعية ثم ضمّ ايرلاندا الى انكلترا بعد ان كانت منفصلة عنها وسنّ للاكليروس نظاماً جديداً أبى الاقرار عليه رئيس اساقفة كنتربري « توما بيكيت » فوقع الخلاف بينها وطال الشقاق حتى ظعن الاسقف الى فرنسا وتقرّب من ملكها ولبث فيها حتى استدعاه هنري ثانيةً الى انكلترا فعاد الى اسقفيته ولم يرفع الحرم الذي وقّعه على الاكليركيين الذين اذعنوا الى النظام الملوكي وخالفوه فرفعوا امرهم الى الملك الذي صاح وقتئذٍ متميزاً من الغيظ « أمامن يدفع عني شرّ عنيدٍ من رعيتي لقيت منه النكد فوق

ما لقيت من المعاندين اجمع » ثمَّ هاج به الغضب حتى فاجأ الاسقف وهو في كنيسته وفتك به ثمَّ اخذ منه الندم على مافعل كل مأخذ وقاسى من عذاب الضمير ما كاد يعدمه الراحه فارسل الى رومية يستغفر البابا على ما كان منه ويعده بالاذعان لما يأمره به اذا نال منه العفو فعرض عليه البابا ان يركع على قبر الاسقف ويصلي فاطاع فعفا عنه ولكنه ما كاد يتمتع براحة الضمير التي سعى لها حتىَّ عصى عليه اولاده هنري ورتشارد وجوفروا باغراء ملك فرنسا الذي التجأوا اليه فتبعهم بالجيوش ثمَّ عقد الصلح معهم على شروطٍ بخشت بحقوقه فكمن لهم الحقد حتى مرض فمات وهو يلعنهم بقلبه ولسانه فخلفه ابنه « رتشرد » ويعرف بريكاردوس « قلب الاسد » شبَّ من صغره على حب استعمال السلاح ونظم الاشعار فنشأ شجاعاً نشيطاً وشاعراً مفلقاً وقد اخذ بناصر اليهود اذ تبوأ اريكة الملك وكان له شأن عظيم في الحروب الصليبيه التي ثارت بين المسلمين والنصارى في ارض فلسطين على الاماكن المقدسة

« وكان السبب في هذه الحروب ماحدث من ثورة التعصبات الدينية عن روايات الحجاج الذين كانوا يعودون من اورشليم وعن مواعظ بطرس الناسك وتحريضاته وكانت اوروبا قبل هذه الحروب مرسحاً لقتال مستمرين سكانها فصارت وقتئذ ساحتة اسيا . وقد تحركت وقتئذ الامم الاوروبية بفكر واحد واشترك الملوك والاشراف والقسوس والاهلون والمزارعون في هذه التجريدات الصليبية التي كانت اشبه شيء بالحمية الجاهلية. ولهذه الحرب شهرة عظيمة في التاريخ لانها من الوقائع العظيمة التي من شأنها تغيير احوال الامم ولها الفضل على تمدن اوروبا »

اما ريكاردوس فانه تحرك ايضاً مع غيره على الجهاد وباع كل مايمكنه

بيعه من الاملاك والمقتنيات التي آلت اليه بالميراث عن ابيه وأعدّ جيشاً جرارا من نخبة ابطال جيشه وسار به مع التجريدة الثالثة التي سارت الى الارض المقدسة فافتتح في طريقه جزيرة قبرص واقترن فيها بخطيبته برنغاريا وسار منها الى صور التي كانت في قبضة الصليبيين وكان فليب ملك فرنسا وباقي الطوائف الصليبية ينتظرونه بذاهب الصبر حتى اذا قدم عليهم قلدوه قيادة الحملة وزحفوا على عكا واقاموا عليها الحصار . واتّفق ان اصيب في تلك الغضون بالطاعون الذي كان فشا بين عساكر المسيحيين وروى بعض المؤرخين انه في اثناء مرضه كانت ترد عليه الرسائل الودية من عدوه صلاح الدين الذي كان نده في البسالة والاقدام وفي علو الهمة وحسن السياسة وكرم الاخلاق والميل الى الشعر والقلم وفي قيادة جيوش المسلمين فجمعت بينهما هذه الصفات المتناظرة وتمكنت المودة والصداقة رغما عما كان يجرى بينهما من الحرب والكفاح

وقد قام فليب ملك فرنسا بالهجوم على عكا اثناء مرض ريكاردوس ولكنه صدّ بالفشل فلما تماثل قلب الاسد الى الشفاء تتبع الحصار ببسالة واقدام وقام القتال بين الصليبيين والمسلمين واستمر عامين فقد فيهما من الجيشين عدد عظيم وتحمل الاثنان اضراراً وخسائر جسيمة وكانت الدائرة اخيرا على جيوش المسلمين فاضطروا الى تسليم عكا ورد خشبة الصليب فدخل الافرنج المدينة ورفع كل من ملك فرنسا وقلب الاسد علمه على برج من ابراجها ورفع ايضاً دوك استريا علمه على احد الابراج قبلهما فرأى قلب الاسد ان في ذلك اهانة فاضحة لهما فاقتلع العلم وكسره وطرحه في الخندق فحنق الدوك على

ريكاردوس وقامت العداوة في نفسه ضده

اما فيليب ملك فرنسا فانه عاد الى بلاده وابقى مع قلب الاسد عشرة آلاف من جنوده زحف بها على عسقلان ولما اشرف عليها وافاه صلاح الدين بجيش جرار مؤلف من ثلثماية الف مقاتل وهناك التقى الجيشان فماجت الارض بهما وارتوت من دمائهما وكان كل من ريكاردوس وصلاح الدين يديران رحا الحرب بكل شجاعة واقدام ففعلا فعالا تشيب الاطفال الا ان الفشل لحق بعساكر المسلمين وانهزم صلاح الدين شرّ هزيمة بعد ان فقد عددا عظيماً من نخبة فرسانه وكان النصر لريكاردوس فاستولى على البلد وباقي مدن اليهودية ورام ان يتبع صلاح الدين ويستولى على مدينة اورشليم التي كانت منتهى اربه ومناه ومطمح انظار الافرنج ومركز قوة العرب فوافاها وحاصرها وكاد يستولي عليها لو لم يقع الفشل بين امراء النصارى وكانت جنوده قد فقدت الجلد والاصطبار رغماً عما نال من الظفر والانتصار تتشوف الى الرجوع لمواطنها وكانت الاخبار ترد اليه من انكلترا تستدعي حضوره اليها وتنذره بخراب المملكة وخروج اخيه يوحنا عليه وعزم ملك فرنسا على اغتيال ولاياته الجنوبية فلم يرَ بداً من المبادرة فرجع الى عكا حتى اذا بلغه ان صلاح الدين زحف على يافا بستين الف مقاتل وان البلد في خطر من استيلائه عليها اسرع اليها واستخلصها منه ثم عقدت معاهدة الصلح بين هذين البطلين فاجتمعا واظهر كل منهما للآخر مايليق به من المودة والاحترام وتصالحا على شروط معلومة وهكذا انتهت حملة الانكليز على تلك البلاد وعاد بعدها قلب الأسد بمن بقي من رجاله فاصاب سفينته نوء شديد وفاز بنفسه مع من فاز

واختار الدخول لبلاده متنكراً كصليبي عائد من الجهاد ولكنه وقع في اسر ليوپولد دوك اوستريا الذي سبق ان اهانه امام اسوار عكا وقد طار الخبر بذلك الى امبراطور النمسا وكان من الد اعداء ريكاردوس فاشتراه بمال وافر وسجنه في قلعةٍ حتى خفى امره على قومه فسار اعوانه يبحثون عنه وكان منهم احد اصدقائه المخلصين ويدعى بلوندل سار مع من سار وهو يعزف بالآلات طائفاً في البلاد سائلاً عنهُ الرائح والغادي حتىّ اهتدى لسجنه فشرع يغني من خارج القلعة المعتقل فيها ريكاردوس لحناً كان يغنيه كثيراً فعرفه من صوته ومن اللحن فاجابه بمثله من داخل القلعة وبذلك استطلع بلوندل امره واخبر عنه قومه الذين افتدوه بالمال الكثير . ولما اطلقت له الحرية وعاد الى وطنه خلع اخاه عن كرسي الملك الذي اغتصبه مدة غيابه وعفا عنه ثمّ اعلن الحرب على فليب ملك فرنسا لانه سعى في افتتاح النورمندية التي هي قسم من ملكه وقد استمرّت هذه الحرب بينهما اربعة اعوام فتتاركا مرات وتحاربا مرات دون ان يظفر احدهما بالآخر وحاز ريكاردوس في هذه الحروب كما حاز في الحروب الصليبية شهرة عظيمة خلّدت ذكره في صفحات التاريخ الى الأبد ولما حاصر في سنة ١١٩٩ مدينة شالوس أصيب بسهم جرحه جرحاً بليغاً فاذاقه كأس المنون فدفن في روشفورت ووضع قلبه في كنيسة « روان » الكاتدرائية وهو اول من جعل على نقوده صورة اسدين فكانت من بعده علامة لملوك الانكليز

جان سان تير . — — جلس على كرسي الملك بعد موت اخيه ريكاردوس الذي لم يخلف له اولاداً شرعيين ويعرف في التاريخ (جان سان

تير) اي لا ارض له لان اباه هنري الثاني لم يورث له ارضاً فاغتصب الملك سنة ١١٩٩ من ارتور ابن اخيه حتى اذا ثار عليه مطالباً بملكه وقع في أسره فاعتقله في قلعة روان وقيل انه قتله فيما بعد بيده فاستجارت ام المقتول بملك فرنسا وطلبت منه ان يأخذ لها بثار ابنها فسعى لها لدى مجلس الاشراف الذي حكم بنزع امارة نورمنديا منه . ثمَّ قام في سنة ١٢١٣ خلاف جسيم بينه وبين البابا اغناتيوس الثالث بسبب تعيينه اسقفاً على كنتربري لم يكن راغبا فيه ولكن هذا النزاع لم يطل حتى خفض جناحه للبابا ثم تحالف مع ارثور الرابع والكونت دوفلاندر فانخذل في موقعة بوفين سنة ١٢١٤ وتضافر عليه في تلك السنة اشراف الانكليز وطلبوا منه ان يجري على قانون شارت الذي وضعه هنري الاول فسلَّم لهم بمطالبهم ونقح لهم قانوناً رضوا به على أنه ما لبث ان نقض ما ابرم فنهض الاشراف لمناوأته وانتخبوا لهم زعيماً سموه قائد جيش الله والكنيسة ودخلوا مدينة لوندرا عنوةً وحاصروا الملك فى حصنه واكرهوه على وضع قانون يضمن حريتهم وقانون آخر للاحراش فاجاب طلبهم ووضع القانونين وكانا ركناً واساساً لحرية الانكليز ومبدأً لظهور الحرية في جميع ممالك اوروبا وسبباً في تغلب مبدأ الالفة والاشتراك بين الاشراف وتعودهم على الآراء السياسة الحقة فشرعت منذ ذاك العهد العناصر المختلفة من الشعب ان تتقرَّب من بعضها وان تنضمَّ الى جسم سياسي واحد على أن الملك ما لبث ان ندم على ما كان منه فاستجار بالبابا ليعضده على ابطال هذين القانونين فاجابه الى طلبه بان حله من يمينه وحرم معارضيه من اعيان البلاد فنهض اكثرهم ضده وتواطئوا على تولية ابن ملك فرنسا عليهم وقدَّموا له

الرهائن على ذلك فوافاهم الى لوندرا واقسموا له يمين الطاعة وفي تلك الاثناء وقع جان سان تير مريضاً وتوفي في الرابع والخمسين من العمر بعد ان اوصى بالملك لابنه البكر هنري الثالث الذي رضي به الانكليز ودام حكمه ٥٥ سنة كانت كلها ثورات اهلية وقلاقل داخلية التأم في اثنائها المجلس الاعلى « البرلمنت » على النسق الذي يلتئم عليه الآن . ولما توفي كان ابنه « ادورد الاول » بعيداً عن انكلترا في الحروب الصليبية فعاد من فلسطين ومرَّ برومية وزار البابا غريغوريوس العاشر ثم مرَّ بفرنسا فاستقبله ملكها بالحفاوة والاكرام ودخل بلاده وتوَّج عليها ملكاً في سنة ١٢٧٤ فبدت منه المهارة في الاحكام ثم حمل بجيشه على امير بلاد الغال واستظهر عليه واذله وضم ولايته الى انكلترا فولدت له في اثناء هذا الفتح زوجته ايزابلا ولداً ذكرا دعاه : « برنس اوف ويلس » تخليداً لفتح هذه البلاد وقد سار هذا اللقب من بعده الى الآن على الابكار من ملوك انكلترا . وقد حاول ايضاً ادوارد الاستيلاء على اسكوتلاندا فردَّ بالخيبة ونظَّم اكثر دوائر الحكومة وادخل مجلس النواب في المجلس الاعلى. ولما توفي خلفه على كرسي المملكة ابنه « ادورد الثاني » وذلك في سنة ١٣٠٧ وكان ضعيف الجنان فاسد الاخلاق اعاد الكره على الاسكوتلانديين فانخذل فتواطأت امرأته على هلاكه مع بعض كبار المملكة وألقوه في السجن ثم قتلوه. فبايع الشعب ابنه ادوارد الثالث في سنة ١٣٢٧ بكفالة امه وتدبير مورتيمير خليلها وكانت تبغض ابنها فسعت والخليل للاستيلاء على زمام الاحكام وقتل الولد والحاقه بابيه على ان القاصر مابلغ اشده حتى اظهر الحزم واستبد بالسلطة وظن الظنون السيئة ووقع في نفسه ان قاتل ابيه انما هو مورتيمير بالتواطي

مع امه فاعتقله وامر بقطع رأسه ثم القى القبض على امه واودعها السجن حتى ماتت . فصفا له اذ ذاك الجو ولم يعد له من منازع فاستقلّ في احكامه وزها ملكه وتقدمت انجلترا في ايامه وقد جرى له ايضاً مع الاسكوتسيين عدة وقائع لم يكن له فيها الفوز تاماً . ثم طمع بملك فرنسا بناء على ان امه كانت ابنة فليب الرابع احد ملوكها . فاعد المعدات وجنّد الجنود وركب البحر من انكلترا وتقدم اليها سنة ١٣٣٨ بخمسين الف مقاتل فلاقاه ملكها باضعاف هذا العدد فعاد ولم يحدث بينهما وقتئذ قتال . ثم حاربه بعد سنتين وانتصر انتصاراً بحرياً عظيماً في سلويس وفي سنة ١٣٤٦ حصلت معركة هائلة في كريسبي انهزم فيها ايضاً الفرنساويون شرّ هزيمة وغنم الانكليز حصوناً كثيرة وقلاعاً واماكن منيعة منها مدينة كالي التي استمرت في قبضة انجلترا مائتي سنة ولما كان ادورد يحارب فرنسا كانت الملكة زوجته تقاوم الاسكوتلانديين بالجيوش الجرارة فهزمتهم شرّ هزيمة وأسرت ملكهم .

وفي سنة ١٣٥٦ حصلت واقعة « پواتيه » المشهورة بين ادوارد برنس اوف ويلس ابن ادوارد الثالث الملقب « بالامير الاسود » لسواد درعه وبين يوحنا الصالح ملك فرنسا فانكسرت الجنود الافرنسيه وولّت مدبرةً امام الجنود الانكليزية وأُخذ ملكهم اسير حرب ومات مرهوناً في انكلترا . ومن ذاك العهد اخذ شأن فرنسا ينحط بسبب نزاع امراء المملكة والثورات الداخليه التي اهرقت فيها دماء كثيرة فزحف عليها ادورد في سنة ١٣٥٩ وعاث في ارضها وحاصر ريمس اذ كان مطمح انظاره ان يتوّج فيها ولم يعد عنها الا وقد امتلك ارضاً واسعة الاطراف ومقداراً من المال وافرا .

على ان الحروب قد امتدّت بين الانكليز والفرنساويين من سنة ١٣٣٧ الى سنة ١٤٥٣ كانت تشبُّ نيرانها من وقت لآخر فسفكت فيها سيول من الدماء وتأسست بسببها العداوة بين الأُمتين ولها في التاريخ شهرة عظيمة وتعرف بحروب «المائة سنة» اكتسبت منها انكلترا مجداً عظيماً . وقد وقعت في عهد حكم فيليب السادس دوقالوا وجان الثاني وشارل الخامس وشارل السادس وشارل السابع من ملوك فرنساوادوارد الثالث ورتشرد الثاني وهنري الرابع وهنري الخامس وهنري السادس من ملوك انكلترا

وكانت لغة انكلترا الرسميه قبل ادورد اللغة الفرنساوية فاستبدلها ادورد بالانكليزية وساعد الفنون الجميلة كالشعر والنظم والرسم الخ وبذل الجد في ترقية الصناعة . واشتهر في حكمه «يوحنا ويكلف» بمبادئه البروتستانية وبارائه ضد البابوية حتى اضطرتهم ثورة الخواطر التي ثار شرارها في كافة الانحاء الى عقد مجمع في مدينة لندن والحكم على هرطقة تعاليمه وقد عظم هذا المذهب وامتدّ في البلاد بينما كانت الحرب قائمة على قدم وساق في فرنسا . وفي سنة ١٣٦٧ توفي الامير الاسود وتبعه ابوه بعد سنة وخلفه «رتشرد الثالث» ابن الامير الاسود وكان كثير الانهماك في اللذات مبذراً للاموال علا اريكة الملك وله من العمر احدى عشرة سنة فلم يعارضه معارض ولا تصدّى لهُ احد من اخواله واعمامه وهم الدوك اوف لانكاستر والدوك اوف يورك والدوك اوف كلوستر . على أنهم ولو لم يحملوا عليه جهاراً فقد دسوا الدسائس ووجهوا التفات الشعب الى ما كان عليه من محاضرته لندماء فاسدي الاخلاق فاضطربت المملكة في بدء حكمه واستاء الجمهور من سيرته وفي سنة ١٣٩٧ فتك

بالدوك اوف كلوستر وضبط املاك الدوك اوف لانكاستر ونهض بجنوده في سنة ١٣٩٩ لاخضاع الثائرين من الايرلنديين وولى نائباً عنه الدوك اوف يورك فاغتنم اعداؤه في غيابه الفرصة واقاموا ملكاً عليهم الدوك هرفوردر ابن الدوك اوف كلوستر فاستولى هذا على لوندرا وقويت شوكته وغالب رتشارد حتى سلم نفسه اليه وتنازل له عن الملك أما الدوك هرفورد فلم يطلق سبيله بل سجنه في حصن لوندرا الحصين ثم نقله الى سجن بونفراك حيث اقام فيه زمناً ثم انتزع من الحراس سيفاً قاتلهم به وقتل اربعة منهم ثم قتل نفسه وكانت به نهاية العائلة البلانتاجينية

٥

« اسرة لانكاستر ويورك وحرب الوردتين »

«The House of Lancaster & York & the War of the Roses»

« من سنة ١٣٩٩ الى ١٤٨٥ »

فاز الدوك اوف لانكاستر بملك انكلترا بعد ان قتل رتشرد الثالث سنة ١٣٩١ ولقب بهنري الرابع فعلا اريكة الملك في حياة الدوك اوف يورك وهو احق بالملك منه فكان ذلك منشأً للفتن الاهلية . وفي يوم تتويجه نشر يقول بأنه قبض على زمام الملك بحق الفتح من بعد تنازل رتشرد له وبحق كونه اقرب وارث ذكر لادوارد الثالث وصادق البرلمان على منشوره وأيدّه بصك يثبت التملك في خلفه وحرمان الدوك اوف يورك .

وكانت ايامه كلها ثورات وحروب مع العصاة الاسكوتلانديين انتصر عليهم مراراً وتوفى سنة ١٤١٢ وقد اوصى قبل وفاته بشهرين بالملك من بعده لابنه « هنري الخامس » وكان شجاعاً جسوراً اشهر الحرب على فرنسا سنة ١٤١٥ فافتتحها وظفر باكثر ثغورها البحرية وتوغّل في اواسط البلاد واقام عليها الحكام من قومه فانتشرت الجنود الانكليزية في انحائها وقد نال ما نال من هذا الفوز السريع اثر الهرج والاختلاف بين الفرنساويين وانقسامهم احزاباً . ثم تزوج بكاترين ابنة شارل الرابع ملك فرنسا . وجمع بذلك تاجي انكلترا وفرنسا على أنه لم تطل مدة حكمه ولم يهنأ بثمرة فوزه حتى توفي سنة ١٤٢٢ فى ابان عزه وشرخ صباه وعمره ٣٤ سنة . فخلفه ابنه

« هنري السادس » وقد أقيم على المملكتين وتوج بالتاجين وهو لا يزال في حضن مرضعته في الشهر التاسع من عمره فكان كفيله في نيابة فرنسا الدوك دوبدفورت وكفيله في ملك انكلترا الدوك اوف كلوستر . وكان بدء حكمه مقروناً بالسعد . اما فرنسا فانها صارت مملكة انكليزية في كل احكامها وبقيت على ذلك حتى ظهرت فيها الفتاة الباسلة « جان دارك » التي لم تكن تتجاوز الثامنة عشر من عمرها فقادت جيشاً فرنساويا قليل العدد طاردت به الجيوش الانكليزية وفعلت فعالا ادهشتهم بها وانتصر الفرنساويون انتصاراً عظيماً وانهزمت الجنود الانكليزية شرّ هزيمة وانجلت عن اكثر البلاد التي فتحوها ولم يعد لهم سوى كالي ومدينتين صغيرتين . وفي سنة ١٤٤٥ عقد الصلح بين الفرنساويين والانكليز وتزوج هنري باحدى بنات امراء فرنسا واسمها مرغريت رانجو . ولم يكد يتم الصلح مع فرنسا حتى قامت الحرب الاهلية في انجلترا وهي الحرب المشهورة « بحرب الوردتين » استمرت نحواً من ثلاثين سنة واسبابها ان عائلة يورك نازعت في الملك عائلة لانكاستر . فانقسمت انكلترا الى حزبين كبيرين واتخذ الاهالي شعاراً دالاً على التبعية يمتاز رجال الواحد عن الآخر بوردة يضعونها على صدورهم فكان حزب اليوركيين اي التابعين للدوك اوف يورك شعارهم الوردة البيضاء وحزب الانكستريين التابعين للملك شعارهم الوردة الحمراء . ومن ذلك سميت هذه الحرب بحرب الوردتين

فلما عقد الصلح مع فرنسا وتزوج ملك انكلترا بامرأة فرنساويه . تذمّر الشعب فقام رتشارد اوف يورك بانصاره محارباً فكانت له الغلبه وانتصر في

موقعة سنت البان سنة ١٤٥٥ وأسر الملك واتخذ لنفسه لقب حامي الملك فهبت وقتئذٍ زوجة الملك الاسير وهيَّجت كونتيات الشمال على عائلة يورك فانكسرت اولاً ثم حشدت جيشاً آخر غلبته به شرَّ غلبة بالقرب من وكفلد وقبضت عليه وقطعت رأسه وتوَّجته بتاج من ورق مقصوص ورفعته على اسوار المدينة وقبضت على ابنه روتلاند وهو يعجل بالفرار فلما مثل امامها ركع على قدميه يطلب منها الحياة بعفوها عنه فابتدره احد القواد بقوله « ان اباك قتل ابي فلا بُدَّ من قتلك وانصارك » قال هذا وطعنه بخنجر القاه صريعاً يختبط بدمه . فكان موت هذا الفتى علةً لفظائع تقشعرُّ منها الابدان اذ تأصَّل الحقد في الصدور ونصبت المشانق يشنق فيها كل قبيل أسراه بلا شفقة ولا مرحمة .

وقام وقتئذٍ « وادويك » احد انصار بيت يورك وفتن رعاع لوندرا فنادوا بابن الدوك اوف يورك ملكاً باسم « ادوارد الرابع » في سنة ١٤٦١ وكان هذا الشاب جميل الطلعة محباً للهو سفَّاكاً للدماء لم يحكم كثيراً حتى قامت الملكة مرغريت زوجة الملك الاسير تسعى في خلاص زوجها واظهرت من الهمة والنشاط ما تقصر عنه هِمم الرجال العظام فالقت الفتن بين رؤساء حزب اليوركيين حتى وقع الخصام بين وادويك قائد الحزب وبين الملك الجديد فانتصر الاول للملك الاسير واخرجه من السجن واعاده للملكه الغابر فعادت الحرب بين الحزبين وكانت الدائرة على اليوركيين ففاز الدوك يورك بنفسه وولىَّ الى مدينة كالي في فرنسا يتأهب لاستئناف الحرب فاعاد الكرة في سنة ١٤٧١ وانتصر في واقعة بارنت وقتل وادويك في تلك المعركة ثم أسر

الملكة مرغريت وابنها والقاها في السجن حيث قتلت نفسها وقتل بعدها زوجها ولم يعد بعد ذلك من ينازعه في الملك الا انه استبدَّ في الاحكام فسام السكان أشدَّ القساوة ثم انتقم من اخيه افظع انتقام فأماته في برميل من الخمر وتوفي سنة ١٤٨٣ بعد ان ترك ولدين وست بنات تزوَّجت اكبرهن بهنري السابع .

وكان رتشرد الثالث دوك جلوستر وصياً على الولدين فطمع بالملك لنفسه وأباد مقاوميه من الحزب الملوكي وأمرَ بخنق الاخوين وألَّف له حزباً بايعه بالملك فاضطرَّ ايضاً المجلس الاعلى الى مبايعته على انه استبدَّ كغيره في الاحكام واساء الى اليوركيين واللنكستريين معاً ولم يستمل اليه من الحزبين أحداً وأساء ايضاً الى الدوك بوكنهام وكان اخلص الناس اليه . فقام هنري تيودور دوك رونشموند ابن مرغريت من نسل اللنكستريين وتقرب من اليوركيين باقترانه باليصابات اكبر بنات ادوارد الرابع فاستمال اليه بسبب هذا الاقتران ميل الحزبين وجمع حق الاثنين ولما كثرت انصاره قام بهمة واقدام مطالباً بالملك واشهر الحرب على الدوك جلوستر فكسره والقى القبض عليه ثم قتله فانقرضت بذلك العائلة اليوركية وانتهت حرب الوردتين التي دامت ثلاثين سنة أهرقت فيها الدماء كالسيول وراج سوق الهلاك والاعدام رواجاً لم يكن له مثيل فسلب الامن العام وصارت القوة للكبير والعظيم وعدل الفلاحون عن الزرع مخافة الاتحرق الحرب مزروعاتهم بنيرانها وتدمرها الخيل بحوافرها وعمَّ الفقر البلاد حتى صار الاهلون لا يورثون الا الملابس وجملة القول إن الجيل الخامس عشر كانت نهايته على انكلترا وفرنسا واوستريا والجرمانيا من اسواء الايام التي مرت على الانسان .

٦

« اسرة تيودور »

من ١٤٨٥ الى ١٦٠٣

The House of Tudors

ما انتهت حرب الوردتين بين عائلتي لانكاستر ويورك وانقرضت الاولى فآل الملك للثانية حتى كثرت المؤامرات وطمع بعض المغتصبين بالملك وكان من اخصهم دجّالان ادعى احدهما وهو ابن خباز انه ابن اخ الملك ادورد الرابع لما كان بينهما من اوجه الشبه فعضده الايرلانديون وبعض اكابر المملكة في طلبه فسار على انكلترا بجيش جرّار لم يمدّ له الانكليز ادنى مساعدة فانخذل وقتل وهو يولي الفرار . اما الثاني فكان ابن جزّار ادّعى انه احد الاميرين الصغيرين اللذين قتلهما رتشرد الثالث فالقي القبض عليه وأُلحق بخدم المطبخ الملوكي .

وكان هنري السابع رئيس هذه العائلة ميّالا الى السلم فنشر الامان في انحاء البلاد وسنّ مشروعاً عظيماً قاضٍ بان لا تشهر احدى الدول الحرب الا بعد توسط غيرها وتعذر اطفاء نارها وقد سعى جهده في محو ما بقي للاشراف من النفوذ والسطوة . وكان دأبه حشد المال فباع الى كارلوس الثامن ملك فرنسا مقاطعة بريتاني بار بعمائة الف ليرة . ثم فرض على رعيته الضرائب الفادحة حتى خلف في خزائنه نحو العشرة ملايين من الجنيهات .

وخلفه ابنه « هنري الثامن » توّج ملكاً على انكلترا وهو ابن ثماني

عشرة سنة . وقد جمع بين العلم والظلم والشجاعة والاستبداد وكان سريع الغضب كثيرا ما أمر بقتل رعاياه وهو في حدة خلقه . اصلح حال الاساطيل الانكليزية ونظّمها وسنّ القوانين للجنود وامر بزرع الاشجار لبناء السفن وقد بنيت في ايامه بعض المراكب الكبيرة التي سميت باسمه . وضمّ مقاطعة ويلس الى انكلترا ومنحها حق ارسال مندوبين من قبلها يحضرون في مجالسها. واهتم في ايامه المجلس الاعلى لتقرير وراثة الملك وعضد الاصلاح وأمر بترجمة الكتب المقدسة الى اللغة الانكليزية وقد اكثر من التداخل في شؤون الممالك الاوروبية . واتحد مع عمه ملك اسبانيا لمحاربة فرنسا وفي سنة ١٥١٢ حدثت واقعة هائلة بين العمارتين الانكليزية والفرنساوية قرب برست وهناك استعملت المدافع اول مرة في البحر .

ومما يروي عنه انه اقترن بست نساء عاملهن الواحدة بعد الاخرى بالتوحش والقسوة . كانت اولهن كاترين دراجون زوجة اخيه ولد له منها عدة اولاد ماتوا صغاراً ما عدا ابنة تدعى ماري فتمنى ذكراً يخلفه في الملك ومال عن الملكة الى وصيفتها حنه بولين راقت هذه في عينيه لما بدا له من بهاءها وذكاءها فعلقها وطلب من البابا طلاقه من كاترين واتخاذها بدلاً عنها فأبى عليه ذلك فشقّ عصا طاعته الدينية واعتنق المذهب البروتستانتي وتعصب له حتى امر بقتل من لم يعتنقه ودعا نفسه رئيسا للكنيسة الانكليزية واقترن بحنه بعد خصام خمسة اعوام انجلى عن حكم رئيس اساقفة كنتربري بفساد اقترانه بكاترين من اوله وان حنه هي امرأته الشرعية وهكذا توجت ملكة على انكلترا باحتفال عظيم وولدت منه الملكة الصيابات . ولما ابتدأ يكرهها ويميل

عنها الى جان سيمور اتهمها بامور كثيرة واعدّ للفحص عن سيرها لجنة تألفت من بعض اللوردات كان منهم والدها فقرّرت انها اتت المنكر مع الموسيقي وبعض الحشم الخاص فامر الملك بخنق بعض المتهمين وقطع رؤوس البعض وحوكمت هنه بولين امام لجنة اخرى تحت رئاسة عمها فحكم عليها بقطع رأسها وقد اظهرت من العظمة والسيف مشهر فوق رأسها ما يفوق تصوره الوهم . اما هنري فانه شغف بحب ابنة فقيرة تدعى كاترين هوارد كان عالقاً بها احد لوردات المملكة مالت عنه الى الملك ثم اجتمعت به في مقصورتها وكان اخيرا من حظهما ان قتلا في برج لوندرا ومات هنري في سنة ١٥٤٢ وله من العمر ٥٦ سنة

(وقد مثلت هـذه الواقعة بقلم شقيق واضع هذا الكتاب في رواية تشخيصية تعرف برواية مطامع النساء)

وخلف هنري ابنه ادوارد السادس ما حكم غير مدة قصيرة حتى توفى في زهرة صباه فتولت بعده ماري شقيقته اكبر بنات هنري وهي المعروفة بسفاكة الدماء لانها كانت شديدة التمسك بالمذهب الكاثوليكي فاتخذت سلطانها واسطة لنشر المظالم الفظيعة ضد البروتستانت حتى كانت تأمر بزج من لم يكن كاثوليكيا حياً في اتون النار ثم اقترنت بفليب الثاني ملك اسبانيا تحمساً لمذهبها واشهرت الحرب على فرنسا انتصاراً لزوجها وما عادت تلك الحرب على انكلترا سوى بفقد مدينة كالي آخر مابقي لها في فرنسا وماتت ماري وهي في اتعس حالة بعد ان حكمت خمسة سنوات .

وخلفتها اليصابات اختها . وقد تفردت هذه الملكة عن الجنس اللطيف

وتميَّزت بمزايا نادرة المثال فكانت زكية الفؤاد سريعة الخاطر جمعت بين سمو مدارك الرجال العظام وشدة الميل الى الغضب والاستبداد في الاحكام وازدانت ايضاً بمحاسن النساء وشدة انفعالهنَّ وكبرياءهن فكانت تتزين وتتبرج وتتعار من الحسان حتى لم تطق ان ترى احسن منها وجها في عصرها. تعلَّمت اللغات اللاتينيه والفرنسوية والايطاليانيه والاسبانيوليه والفلمنكيه وترجمت مؤلفاً من اللغة الايطاليانية الى الانكليزية وكانت تقضي اكثر اوقات الفراغ في مطالعة التاريخ .

اما الانكليز فقد اقتبلوا خبر تبوأها اريكة الملك بالاحتفاء والسرور وأملوا منها الخير لما قاسوه من المظالم في حكم اختها ماري السفَّاكة فحقَّقت بذلك آمالهم ولاحظت القسط والعدل بينهم وشملتهم بفضائل كثيرة واختارت لان يكون وزيرها الاول وليم سَسِل الشهير فخدمها خدمة صادقة وتهالك في السهر على مصالح البلاد حتى شغل مكانة سامية بين رجال عصره

وقد اخذت بناصر الحزب البروتستانتي فانتشر بحمايتها في انحاء اوروبا انتشاراً عظيماً وحاول كثيراً البابا بيوس الرابع ان يردها الى المذهب الكاثوليكي فذهبت مساعيه ادراج الرياح

وفي سنة ١٥٦٣ طلب اليها البرلمنت ان تتأهل لان إرث الملك كان من صالح المملكة فتقدَّم لها الراغبون من اشراف البلاد واعيانها افراداً وازواجاً وطلبها ايضاً شارل التاسع ملك فرنسا ثم كارلوس ابن امبراطور المانيا وفليب الثاني ملك اسبانيا زوج اختها فامتنعت ورفضتهم جميعاً واظهرت انها تكره الزواج وتفضل ان تبقى حرةً على جسدها كما هي على مملكتها ولكنها كانت

علقة بحب احد كبار مملكتها ويدعى « إرل لستر » شغل فى جنانها المنزلة العليا فعلقت عواطفها عليه وازدادت له يوماً فيوماً تعطفاً وتوددًا فلعبت به المطامع حتى خيَّل له انه لم يعد عليه إلا ان يمدَّ يده ويضع تاج المملكة على رأسه ويصير فخر الامة ورأس المملكة الانكليزية ولذلك فتك بزوجته ظلماً وعدواناً غير ان الملكة لم تحقق احلامه فكانت في حبها شديدة الانفة والعزَّة

وقد تداخلت كثيراً فى شؤون اسكوتلاندا وانتصرت للبروتستانت فيها فعظم شأنهم حتى ابغضوا ملكتهم « ماري استوارت » التي كان ينظر لها كاثوليكيو انكلترا واسكوتلاندا كمنقذة مذهبهم من المذهب البروتستانتى ومن اليصابات زعيمته وزاد بغض الاسكوتلانديين لها قتلها لزوجها واهاجهم فعلها هذا فزجوها في معقل حصين وساموها جحد مذهبها علناً فأبت ولبثت سجينةً حيثما تمخضت عن ولدها جيمس الاول الذي وحَّد مملكتي اسكوتلاندا وانكلترا فيما بعد ثم ارسلت تستجير بحمى ابنة خالتها اليصابات فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار فان اليصابات استقدمتها اليها بأمان ثم امرت بزجها في السجن وبقيت فيه مدة ١٨ سنة اتخذت في اثنائها وسائل جمة للخلاص فلم تفلح حتى اوجست اليصابات خيفةً على نفسها اذ قام حزب يدس الدسائس فعقدت مجلساً حكم على ماري بالقتل في سنة ١٥٧٧ ثم قتلت معها ايضاً كثيراً من المتآمرين

وفي مدة حكمها حصلت في فرنسا مذبحة مارى برثلماوس الشهيرة سنة ١٥٧٢ وقد نشأت عن النزاع بين البروتستانت والكاثوليك وكان ملك فرنسا وقتئذٍ بالاسم فقط شارل الملقب بالضعيف واما المالكة فعلاً فكانت

امه « كاترين» وهي التي اضطرته الى اصدار الاوامر بذبح البروتستانت فاصدرها وجرت الدماء سيولاً في كل مدن فرنسا وقراها وقدّر عدد من قتلوا بخمسين الفاً تقريباً .

هذا وان العقائد الدينية كانت قاسمةً وقتئذٍ دول اوروبا الى شطرين الدول الكاثوليكية والدول البروتستانية ودامت نيران الحروب والفتن مشتعلة بينهما تارة تحوز النصر فئة وطوراً تفوز به أخرى وكان ذلك منذ بداية القرن السادس عشر الى منتصف القرن السابع عشر ولم تعقد شروط الصلح النهائية الا في سنة ١٦٤٨ وهي شروط وستيفالي الشهيرة وكان سكان اوروبا واكثرهم من الفرنساويين والهولانديين والجرمانيين يتركون بلادهم ويطوفون البلاد طالبين حرية الدين فأمّا اكثرهم انكاترا واستجاروا بحمى اليصابات ونشروا ما يلمون به من الصنائع والفنون فادخل الهولانديون الشاي والجرمانيون الساعات وعلّم الفرنساويون الاهلين اشياء اخرى كثيرة مما كان مجهولا او غير متقن وعرفت زراعة البطاطا والتبغ كل هذاساعد على تقدم البلاد ونجاحها .

وكان البابا سكستس الخامس وفليب الثاني ملك اسبانيا من الداعداء اليصابات فجاوزا الطور بمناوأتها ومخاصمتها اما هي فتأهبت للكفاح بهمة الابطال . وكان فليب قد ارسل جيوشه الى هولاندا لنشر المذهب الكاثوليكي فيها فشنت عليها الغارة ودمرت مساكن الاهلين واتت من الفظائع والمنكرات ما تقشعرُّ له الابدان وتتمزق منه كبد الانسانيه فارسلت جنودها لخلاصهم وبادئتهم بالجميل والمعروف فظفروا بالحرية

الدينية والمدنية معاً حتى تعلقت قلوبهم بحبها وطلبوا منها ان تكون ملكتهم فامتنعت

ولما انتشبت نيران الحرب بين فرنسا واسبانيا أمدت ايضاً الفرنساويين بالمال والرجال واصدرت اوامرها الى عماراتها البحرية بان تناويء اسبانيا في شواطيء مملكتها فعادت لها ظافرة غانمة وهكذا فقد كانت على تلك البلاد صاعقة سخط ونقمة . حينئذٍ اشهر عليها البابا حرباً صليبية وادّعى فليب أنه الوارث الشرعي لعائلة لانكاستر بعد زوجته ماري فجهزا عمارة بحرية عظيمة وهي « الارمادا » الشهيرة وكانت مؤلفة من عدد وافر من بوارج حربيه وبوارج اخرى كثيرة لنقل المهمات وارسلها تحت رئاسة القواد المجربين لافتتاح انكلترا واخماد سطوة اليصابات ولكن السفن بمسيرها اتتها من الارياح مالا تشتهيه فهاجت عليها انواء شديدة اعدمت جانباً عظيماً منها وما بقي بعد صبر عليه قواد البوارج الانكليزية حتى قربت منهم فاطلقوا عليها المقذوفات النارية فدمرتها عن آخرها ومن ذلك العهد انحطّ شأن اسبانيا بعد ان كان لها المقام الاول بين ممالك اوروبا والسيادة العظمى على البحار والامصار

ولمّا كثرت الشركات التجارية التي كانت تذهب الى الاقطار السحيقه بقصد التجاره واستكشاف البلدان امرتها الملكة اليصابات بتسليح مراكبها واستخدمت بعضاً من ظباط هذه المراكب في العمارة الملوكية وقام في ذلك الحين كثير من القواد الذين احلوا العمارة الانكليزية المحل الاول نظير دراك ورالي وهوكنس وهورو وغيرهم

ولبثت هذه الملكة تحبي ملكها البهاء والفخر وحبها لارل لستر يزداد

يوماً فيوماً وكثيراً ما كان يخونها وكانت تسامحه حتى لم تعد تطاق صبراً على فراقه فعرضت على وزرائها بان تجعله ثانياً لها في المملكة فعارضوها اولاً ثم طلبوا مدة لفحص طلبها توفى في غضونها فابكته طويلا حتى سطا على قسوة قلبها شاب في مقتبل العمر وزهرة الحياة فرقّته الى أعلى المناصب وغمرته بالانعام ثمّ خانها ومال عنها الى غيرها واقترن بها فخيّمت عليه ظلمات غيظها وزجته في السجن ثم لم تلبث ان انقلبت عنه من الجفاء الى الرضا فاخرجته من السجن وأمّنته بوادر غضبها ثم ارسلته في مهمة الى ايرلاندا لم يفلح بها فعاد رضاها عليه الى السخط وجاهر هو ايضاً بالعصيان فامرت بمحاكمته وقتله ولكنها لم تستطع التجلد والصبر على فراقه فبكته بدموع سخينه رغماً عما اشتهرت به من تغلبها على عواطفها ثم استسلمت للحزن والقهر نادمةً على ما فرط منها وأثرّ الهزال في جسمها فلحقت به بعد سنين وتوفيت وهي في السبعين من عمرها وبوفاتها انقرضت الاسرة التيودريه وحكم هذا الملكة في التاريخ الانكليزي من ازهي الايام وازهرها فقد كان عهد الاختراع والاكتشاف والتقدم والنجاح فعملت المركبات وازدادت الاساطيل البحريه ودار الانكليز حول الكرة الارضيـة وتأسست لاول مرة الشركات التجارية في الهنـد واميريكا ونشأ في الانكليز حب الاستعمار والاسـفار واتسع نطاق التجارة وتوفرّت اسباب العمارة وضرب الامن اطنابه في اطراف البلاد ونبغ عدد وافر من العلماء والشعراء والفلاسفة ورجال الحزب والسياسيين والمؤرخين منهم اللورد باكون الذي حوّل مجرى العقول عن السبل اللاهوتيه الى السبل الطبيعية بتآليفه الفلسفية ومنهم وليم سسل الشهير والسر

ولتر رالي المؤرخ وشاكسبير الشاعر وغيرهم من مشاهير الرجال الذين نبغوا في مطالب مختلفة فجعلوا لانكلترا مقاماً عظيماً حتى صارت فى حكم اليصابات محتد المدنية ومعدن الثروة وقطب دائرة العلوم والمعارف

٧

« أسرة ستوارت »

« The House of Stnarts »

رأس هذه العائله « جمس الاول » ابن ماري ستوارت دُعي ملكاً على سكوتلاندا حين ولادته بوكالة عمه وحماية اليصابات التي اقرت له في حياتها بالخلافة من بعدها . ولما توفيت توَّج ملكاً على انكلترا وضمَّ اليها سكوتلاندا فاتحدت وقتئذٍ المملكتان وصارتا مملكةً واحدةً . وكان جمس خشن الطباع ضعيف الرأي فاسد الاخلاق قبيح المنظر نهج على سياسة عوجاء في كل أعماله واعاد المظالم على الكاثوليك مما حمل الشعب وخدمة الدين الى بغضه واحتقاره فتألب عليه بعضهم واتفقوا على وضع لغماً من البارود اسفل قاعة البرلمان واخذوا يترقبون وقت التئامه وكان بينهم ابن اخي اللورد مونتجلو من اعضاء البرلمان فكتب الى عمه يحذره من حضور تلك الجلسة في اليوم الموعود واوضح له السبب في ذلك فأخذ هذا الكتاب واطلع الملك عليه الذى امر بالقبض على المتآمرين وشدَّد الوطأة على الكاثوليك وحرمهم من التمتع باكثر الحقوق وقضي عليهم بالبعد مسافة خمسة عشر كيلومتراً عن عاصمة المملكة

ورام ان يستبدّ في الاحكام بلا منازع فجاهر في البرلمان بأنّ للملوك امثاله حقاً الاهياً فاذا عدلوا او ظلموا واذا فعلوا ما شاؤا فلا نقض ولا ابرام فساء هذا التصريح اعضاء البرلمان وسعوا في وضع حد لحقوق الملوك على الرعايا وفي مدته اشتهر الدوك بكنهام وحكم اثنين وعشرين سنة انحطّ فيها شأن انكلترا وصار دون ما كان عليه في عهد الملكة اليصابات .

وقام بعده ابنه « تشارلز الاول » سُرَّ الشعب لدي تبوأه اريكة الملك واملوا منه الخير لما اشتهر عنه من الاخلاق الحسنة وقد اقترن في عهد ابيه بهنريت ابنة هنري الرابع ملك فرنسا وكانت كاثوليكية المذهب فعضدت الكاثوليك حتى كاد المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي ان يكونا على على قدم المساواة بيد انه اخلف ظن الشعب فيه واثار الاضطهاد على الكاثوليك ورام ان يستبدّ كابيه في سلطته معتقداً مثله بان عامة الناس ما خلقوا إلاّ لتسلط الملوك عليهم تسلطاً مطلقاً فشرع في حل البرلمنت الممثل لهيئة الامة إلاّ ان اعضاءه تصدوا له معارضين فعزلهم واستبدلهم بغيرهم كانوا اشدّ مقاومةً من المتقدمين حتى اذا اضاق ذرعاً عن اذعانهم لرغائبه ابطل مجلسهم واستقلّ بالاحكام احدى عشرة سنة يعضده اثنان من اخص مستشاريه وهما « لود » وإرل ستْرافورد » فحتم على القسوس بان لا يعظوا في الكنائس وعلى الاهالين بان ينقطعوا عن التعبد فيها واضطهد بعضهم حتى اضطرهم ان يهجروا مواطنهم افواجاً افواجاً ويستوطنوا الجهات الشماليه من الولايات المتحدة وقد استمرت هذه المهاجرة سبعة اعوام متتالية فخشي الملك من عواقبها واصدر الاوامر بمنعها وكان بعض الاشراف ككرمويل وبيم

وهمپدين وغيرهم عازمين على الرحيل فصدّهم عنه فقدوا عليه وصاروا من اشد اعدائهِ وانضمّ اليهم كثيرون غيرهم وطلبوا منه قتل مستشاريه وتنازله عما يدعيه من السلطان المطلق وان لا يكون له ادنى حق في حل البرلمان بدون مصادقة اكثر اعضاءه فرفض الملك ذلك بتاتاً

فقام النزاع على قدم وساق وانقسمت البلاد الى حزبين حزب الملك وتألف من اعاظم المملكة وشبانها واساقفتها وحزب البرلمان وتألف من عامة الشعب الذي ثارت فيه روح الحرية فهبّ لاول مرة يطالب بحقوقه المهضومة وكان المؤلف لشمل هذا الحزب على نفقته الخاصة اوليفر كرمويل كان من اكابر المملكة وعلى جانب عظيم من الذكاء والدهاء تألب حوله عصابة من الرجال الاشداء مالوا اليه لما آنسوا فيه من شدة البأس وعلو الهمة وتكوّن منهم جيش عظيم كان رئيسه ورئيس تلك الثورة ولما شبت نيران تلك الحرب الاهلية اظهر من الشجاعة ما لا مزيد عليه واستظهر بجيشه على جيش الملك في موقعتين عظيمتين فاسره وسجنه واقام الحجة عليه امام البرلمان وطلب من الاعضاء الحكم باعدامه فهال بعضهم هذا الطلب وأبوا المصادقة عليه وكان الجيش الذي يقوده وقتئذٍ مصدر القوة فظهر به على مقاوميه واعمل في رقاب بعضهم السيف واستبدلهم بمن جاروه على طلبه وحكموا بقتل الملك وقد نُفِّذَ هذا الحكم بقطع رأسه امام قصر « ويت هول » غير أن بعض العظماء عدوا ذلك الحادث مصاباً عظيماً على المملكة فألّفوا حزباً ضده الاّ انه انتصر عليهم انتصاراً عظيماً اوهن قواهم وزحف على ايرلاندا ففتحها ودوّخ قسماً كبيراً من سكوتلاندا ثم وجّه جهده الى اخماد الثورات

وتغيير هيئة الحكومة من ملكيه الى جمهورية فمهّد الامور بما كان عليه من الدهاء والذكاء حتى عاد عظماء المملكة واعيانهم وتألبوا حوله وسلموه زمام الاحكام كما كان متقلداً قيادة الجيوش ودعوه في سنة ١٦٥٤ « حامي حمى جمهورية انكلترا »

« وقد وصف جيزو المؤرخ الفرنساوي الشهير هذه الثورة بقوله : ان الثورة الانكليزية كانت سياسية في طبيعتها وقد تمت في عصر ديني ووسط شعب ديني وكانت تخدمها التصورات والتعصبات الدينية غير ان النيه الاصلية والغاية النهائية كانتا سياسيتين فكان القصد منهما نسخ السلطة المطلقة وتأييد مبادئ الحرية التامة » .

وقد قام كرمويل بمهام رئاسة الجمهورية بحزم وحسن تدبير مدة خمسة اعوام سنّ فيها شرائع جاءت مطابقةً لمقتضيات الامة في ذلك العهد ولما صفت له الايام ولم يعد من يزاحمه في سلطته طمحت انظاره الى الاستئثار بالملك بيد انه لم يعلن رغبته هذه لعلمه بميل الجند الى الجمهورية التي أخمدت في مدتها الثورات والحروب الاهلية وعظم شأن انكلترا فهابتها الممالك العظيمة

وبعد وفاة كرمويل خلفه ابنه رتشرد لم يلبث قليلا في المنصب الذي ورثه عن ابيه حتى استقال منه اذ رأى نفسه غير كفوء له فوقع النزاع بين رجال الادارة وقوّاد الجيش حتى آل الحال الى قلب نظام الحكومة من جمهورية الى ملكية .

وأول من سعى في تغيير هذا النظام الجنرال « منك » كان شهماً شجاعا تولّى قيادة الجيش بعد موت كرمويل فاستدعى تشارلز الثاني وهو بكر تشارلز الاول هرب بعد قتل ابيه واخذ يطوف البلاد دون ان يقر له قرار وقد

وقد لبّى طلب منك ليخلص من شظف العيش ودخل لوندرا باستقبال عظيم وتوّج ملكا بلقب تشارلز الثاني فآثر ان يعيش على عرش ملكه الجديد مرتاح البال وعكف على معاقرة بنت الحان والانغماس في الملذات ثم انتقم ممن كان لهم يد في قتل ابيه . وفي مدة حكمه كان الهولانديون يسابقون غيرهم في التجارة حتى اوصلوها الى الهند والصين واطراف اميريكا فوقع الخصام بينهم وبين الانكليز واشتبك القتال في عدة مواقع ثم عقد بينهما الصلح واشتركت معهما مملكة « اسوج ونروج » فاتحدت الثلاث دول اتحاداً ثلاثياً تنازلت فيه هولاندا لانكلترا عن املاكها الاميركانية على انه لم يمض قايل على هذا الاتحاد حتى انحازت انكلترا لفرنسا واتفقت معها على محاربة حليفتها هذه فاصطلت نار الحرب بحراً بين الاسطول الهولاندي والاسطول الانكليزي فتمكن بذلك الفرنسيس من شن الغارة براً على هولاندا والفتك بها وقد اساءت سياسة هذا الملك اعضاء البرلمان فطلبوا منه مطالب عدة سلم لهم بها وكثرت في مدته انقلاقل وعاد تعصب المذاهب الدينية يفرق الاهلين واصيبت البلاد بوباء عظيم تلاه حريق اعظم كل هذا وهو في غيه المعهود . ثم جدد عهود الصلح مع هولاندا وازوج ابنته مريم بالبرنس وليم اورانج الهولاندي تعزيزا لدعائم هذا الاتحاد وتوفي فجأة سنة ١٦٥٨ فخلفه اخوه «جمس الثاني» وكان كاثوليكي المذهب اتخذ سلطته الملوكية واسطة لتعميمه بين الانكليز ولم يعد يستخدم لادارة مهام الحكومه سوى الكاثوليك او البروتستانت الذين كانوا يرضون بعمل الكاثوليك . وفي مدة حكمه جهز ملك فرنسا اسطولا كبيراً لافتتاح انكلترا فالتقت به اساطيل

الانكليز تحت قيادة الاميرال رسل ودامت نيران الحرب مستمرة نحو اربعة ايام فانكسر الاسطول الفرنساوي وبني الانكليز مستشفى «كرينوتش» تذكاراً لهذه الواقعة ثم جعل هذا المستشفى مدرسة لتعليم العلوم الحربية

وقد نهج جمس هذا سياسة عوجاء فجعل سياسة بلاده الخارجية تابعة لسياسة فرنسا لان سياسة تلك المملكة كانت ضرورية لتأييد سياسته في بلاده وكان البابا وحكومة اسبانيا وجرمانيا مقاومين لاعماله وسياسته كذلك عظماء المملكة واعيانها الذين بغضوه فكان النزاع بينه وبينهم مستمراً ولذا كان يوقف البرلمان حيناً ويرضى عنه احيانا . ولما اشيع انه ولد له صبي يرثه اطبق رأي الامة ان الولد ليس ولده فاتى هذا الحادث باعثاً على الثورة واطبق الانكليز وقتئذ على خلعه وطلبوا الى وليم برنس اورانج ان يوافي بلادهم ليملكوه عليهم فسافر بحراً من هولاندا بجيش تألف من خمسة عشر الف مقاتل ففتحت له ابواب البلاد بلا نزاع وركن جمس الى الفرار واحتمى بلويس الرابع عشر ملك فرنسا وبايع الاشراف والاعيان وليم وتوجوه وزوجته سنة ١٦٨٩ تحت لقب الملك « وليم الثالث » والملكة ماري.

ويعرف هذا التغيير في التاريخ الانكليزي بثورة سنة ١٦٨٨ المجيده فان وليم عضد الاصلاح وجدّد ما اندثر من قوانين البلاد واطلق الحرية التامة للديانات والمطبوعات وكان من جملة ما وضعه من القوانين التي لا تزال متّبعة الى الآن أن لا يتولى ملك على انكلترا الا اذا كان بروتستانتي المذهب وفي مدته أمَّ انكلترا خمسون الفاً من بروتستانت الفرنسيس هربوا من لويس الرابع عشر اذ حرمهم ما منحهم جده هنري الرابع من حرية الدين وكان

اكثرهم من ذوي المعارف وارباب الفنون والصنائع فنشروا بين الانكليز ما يعلمون ويعرفون فاتسع بهم نطاق الاعمال فخنق من ذلك لويس الرابع عشر واعترف بابن جمس الثاني ملكاً على انكلترا بعد وفاة ابيه فهاج وقتئذٍ الانكليز وتأهب وليم لمحاربته إلاّ ان المنون عاجلته فوقع عن جواده وهو في الصيد وتوفي سنة ١٧٠٢ فخلفته الملكة حنه وهي ثانية بنات جمس الثاني نشأت على مبادئ كنيسة انكلتره الاسقفية واقترنت سنة ١٦٨٣ بالبرنس جورج اخي كريستيان الخامس ملك الدانمرك ولدت منه سبعة عشر ولداً ماتوا كلهم اطفالاً واشتبكت في مدة حكمها انكلترا بالحروب المعروفة بحروب الوراثة الاسبانيولية انتصرت فيها مع مملكتي بروسيا وهولاندا للنمسا وكانت الدائرة فيها على فرنسا واسبانيا وقد اشتهر فيها ايضاً البطل العظيم الدوك مابوروك من عائلة تشرشل بانتصاره على الفرنساويين في وقائع معدودة وقد اتحدت انكلترا واسكوتلاندا اتحاداً تاماً في سنة ١٧٠٧ ثم جددت المعاهدة الثلاثية مع هولاندا والمانيا واستولت على مضيق جبل طارق بعد وقائع مشهورة مع فرنسا واسبانيا .

ويطلق على حكم هذه الملكة البالغ قدره اثنتي عشرة سنه اسم « العصر الاوغسطي للاداب » فان الجرائد انتشرت في ايامها كثيراً وازهرت الآداب بما نبغ من مشاهير العلماء والفلاسفة والكتاب كنيوتون ولوك ودريدن وغيرهم من مشاهير كل فن ومطلب وتوفيت حنه فجأة سنة ١٧١٤ وبموتها انتقل الملك الى اسرة هانوفر .

٧

أسرة هانوفر

« The House of Hanover »

هي العائلة المالكة في انكلترا الآن اصلها من المانيا آل امر الملك اليها بعد نزاع قام بين الانكليز لتقرير وريث للملكة فقد رام بعضهم ان تكون صوفيا اكبر بنات جمس الاول وحاول غيرهم ان يكون ابن جمس الثاني واستمرت الآراء متفرقةً حتى توفيت الملكة ولا وريث لها فتألّب عظماء المملكة واستدعوا اميرًا المانيًا من آل هانوفر (مملكة من المانيا) ليملكوه عليهم . فكان اول ملوك هذه الأسرة توّج سنة ١٧١٤ بلقب جورج الاول إلاّ ان اهالى سكوتلاندا وشمالي انكلترا عدوه غريباً عنهم لجهله لغتهم وعوائدهم وميله الى سكن هانوفر بلاده اكثر من ميله الى سكن بلادهم فنشأ عن ذلك النزاع وحصلت بعض المناوشات لاعادة الملك الى اسرة سوارت إلاّ انها لم تأتِ بطائل فقبض على العصاة ونالوا اشد عقاب .

وقد ناوأ الاسبانيول في عهد حكم هذا الملك مراكب الانكليز في مستعمراتهم الاميركية وحاولوا اعادة جبل طارق لهم فحاربهم الانكليز مراراً وانتصروا عليهم . وتوفي جورج سنة ١٧٢٧ ولم يكن لحكمه شأن يذكر في التاريخ الانكليزي

وخلفه جورج الثاني فاستأنفت انكلترا في بدء حكمه محاربة اسبانيا ووقع لها مع فرنسا حروب كثيرة في اميركا نشأت عن الخصام المستمر الذي

كان بين مهاجرى المملكتين على تلك الاصقاع السحيقة . وقد ظفرت انكلترا في اكثر هذه المواقع واستولت على مدينتي لويز بورك وكوبك وهما من امنع المستعمرات الفرنساوية سيما كوبك فانها كانت مفتاح ولاية كنادا . وكان يقود الجنود الانكليزية الجنرال وُلف وهو من نوابغ عصره في الشجاعة والاقدام .

وتوفي جورج الثاني فجأةً فخلفه ابنه « جورج الثالث سنة ١٧٦٠ وهو في الثالثة والعشرين من سني الحياة فاقترن بشارلوت صوفيا شقيقة الدوك مكلنبرج فولدت منه خمسة عشر ولداً مات منهم اثنان وشاركته في الملك سبعاً وخمسين سنة حدث خلالها في المملكة الانكيزية اهم الحوادث الخطيرة فقد عقدت مع فرنسا معاهدة الصلح سنة ١٧٦٣ وبمقتضاها تنازلت لها هذه المملكة عن ولايات كنادا وعن جميع املاكها الشمالية فاضافتها الى مالها من المستعمرات الكثيرة المتشتة في تلك الاقطار .

وبدأت منذ سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٧٨٣ بالحرب مع الولايات المتحدة ولا يخفى ان سكان هذه الولايات تكوَّن معظمهم من الانكليز الذين نزحوا من انكلترا افواجاً افواجاً خصوصاً في القرن السابع عشر هرباً من اضطهاد عائلة استوارت الكاثوليكيه . وقد مدَّت انكلترا سلطانها عليهم ووزعت الحكام على كل الولايات فاساؤا الى الاهلين حتى اضطروهم الى التظلم والشكوى فلم ترَ انكلترا بدًا من تلبية طلبهم واستبدال الحكام بمن يقع عليهم انتخاب الاهلين بحيث يكون المرجع اليها في كل الاحوال .

ولما رأت خيرات البلاد ضربت الاموال على الاهلين وقررت الضرائب

وقضت بوجوب استعمال ورق التمغه في صكوك المبايعات والمعاهدات وامتلاك الاراضي فعقد الاميريكان الاجتماعات الكبيرة في نيويورك وقرروا رفض ما فرضته ثم قررت دفع الجمرك على الشاي الوارد لبلادهم فأبوا ايضا الاذعان لهذا القرار فتبين لها من ذلك أنها لم تعد قادرة على بسط نفوذها على تلك البلاد . وكانت بعض الدول من المعاديات لها كفرنسا واسبانيا وهولاندا تحرك الاميريكان على العصيان وتمدهم بالمساعدة عند الحاجة . فاثارت ايضاً هذه الاسباب شرر الحرب بين الطرفين وجرى بينهم مواقع كثيرة يطول شرحها كان النصر والفوز في اكثرها للانكليز ماعدا واقعتين عظيمتين احداهما في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ فازفيها الاميريكان فوزاً عظيماً والثانية في مدينة يورك التابعة ولاية ڤيرجينيا وقد نال في هذه الواقعة الجنرال واشنتون قائد الجيوش الاميريكانية الامداد من العمارة الفرنساوية التي امسكت على العمارة الانكليزية فم نهر يورك لتحول دون المساعدة التي كانت تنتظرها وقد بذل اللورد كورنواليس قائد العمارة الانكليزية جهده في المدافعة والمصادمة الا انه اضطرّ الى التسليم

وبعد هذه الوقائع العظيمة رأت انكلترا ان مثابرتها على الحرب تضطرها الى تحويل قواها عن مقاومة بعض الممالك الاروبية كفرنسا وهولاندا واسبانيا التي اتحدت ضدها فكفت عن الحرب واخلت الولايات المتحدة من جنودها في سنة ١٧٨٣ واقرت في باريس باستقلالها استقلالاً تاماً ثم عقدت معها المعاهدات التجارية وجميع الشروط التي تبطل الخصام والنزاع

وكانت اسبانيا تحاول في اثناء تلك الحرب اعادة جبل طارق اليها فلم

تجدها تلك المحاولة نفعاً كذلك ايرلاندا فانها بعد ان حصلت في سنة ١٧٨٢ على برلمان مستقل اغرتها فرنسا وحملتها على العصيان في ١٧٩٨ الا انها لم تحصل على مساعدة فعالة من الجمهورية بل خابت وتيسر لانكلترا قمع الثورة حالاً ومعاقبة الثائرين ثم قرر البرلمان الانكليزي في سنة ١٨٠٠ انضمام المملكتين نهائياً والغاء نظام البرلمان الارلندي ومنح الارلنديين حق ارسال النواب عنهم الى البرلمان الانكليزي

وفي حكم جورج الثالث اشتهر نوابغ من رجال السياسة كفوكس وشريدان وبورك وغيرهم الا ان اعظمهم كان وليم بيت الشهير تولى رئاسة الوزارة الانكليزية من سنة ١٧٨٤ الى سنة ١٨٠١ اي مدة سبعة عشرة سنة تهالك فيها على خدمة وطنه بهمة واخلاص حتى خيل للعالم انه ما خلق الا ليكون دعامة تقدم الامة الانكليزية وركن سعادتها . وقد كان شديد الوطاءة على فرانسا فناوأها مناوأة عظيمه وحمل اولاً انكلترا على اتحادها مع بروسيا ومساعدتها في الحروب التي كانت وقتئذ بينها وبين اوستريا بسبب بولونيا وبعض املاك جرمانيا ولما كانت فرنسا من المتحالفين على بروسيا اضطرت عند ما رأت عداوة انكلترا لها ان توجه جهدها وتحصر قوتها في اوروبا لمقاومة خصومها فنجم عن ذلك ضعفها في الخارج وبذا اغتنم الانكليز سنوح تلك الفرصة فامتلكوا بعض مستعمراتها واستعمروا غيرها

وفي حكم جورج الثالث ظهرت الثورة الفرنساوية فلما تمكنت الحكومة الجمهورية الجديدة بالفوز الذي نالته سعت في اثارة روح الثورة في العالم اجمع ونشرت تعرض مساعدتها لكل امة ترغب في ان تنتهج خطتها لتنال حريتها

وكاد روح هـذه المبادئ يعم بين عامة الشعب في انكلترا فحذر بيت من غوائلها وسعت الحكومة على منعها واستئصالها ثم حولت قواها الى محاربة فرنسا .

وكانت حكومة الديركتوار قد جهّزت لنابليون بونابرت اربعة وثلاثين الف جندي مع السفن الحربية والبحرية ووجّهته لفتح الديار المصرية فاستولى على الاسكندرية والاساكل البحرية وتقدّم بجنودِه الي داخل البلاد فخافت انكلترا على مستعمراتها في الهند وغيرها وارسلت الاميرال نيلسون بعمارة بحرية عظيمة حطّم بها العمارة الفرنسوية في ابي قير وذلك في سنة ١٧٩٨

وفي سنة ١٨٠١ اشارت فرنسا وروسيا على مملكتي الدانمرك واسوج ونروج بمحاربة انكلترا فاشتبك القتال بحراً في كوبنهاجن وكان السير هيد باركر رئيس العمارة الانكليزية فولج بها الاميرال نيلسون الذي شرع فرتبها على نظام عجيب ثم هجم بها على الاعداء فحطّم بوارجهم وضعضع احوالهم وعقد في النهاية الصلح على شروط كثيرة .

وعادت بعد ذلك انكلترا تناوئ نابوليون باغراء بيت رئيس وزارتها فانه كان يهتف دائماً بين قومه في البرلمان بان نابوليون لا يروق في عينيه الا سفك الدماء انهاراً في اواسط اوروبا وان الطمع هو المحرّك الاول لكل اعماله وان انكلترا تربح بمحاربته حتى النهاية اكثر مما تخسر . فلما توّج امبراطوراً على فرنسا وملكاً على ايطاليا ودان له السعد وصار في يده عنان اعظم الممالك الاوروبية يديرها كيف يشاء اعترف له الكل بالسيادة ما عدا انكلترا فانها أبت ان تعترف له بشيء من ذلك ورفضت مخابرته بشأن الصلح فحوّل

نابوليون بعد هذه الاهانة جهده للانتقام واخذ يهيأ الجيوش ويعد المعدات لقطع بحر المانش وغزو الجزائر البريطانية . اما انكلترا فانها هيجت عليه دولتي النمسا والروسيا إلا انه انتصر عليهما ودخل ڤينا عاصمة النمسا

ثم اتحد مع اسبانيا على محاربتها وكانت عمارتهما تبلغ الاربعين بارجة فالتقاهما الاميرال نيلسون بسبع وعشرين بارجة حربية واشتبك القتال بين الفريقين في طرافلغار (او طرف الاغر) وبعد موقعة عظيمة أسر اميرال الفرنسيس وتُلِفَ من بوارج الانكليز ١٩ بارجة وفي هذه الحرب أُصيب الاميرال نيلسون برصاصة اصابت ظهره وكسرت العظم فاسلم الروح وهو مسرور بذلك النصر الذي امتلكت انكلترا على إثره ناصية البحر حتى لم تعد تنازعها في سيادتها مملكة من الممالك ومن ثمَّ تلاشت قوة نابوليون البحرية ولم يعد لها قائمة

ولما كانت انكلترا تكتسب هذا الفوز العظيم أصيب ملكها جورج الثالث بضرب من الجنون فاقيم بالنيابة عنه ولي عهده وفي زمن نيابته استأنفت انكلترا مناوأة نابوليون وسعت مع الدول المتحدة وهي الروسيا والنمسا وبروسيا واكثر ولايات الالمان على محاربته وابادة ما بقي من سطوته وقد وصلت الى غايتها في واقعة واطرلو .

وواطرلو هذه بلد في بلجيكا حصلت الواقعة في سهل فيها يبلغ طوله نحو الميلين فاقبل ولنتون قائد الجيوش الانكليزية بجيش عدده ٧٢ الف مقاتل مختلط من انكليز وبلجيكيين والمان ومعهم ١٨٠ مدفعا بينما كان نابوليون يقود جيشاً من الفرنساويين عدته ٨٠ الفاً ومعهم ٢٥٠ مدفعاً وكانت هذه

الواقعة من اشهر الوقائع وتلك الحرب من اغرب الحروب لانها كانت بقيادة بطلين عظيمين كان النصر يسير بركاب كل واحدٍ منهما اينما سار فألفا من جيوشهما خطوطاً وصفوفاً في ذلك السهل وكان نابوليون وقتئذٍ فرحاً مسروراً من ترتيب عسكره حتى قال لمن حوله من القواد ان النصر سيكون له . وما جاءت الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم حتى اطلقت الجيوش الفرنساوية مدفعاً من وسطها ثم اعقبته باطلاق البنادق وهجمت على ميمنة الجيوش الانكليزية فقاومتها ما امكن واشتبك القتال بين الفريقين فملأ الجو من رعود المدافع ودوي البنادق . وكان كل من نابوليون وولنتون يديران رحى الحرب بملء الشجاعة والاقدام ويشددان عزائم جيوشهما ويحضانهما وهي تطلق الموت الاحمر وقد تفننت الجيوش ذلك اليوم في ضروب القتال فكانت تنساب تارة على الجبال والآكام كالثعابين وطوراً تنطرح على الارض اتقاء النار وبعد قتال ثماني ساعات قسم نابوليون الحرس الملوكي الذي كان يعتمد عليه في كل مواقعه الى فرقتين وامرهما بالهجوم من جهتين متضادتين فهجمت الفرقة الاولى هجمة الاسود الكواسر فالتقتها المدافع الانكليزية بمقذوفاتها الجهنمية فارتدّت مذعورةً ثمّ هجمت الفرقة الثانية فأمر نابوليون جيوشه ان تنطرح على الارض حتى يصير اعداؤهم بالقرب منهم فصبروا عليهم حتى قربوا منهم فهبوا كالنسيم واطلقوا عليهم من البنادق ناراً دونها نار جهنم ردوهم بها على الاعقاب مخذولين . وهكذا لحق الفشل بالجنود الفرنساوية فاخذت تتثنى وتهرب باضطراب وخوف حاملة اخبار الانكسار وكانت الجنود البروسيانيه قد وصلت وقتئذٍ ففقت عن

الجنود الانكليزية وهي على آخر رمق من التعب والكلال تعب مطاردة الجنود الفرنساوية ولمَّا رأى نابوليون هذا الانكسار الذي لحق به امتقع لونه ووجم فوأده وادار العنان لجواده يغالب اليأس بالجلد ولا يلوي على أحد وقد بلغت خسائر الانكليز ١٠٦٨٦ رجلاً منهم ٢٠٤٨ قتيلا والباقون بين جرحى واسرى اما الفرنساوين ففقدوا ثيفاً واربعين الف رجل .

وعاد نابوليون بعد هذا الواقعة لباريس وتنازل عن الملك لابنه نابوليون الثاني غير ان الدول المتحدة لم تقبل ان يتبوأ تخت فرنسا احد من سلالته فمضى الى رشفورت ورغب الى الانكليز ان يحل بلادهم فلبوه حتى وصلت به الباخرة الى بلميوث حيث حُظر عليه النزول الى البحر وابلغته الحكومة أنه اسير حرب ثم شيَّع اخيراً الى جزيرة القديسه هيلانه حيث عاش كظيماً الى ان حانت منيته ودفن في الانثاليد .

وكان في واقعة واطرلو فصل الخطاب في كل المسائل التي ظلَّ الحكم يتنازع في امرها مدة عشرين عاما . وعلى إثرها خرجت انكلترا ظافرةً منتصرةً فصار لها الصول والطول على سياسة الاقطار والسيادة على البحار فوسعت نطاق مستعمراتها الامريكية واحتلت النقط المهمة من غرب افريقيا وجنوبها وعمَّرت في الهند مملكة واسعة الاطراف شاسعة الارجاء وامتلكت اوستراليا ومدّت سلطانها على جزر الاقيانوسية السحيقة التي اكتشفها كوك وغيره من السياح . إلا انها كادت تنوء تحت اثقال الديون الباهظة لان تلك الحروب الطويلة كلَّفتها الاموال الجسيمة فلما عقد الصلح اخذت في اصلاح شؤونها فانبثت في البلاد روح التقدم والارتقاء وانشأت الترع

العديدة لسهوله المواصلات وعمت اطراف المملكة الصنائع والسكك الحديدية وصارت اسبق الدول في مضمار التجارة

وفي سنة ١٨٢٠ توّج ابن جورج الثالث ملكاً بلقب جورج الرابع واشتهر حكمه باخضاع المراثيين ومملكة بورما في الهند وفتح طريق المتجر في الصين ووضع قانون يضمن حرية الديانات وثورة اليونان وطلبهم الاستقلال ثم تداخل انكلترا وفرنسا والروسيا بشأن الصلح وتوفى سنة ١٨٣٠ فخلفه اخوه دوك كلارنس الملقب بوليم الرابع وكانت مدة حكمه قصيرةً الا انها كانت عظيمةً مجيدة فادخل فيها الاصلاح على البرلمان سنة ١٨٣٤ وأبطلت العبودية في الهند الغربي وعوض على ملاك العبيد بمكافئة عشرين مليون جنيه وانشئت السكه الحديد بين ليفربول ومنشستر واستطردت المملكة سيرها في التقدم والنجاح حتى توفي هذا الملك سنة ١٨٣٧ وخلفته الملكة ڤيكتوريا

(الباب الرابع)

المستعمرات الانكليزية

CHAPTER IV.

« British Colonies »

يعني علماء الجغرافيه بالمستعمرات البلاد التي تمتلكها دولة مستقلة اما عنوة بالحرب . واما برضاء حاكمها شراءً اوهبة . وإمَّا بوضع اليد عليها بان لم يكن لها مالك من قبل . فعنوةً بالحرب كبلاد الجزائر مثلاً فانها من مستعمرات فرنسا قد امتلكتها اثر حرب شبت بينها وبين الامير السيد عبد القادر الحسيني الجزائرلي حاكم تلك الديار اذ ذاك او شراء كجزيرة سنجابور التي اشتراها الانكليز من امير جاهور بستمائة الف فرنك وكالبلاد الافريقية التي اشتراها الفرنساوي برازا لحكومته . اوهبة كجزيرة بمباى التي وهبها امير دلهى الى الحكومة الانجليزية .

ولا يخفى على القارىء ان المستعمرات انما هي اكبر الاسواق التي تتجر فيها الدولة الفاتحة او المالكة ففيها تبيع تجار تلك الدولة مصنوعاتهم على اختلاف اجناسها من انسجة وحرائر واقطان واوراق ومؤلفات واوان خزفية وفخارية ونحاسية وحديدية وآلات معدنية ورصاصية ومصنوعات من ذهب وفضة وماس وغير ذلك وبالعكس فكثيرا ما تستمد الدولة المالكة من مستعمراتها ومحصولاتها وحيواناتها فمثلا تستمد انكلترا كثيراً من التيران والنعاج والصوف من استراليا وزيلانده وكذا تستمد من بلاد الهندستان كثيرا من غلالها

واقطانها وشايها واملاحها وماسها ومصنوعاتها كالكشمير وتستمد مقداراً عظيماً من الاخشاب من بلاد كندا واسقوسيا الجديدة وغير ذلك مما يطول شرحه وكفى شاهدا على ذلك ما تثبته احصائية سنة ٩٢ فقد دل ان تجارة انكلترا مع املاكها وصلت ٤٤٧٥ مليوناً من الفرنكات . وكلما كثرت مستعمرات اية دولة عظمت قوتها البحرية لان فتح تلك البلاد يستلزم شدة العناية بحفظها ولا يتيسر ذلك الا اذا كانت بينها وبين مستعمراتها علاقات متواصلة دائما حتى لا يعتورها فتور يعقبه انصرام كل ذلك انما يستدعى وفرة في عداد سفنها وبوارجها التجارية والحربيه وقد شعرت انجلترا بهذه الحاجة فعززت اساطيلها حتى ملكت ناصية البحر هذا ولا يخفى ان المستعمرات ضرورية ايضاً لمد تلك السفن والبوارج بالمؤن اللازمة لها من فحم وماء وذخائر لانه ان اضطرت تلك السفن والبوارج الى الذهاب الى وطنها للبحث عنها لربما نفذت مؤنتها قبل ان تصل لا سيما وقت انتشاب الحروب البحرية بين الدول عند ما تكون السفن مفتقرة الى ميناء تخفرها لتامن مفاجأة العدو ولذلك ترى ان الدول في اغلب مستعمراتها تخصص بعض جهات منها لمصالح قوتها البحرية فتجعلها كمحاط لها وملجأ تاوى اليها عند مسيس الحاجة .

(قال احد علماء الفرنسيس ما معناه) « ان اول الشعوب رتبة اكثرهم استعمارا في الحال والاستقبال »

وليس بخاف على احد ان انكلترا هي اكثر الدول مستعمرات لان لها قسما يوازي مستعمرات العالم باسره ومجموع مساحات مستعمراتها تزيد بستين

مرة عن مساحة انكلترا وحدها والشمس لا تغيب عنها وقد دل الاحصاء انها تزيد عن خمس اقطار المسكونه وهي اكبر من قارة اوروبا ثلاث مرات وتكاد توازي مساحة افريقيا وهاك جدا ولا صغيرا بمساحات وعدد سكان مستعمرات الدول الاوروبيه العظيمة

اسماء	المساحه بالكيلو متر المربع	عدد السكان
انكلترا	٢٣٫٩٣٦٫٠٠٠	٣٧٠ مليون
فرنسا	٣٫١٠٠٫٠٠٠	٤٥ مليون
هولانده	١٫٢٦٠٫٠٠٠	٣٠ مليون
بورتغال	١٫٨٧٠٫٠٠٠	٦ مليون
اسبانيا	٥٠٠٫٠٠٠	١٠ مليون
المانيا	١٫٥٠٠٫٠٠٠	٨ مليون

هذا وان الامة الانكليزية لم تكتسب هذه السيطرة البحرية الا منذ عهد قريب لان سفنها في القرن السادس عشر كانت لا تتجاوز في الابحار فرضة بايون وقلما كان بعضها يصل الى لزبون عاصمة البرتغال وفي عهد هنري الثامن دفعت جراءة اقتحام الاهوال البحرية ربانا انكليزيا فابحر باسطوله الى مصب نهر الوادي الكبير ولكن لم يستطع ان يتوغل في بحر الروم كملاحي باقي الامم .

وكان البرتغاليون في ذلك العهد عهد قصور الامة الانجليزية قد فتحوا جزائر كناريا وجزائر الرأس الاخضر وطافوا حول رأس الرجاء الصالح واسسوا نزلا عديدة في بحر الهند وكذلك كان الاسبانيول اكتشفوا العالم الجديد او قارة امريكا واستولوا على الاقاليم الوسطى منها وعلى شواطئ المحيط الهادي

وقد قال احد فلاسفة العصر ان انكلترا لم تحز الدرجة الاولى في الاستعمار لكونها سبقت الدول الاخرى في استكشاف البلاد وفتحها بل لعدم تداخلها في الارتباكات الاوروبية والحروب الدولية فلم يكن لها شوكة تؤيدها مثل شوكة فرنسا وسيطرة اسبانيا في عهد لويس الرابع عشر وعز شارلكان او املاك تدافع عنها كما كان لهولاندة والبرتغال في سالف الازمان فبينما كانت الحرب مستعرة تارة بين فرنسا واسبانيا وطوراً بين فرنسا والنمسا وآونة بين النمسا وتركيا واخرى بين فرنسا وجرمانيا او الروسيا كانت انجلترا تنتهز فرصة شبوب هذه الحروب بين الدول بعضها مع بعض لتمتلك هي بلدا او تحتل جزيرة وتعقد معها المعاهدات التجارية وتنشأ فيها المراكز الحربية فتشيد فيها القلاع والحصون وتعمرها وتبنيها على اساس متين فلا تزعزعها اهوال الزمان وانقلاب الاحوال .

وما تكاد انجلترا تفتح بلدا او تستولي على ارض حتى يهرع اليها الانكليز للاستئثار بتجارتها وصناعتها فيجمعون بعد قليل من الزمن الاموال الطائلة فمنهم من يؤب الى بلاده قانعا بما ناله منها ومنهم من يطيب له المقام فيستوطن بها وقد دل الاحصاء ان مقدار من هاجر من سنة ١٨٥٣ الى سنة ١٨٩٣ من انكلترا وصل الى سبعة ملايين نفس وذلك بقصد الاستيطان في الاملاك الانكليزية وغيرها ولا يخفى ان اهم الاسباب الداعية للشعب الانكليزي على الاستعمار انما هو نموهم وتكاثر عددهم وضعف الثروة على هذه النسبة بازدياد السكان يوما فيوما وفي المستعمرات الانجليزية من الانكليز نحو الاربعة عشر مليونا عدا الذين في الهند ولهم ثروة كبرى .

وتنقسم المستعمرات الانكليزية قضائيا الى قسمين اولهما ما امتلكته انجلترا بمجرد وضع اليد عليه وثانيهما ما امتلكته بحرب او شراء او هبة ففي القسم الاول ادخلت انكلترا قوانينها وهيئة الحكومة التي قررها برلمان لوندره لان عدم وجود قوانين هنالك يوجب تطبيق القوانين الانكليزية بمجرد مجيء اي فرد من افراد الامة البريطانية الى تلك البلاد . قال بلاكستون احد مشاهير متشرعي الانكليز :

« القانون الانكليزي مال يتأثله كل انكليزي لمجرد ولادته ويتبعه اينما حل وذهب فاذا اتى ارضا خالية من السكان اصبحت تلك الارض خاضعة للقوانين الانكليزية »

« ولكن انكلترا حافظت في المستعمرات التي من القبيل الثاني على القوانين التي كانت متبعة بها من قبل وجوزت للحاكم ان يشكل حكومته كيف شاء مثال ذلك جزيرة سانت لوسي التي استولت عليها بعد ان طردت الفرنسيس منها بقي القانون الفرنساوي مرعيا بها حتى الآن وكذلك مازال القانون الاسبانيولي مرعيا للآن بجزيرة التثليث (ترينيتي) التي استولى عليها الانجليز بعد طرد الاسبانيين منها »

« ثم ان حكام المستعمرات الانكليزية ليس لهم حق في رئاسة الجنود التي بها فلا يستطيعون تحريكها او قيادتها بعمل من الاعمال الحربية لان تلك القوة الحربية يرأسها ضابط عظيم يعينه المجلس العالي بانكلترا مباشرة لهذه الوظيفة خاصة . وهو المكلف باحاطة دولته علما بحالة الجنود والذخائر والحصون والقلاع التي يقيمها كي تكون على معرفة تامة بما يعمله »

اما سلطة الحاكم فتنحصر في حل المجالس الاهلية وملاحظة الانتخابات وله وحده دون غيره الاذن بصرف المصاريف اللازمة من مالية المستعمرة وله ايضا حق العفو عن الجناة وحقوق اخرى لا فائدة في ذكرها هنا اما اعضاء المجالس الشورية الخاصة بالمستعمرات فيكون تعيينهم بمعرفة الحكومة الانكليزية ايضا وينتخبون من اعيان ووجوه سكان المستعمرات واما المستعمرات التي ليس بها مجلس انتخابات فالحاكم نفسه هو الذي يسن القوانين واللوائح الواجب اتباعها لانه هو المسؤول امام البرلمان الانكليزي .

ومما هو جدير بالذكر ان انكلترا لا تأخذ مالا من املاكها الواسعة ولا تضرب عليها الجزية وكل ما تجمعه في كل بلد تنفقه على حكومتها

وكذلك لا تحدث ادنى تغيير في عوائد اهل البلاد التي تحتلها وتبيح لهم اديانهم بلا معارضة ولا نزاع ولا تتصدى لشيء منها مباشرة مالم يكن هنالك داع يوجب اختلال النظام بل وتساعدهم على ادائها فتصرف المرتبات الباهظة لاصنام الهند وفي مواسمهم واعيادهم تحتفل معهم كما لو كان العيد عيدها وتعزف الموسيقي امام الاصنام اكراما للاهلين واحتراماً لعوائدهم

ومما هو حري بالذكر ايضا ان كل من يدخل ارضا تحت حماية الانكليز يصير حرا وتجري عليه احكامهم واعظم شاهد على ذلك وفود كثيرين من سكان البلاد الاجنبية على المستعمرات الانكليزية للاستظلال بحمايتها والتمتع من خيرات ارضها لثقتهم بعدالة مالكيها

ولنشرع الآن بذكر المستعمرات الانكليزية مبتدئين بما يوجد منها باروربا ثم باسيا وامريكا فالاقيانوسيه فافريقيا .

« مستعمرات انكلترا باوروبا »

British Colonies in Europe

لانكلترا باوروبا مستعمرتان جبل طارق وجزيرة مالطة وكان لها مستعمرة ثالثة في شمال المانيا تسمى بجزيرة هيلجولاند فاعطتها لالمانيا واخذت بدلا عنها مقايضة جزيرة زنجبار وذلك من عهد غير بعيد

« جبل طارق »

Gibraltar

فجبل طارق مدينة حصينة كائنة على لسان داخل في البحر وواقعة على البوغاز الذي يسمى باسمها نسبة لطارق بن زياد العربي الذي اجتاز هذا البوغاز عند ماعبر الى اسبانيا عند احتلال العرب لها في خلافة الوليد بن عبد الملك الاموي وهذا البوغاز يفصل اوروبا عن افريقيا وبعبارة اخرى يفصل اسبانيا عن مراكش وهي مفتاح البحر الابيض المتوسط . استولت الانكليز عليها سنة ١٧٠٤ وهي الى الآن ملكا لهم

ولهذه المدينة اهمية كبرى لانها على طريق الهند ولان بوغاز جبل طارق هو الباب الوحيد الموصل بين المحيط الاطلانطيقي والبحر الابيض المتوسط لجميع الممالك التي ليس لها ساحل على ذلك البحر لا يتسنى لسفنها ان تأتيه الا بمرورها من ذلك البوغاز ويبلغ عدد سكان المدينة نحو ٢٠ الف نفس وهي واقعة على صخرة عظيمة قد اقام الانكليز عليها القلاع وحصنوها

حتى صارت منيعة جداً ٠

مالطة Malte

اما مالطة فهي كلمة تطلق على احدى الثلاث جزر المكونه لهذا الارخبيل الصغير الكائن في البحر الابيض المتوسط بين جزيرة صقليه وسواحل طرابلس ويبلغ عدد سكانها ١٦٥ الف نسمة وعاصمتها ڤاليته وقد كانت هذه الجزيرة ملكا لشارلكان الامبراطور المشهور ثم تنازل عنها في سنة ١٥٣٠ م لاشراف جزيرة رودس الذين اشتهروا في قتالهم مع الترك سلاطين البحر اذ ذاك وبقيت لهم حتى اخذها بونابارت القائد الفرنساوي الشهير حين جاء لفتح الديار المصريه سنة ١٧٩٨ ولكنها لم تلبث في قبضة الفرنساويين طويلا لانهم هتكوا بعض السنن القديمة وانتهكوا حرمة الكنائس فأثار ذلك سخط السكان عليهم فاخذها منهم الانكليز عنوة باتحادهم مع الاهلين بعد استيلاء بونابارت عليها بسنة واحدة وايدوا ملكهم بها في معاهدة باريس التي عقدت بين الدول المتحالفة ضد فرنسا اذ ذاك بعد واقعة واترلو التي انهزم فيها الامبراطور نابوليون سنة ١٨١٥ وقد حصن الانجليز تلك الجزيرة وبنوا بها القلاع لوقوعها على طريق الهند واتوا باعمال عظيمة من يوم دخولهم فيها عادت على مالطة بالنفع العميم وجميع موظفي الحكومة من المالطيين وهم لا يمسون شيئاً من دخل الجزيرة ولا يضربون على الاهلين ادنى ضريبة الا ما كان على المسكرات ومصاريف العسكر تؤخذ من خزينة الحكومة لا منها ومرتب العسكري فيها شلين يومياً ولهم فيها عدة سفن حربيه اقل سفينة منها تصرف اكثر مما يصرفه الاهلون عموما

واول من استوطن هذه الجزيرة هم الفنيقيون سكان صور وصيدا ثم تداولتها ايدي الرومان فالعرب حتى اختلطت لغة البلاد بلغتهم واصبحت مؤلفة من العربيه والفنيقيه ولذا تراهم يتكلمون الآن بالعربيه الفاسده ومما يستحق الذكر هنا ان في مالطة كنائس كثيرة حسنة الاتقان والزخرفة والتماثيل يتباهى بها الاهلون لتحمسهم الشديد في الدين الكاثوليكي ولكل قديس عندهم عيد مخصوص في مكان مخصوص وقد تمازج المالطيون بالانكليز وهم مع ذلك لا يبلغون في الآداب شأوهم .

« مستعمرات انكلترا باسيا »

الهندستان .

« British Colonies in Asia »

HINDOUSTAN

يطلق اسم الهندستان على مجموع البلاد الواقعه بين جبال هماليا ونهر الاندوس وبين المحيط الهندي وخليج بنغال وبلاد الافغانستان ويسكنها زهاء ٢٨٠ مليوناً من النفوس وهي اعظم دول الارض في عدد السكان بعد بلاد الصين البالغ مجموع سكانها نيف و٣٥٠ مليوناً من النفوس .

والهند بلاد ذات ثروة عظيمة شديدة الحرارة غزيرة الامطار تستمد تربتها خصوبة عجيبة من طمى انهارها وطقسها يختلف باختلاف اصقاعها واشهر جبالها جبال هماليا ومعناها باللغة الهندية محل الثلوج هيما ثلج .

ولايا محل . وبها قممٌ كثيرة يزيد ارتفاع ثلاثة منها عن ثمانية آلاف متر وهي اعلى نقط الارض عن مياه البحر وقد توصل احد رجال الانكليز الى الصعود عليها فسميت القمة العليا فيها باسمه وهي قمة افرست

وتنقسم السنة في بلاد الهند الى ثلاثه فصول فصل البرد والجفاف من شهر نوفمبر الى شهر فبراير وفيه يكون الهواء جافاً فتخلع الجنان بردة نضارتها وازدهائها وتكتسي بثياب عاطل لا تحلو رؤيتها للناظرين ويليه فصل الامطار من شهر يونيه الى شهر سبتمبر وفيه تسقط الامطار كالسيول الجوارف تغشى الحقول والمراعي فتكتسي حلة تسر كل راءٍ وناظر ثمَّ فصل الحر ويتقدمه حين من الدهر كثير العواصف والزعازع اذا هبت القت الرعب في القلوب وهشمت الصخر الجلمود .

ويخرج من بعض جهات الهند امراض وبائية كالكوليرا والطاعون وقانا الله شرهما . وفي فصل البرد قد ينخفض الترمومتر احياناً الى درجة الصفر ولو ان معدل الحرارة في يناير ١٥ ومعدلها في فصل الحر يبلغ ٣٣ وقد تصل في بعض الايام الى ٤٥ تحت ظلال الاشجار وتتخلل سلاسل جبال هيماليا اجمات واسعة كثيفة تستمد منها الهنود خشباً كثيراً نخص بالذكر منها الابنوس وتربتها خصبة جداً تنبت فيها بعض النباتات الاوروبيه كالفريز والكريز وبها كثير من الغاب الجيد المعروف بالغاب الهندي ومن محصولاتها الوافرة الارز والقمح وابو النوم والافيون والقطن والجوز المعروف بالجوز الهندي والفيلة وكثير من الفواكه اللذيذة وينبت على الجبال الشاهقة هنالك كثير من شجر التين والشاي .

معادنها — ومن المعادن الكثيرة الوجود ببلاد الهند الحديد والفحم الحجري وببلاد البندجات كثير من مناجم ملح الطعام وبوادي نهر الكنج ودلتا نهر الاندوس كثير من ملح البارود ولا يوجد في العالم كله اقليم يستخرج منه ملح البارود اكثر مما يستخرج منها وبها ايضاً مناجم من النحاس والعقيق .

تجارتها وصناعتها — ولو ان بالهند كثير من المعامل تصنع الاقمشة القطنيه والحريريه والاواني النحاسيه الا ان الاهلين يعتنون بالفلاحة اكثر من اعتنائهم بغيرها . وتجلب الهند من البلاد الاوروبية مقداراً عظيماً من المعادن والاقمشة والمنسوجات المتنوعة وتصدر اليها كثيرا من ارزها وقمحها وافيونها واقطانها وحريرها وبنها وشايها ونيلتها وقد بلغ ثمن ما تصدره الى اوروبا سنوياً مليارين من الفرنكات (اي الفي الف الف فرنك)

وتجارة بلاد الهند محصورة بين ايدي تجار الانكليز وقد سهلوا تجارتهم فيها بانشاء سكك حديديه عديدة في جميع انحائها فاخذت تجارتها في التقدم يوماً فيوماً ثم انشأوا بها ايضاً مصانع ومعامل عدة حتى اصبحت صناعتها تقرب من صناعة البلاد الاوروبيه الشهيرة واول مصنع للاقطان والانسجة انشأ بها في سنة ١٨٥٤ ثم ازداد عدد هذه المصانع الى ان صار اليوم عديدا وقد بلغ عدد العملة الذين يستخدمون فيها مائة وعشرين الفاً

ديانتها — الديانة ليست واحدة في بلاد الهند فخمس اهلها مسلمون ويقطنون في الشمال الغربي من بحيث جزيرة الهندستان وجل الهنود من البراهمة الذين يعتقدون ان برهمة خلق الكون وان له اخاً يدعى ڤيتشو يسعى بحفظه واخر يسمونه سيوا يسعى بخرابه وفي بلاد الهندستان ما ينوف عن

المليونين من النصارى اغلبهم انكليز . وبعضهم يعتقد بتناسخ الارواح اي انتقالها بعد الوفاة الى جسم حيوان اخر والحلول فيه ولذا يحرمون اكل اللحوم. وللبقر والافاعي عند بعض الهنود مقام مقدس

حيواناتها — من حيواناتها الضارية النمر والفيل فنمر بلاد الهند يماثل الاسد قداً طولاً وعرضاً وهيئة الا انه اشد بأساً واعظم قوة واكثر توحشاً فحيثما وجد استولى الرعب والجزع على الاهلين لانه قتّال للحيوانات الاهلية دمّار للقرى التي يحل فيها يختطف الخيل والبغال كانها نعاج فيقطع الانهر العظيمة المتلاطمة الامواج وهي في فيه لا تستطيع ان تبدي حراكاً حتى يلتهمها التهاماً ولا يقصر اعتداؤه على الحيوانات الصامته فقط بل كثيراً ما يعتدي على الانسان نفسه فيصول عليه كالبرق الخاطف لا ترهبه العيارات النارية ولا البيض الصفاح اما الفيل فطبعه الهدوء يميل الى السكون والدعة والبعد عن الاذى وله قوة غريبة تجعله قادراً على ان يقطع ٨٠ كيلو متراً في اليوم الواحد حالة كونه محملاً باثقال وزنها ١٠٠٠ كيلو جرام وجلده سميك جداً بيضن بتمادي الايام وله خرطوم يساعده على تناول الاشياء وسن غليظ لصد هجمات اعدائه ويقتات من الجذور والحشايش والاوراق ويسكن غالباً الاجمات والمواقع الحارة وكثيراً ما يستعمل الهنود الفيلة في الحروب فقد دلنا التاريخ ان الملك بوروس حارب الاسكندر وهو ممتط صهوة فيله ومن الغريب انه بينما كانت تلك الحرب مستعرة بين الطرفين كان فيل الملك بوروس يدافع عنه بكل حمية وحراءة حينما كان سليما ولما اصيب بالحراب ولم يستطع مداومة القتال ركع الفيل على ركبتيه بكل هدوء وشرع يخرج الحراب

بخرطومه من جسم سيده بكل تأن حتى لا يؤلمه

وللملوك سيام احترام زائد للفيلة البيض ولذا لا يسكنوها الا في سراي غاية في الابهة آية في الزخرف ولا يقدمون لها الطعام الا في اوان من الذهب ولا ينزهونها الا اذا كان فوقها مظلة فاخرة مزركشة وسبب ذلك انهم يعتقدون ان روح الفيلسوف كيكيا حلّت في فيل ابيض

الدور ببلاد الهند — دورها متخذة من الاخشاب مبنية على أسس متينة مكونة عادة من طابق واحد واحياناً من طابقين او ثلاثة ولا تخلو دور الاغنياء منهم من الجنان الواسعة ذات الاشجار الفناء والرياض الغناء والزهور ذات الاريج العاطر واللون الزاهي الزاهر ومنهم من يبني داخل بساتينه اضرحة ومبان للعبادة على شكل الاهرام غالباً ويغشون الدور بالطين احياناً فتنبت فيها الحشايش والازهار وبهذه المثابة تمثل القرى والبلدان للسائح منظراً بهيجاً .

ومن اجمل بقاع بلاد الهند اقليم كشمير الواقع في شمالها فقد اشتهر بحسن مناظره وبهاء مفاخره ولذا سمي بجنة الهند واهل بلاد كشمير اكثر السكان مهارة وعقلاً وحذقاً وجلداً على العمل ومما اشتهروا به عمل الشيلان التي تعرف بالكشمير نسبةً اليها وقد بلغ تصدير هذه الشيلان درجة عظيمة جداً ويكاد يكون جل الاهلين في هذه البلاد من الصناع وارض بلاد الكشمير مشهورة عند الهنود بكونها مقدسة ولها ايضاً عند المسلمين مزيد الاحترام ولكل طائفة في هذه الارض محل للحج غير ان جميع ما فيها من الآثار القديمة الدينية يعزى الى الهنود . والقصور التي شادها ملك كشمير منذ عهد غير بعيد في غاية من

الفخامة لا سيما البساتين التي بها وهي على صورة مدرج يشتمل على ابنية كبيرة وفي الوسط عين ماء يتكون منها وهي جارية شلالات وبرك وفساقي ذوات فوارات وتحت الشلالات حفر صغيرة معدة لان تظهر فيها الاضواء المنعكسة مياه تلك العين ذات البريق واللمعان وبيع اهل تلك البلاد للنساء الراقصات ان يغتلسن فى تلك الحياض فيظهرن فيها بمظهر التيه والدلال كانهن عرائس بحريه برزن من خدورهن يسبحن فوق لجين الماء فيرشقن العاشقين الناظرين بسهام ليس لآلامها دواء

وبيع الصائبين من الهنود التي يقيمون فيها الشعائر الدينية تشبه المساجد شكلاً من الخارج ومن الداخل بكثرة الاعمدة. واليك وصف احدى بيعهم المشهورة. ترى في المقدمة محراباً عليه ثلاث او اربع تماثيل من الذهب الخالص يعادل ارتفاع كل منها قامة الانسان بعضها واقف والاخر متربع ووراءها تمثال اخر اكبر منها باسق جسيم يبلغ ارتفاعه اربعة وخمسين قدماً تقريباً وكله من الذهب الخالص .

وترى ايضاً من الداخل مصابيح كثيرة تتلالأ بما عليها من الاحجار الكريمة كانها كواكب تضيء ساحة البيعة الفيحاء كلما سرح الناظر طرفه فيها زاد شغفه الى الاجتلاء والتمتع برؤية ماحوته من ثمين الجواهر .

تاريخ استيلاء الانكليز على الديار الهندية

ان بلاد الهند خاضعة كلها الى سيطرة انكلترا ولذا تسمى جلالة ملكة الانكليز بامبراطورة الهند الا ان تلك البلاد منها ما هو ملك انكلترا ملكاً تاماً ومنها ماهو داخل تحت حمايتها ومعترف بسلطانها

واليك الآن تفصيل الحوادث التي توالت عليها من ابتداء القرن السادس عشر الى يومنا هذا .

في سنة ١٥٠٥ ميلاديه اسس « بابور » من سلالة تيمورلنك مملكة واسعة في بلاد الهند عاصمتها دلهي وكانت منقسمة الى عدة ايالات وكل ايالة منقسمة الى اقسام صغيرة خاضعة كلها له ولما رأى الاوروبيون في القرن السادس عشر ان تلك البلاد ذات ثروة عظيمة صالحة لرواج تجارتهم اشخصت اليها ابصارهم وحولت اليها سفائنهم فابتدأ البورتغاليون بالرحيل فاحتلوا جزيرة جوا ثم جزيرة سيلان وصاروا ينشأون المتاجر الجمة بها ثم اغار عليها الهولانديون وحلوا محلهم ولكنهم لم يتمتعوا ببغيتهم امداً مديداً لان الانكليز اتوا اليها فطردوهم منها وحلوا محلهم سنة (١٥٩٩)

وفي سنة ١٦٢٤ انشأ الانكليز في تلك الديار وبمدينة مدراس وكالات عدة لتكون واسطة في الهند بين الشركات الانكليزية الاصليه في انكلترا وبين التجار المقيمين في الهند .

وفي سنة ١٦٤٠ وهب لهم احد امراء الهند قطعة ارض تبلغ مساحتها خمسة اميال طولا وعرضاً فاقاموا بها مراكزا لهم ثم اشتروا من وال هندي بعض اراضٍ اخرى فعمروها بعد خرابها وافعموها بوكالاتهم ومراكزهم لوضع سلعهم وبضائعهم وذخائرهم الحربيه لانهم كانوا يتحفظون دائماً على انفسهم واملاكهم حذرا من غدر الاهلين واعتداء الاجانب

وقد قيض الله لهم ان احترقت ابنة الشاه جهان بمدينة دلهي في القرن السابع عشر فارسل الشاه يستدعي احد اطباء الانكليز فارسلوا له

جراحاً ما هراً فعالجها وبعون الله شفيت فطاب ابوها نفساً وسر من ذلك سروراً عظيما فطلب من الجراح ان يسأله ما يريده جزاء حسن صنيعه فسأله ان يرخص للشركة الانكليزية بتوصيل علاقاتها التجارية الى جميع ولايات سلطنته لتتجر معهم وذلك بدون دفع رسوم عليها وان يأذن لها بانشاء مراكز جديدة فصادف طلبه قبولا وصدرت الاوامر بتنفيذها

وفي سنة ١٦٦٨ وهب الشاه جهان المذكور كارلوس الثاني ملك الانكليز جزيرة بومباي فتنازل عنها للشركة الانكليزية في مقابل مبلغ من النقود . الا ان الانكليز لم يكونوا وحدهم ذوي هذه الامتيازات العديدة فقد كان لامة الفرنسيس حظ مثلها . وكان للشركة الفرنساوية الهنديه التي اسسها كولبير احد وزراء لويس الرابع عشر مدينة شندر ناجور التي اشترتها الشركة من احد امراء الهند

وكذلك كان لها كاليكوت في قسم ما لابار (وهي غير مدينة كلكوتا الانكليزيه) وكذلك اسست مدينة بونديشيري وكان لهم على طريق الهند جزائر بوربون وارخبيل سيشل وبعض جهات من جزيرة مدغسكر والجزيرة المسماة الآن بجزيرة موريس وكانت تسمى قبلاً بجزيرة فرنسا وبظهور هاتين الشركتين على ارض الهند ابتدأت المناوشات وكثر الجدال وعظم التنافس وسعت كل منهما في تعزيز شأنها واماتة سلطة الاخرى فابتدأت الشركة الفرنساوية بشراء مدينة كاريكال (وهي ميناء عظيمة على بحر بنغال) وجميع الاراضي التي حولها واسست عدة محال تجارية مهمة خصوصاً في ميناء ماهي وفي ذلك العصر كان مدير الشركه الفرنساويه رجلا مشهورا

بمهارته فى الادارة وبذكائه الغريب يسمى ماهي دي لا بوردوني وهو الذي
احيي جزيرتي بوربون وفرنسا (الان جزيرة موريس) بعد انكانت تجارتهما
كاسدة وصناعتهما معدومة فقد ادخل بهما زراعة قصب السكر والقطن
والنيله وانشأ المعامل والمخازن والترسانات والحصون والقلاع . وخلفه في
ادارة شؤون الشركة الفرنساوية شخص يدعى جوزيف دوبلكس وفي عهده
توفى احد امراء الهند الحاكمين فرام اتباع طرق السياسة لتعزيز شأنه وسلطانه
في البلاد الهندية بان يستميل اليه بعض امراء الهند ويعززهم بقوته وجاهه كى
يبددوا الاقوام الثائرين عليهم وبذلك يكون له الحق في التداخل واعلاء كلمته
والاستيلاء على مايروم الاستيلاء عليه ولبث مدة من الزمن متبعاً هذه
الخطة حتى ازهرت في عهده المستعمرات الفرنساوية وربح التجار الفرنساويون
عشرة اضعاف رؤوس اموالهم الا ان الامة الانكليزية لم تغادر الامة
الفرنساوية تسعى في الاستيلاء على الهند فعزمت من ذلك الحين على اماتة
سلطتها ودحض شوكتها لتفوز هي بالنصر والظفر ولذلك اتحدت مع اعداء
الامراء الذين تحالفوا مع الفرنساويين فصارت تعضدهم وتمدهم بالاسلحة
والمؤونة وفي ذلك الوقت كان دوبلكس ساعياً في حشد الكتائب وضم الجنود
الهندية اليه فتوصل الى الاستيلاء على جميع ساحل كورومندول واوريسا
وهى ارض اكثر اتساعاً من ارض فرنسا باسرها وقد طلب من الدولة
الفرنساوية ان تمده بعسكره لتوطيد هذا الملك الهائل وبنائه على اساس متين
الا ان حكومته خشيت ان تمده بعساكرها لئلا تهيج الخواطر الانكليزية
ضدها بخلاف الحكومة البريطانية فكانت ترسل النجدات المتواصلة المتوالية

لمدير الشركة الانكليزية اذ ذاك المسمى سوندرس فسهل ذلك للورد كليف ان يكره الفرنساويين على رفع حصار « مادوره »

وقد كان لصدى هذه الهزيمة باوروبا وقع عظيم حمل الحكومة الفرنساوية على عزل دوبلكس من منصبه واسترجاعه الى وطنه على الفور ولما وصل دوبلكس هذا الخبر غادر الهند باكيا وآب الى بلاده كئيبا كظيما ومن شدة اسفه مات بعد قليل من الزمن وهو في أشد الفاقه .

ثم ولت الحكومة الفرنساوية بعده « جودهو » الذي امضى معاهدة « مدراس » وبهذه المعاهدة اضطرت الحكومة الفرنساوية مغادرة جميع الاملاك التي استولى عليها دوبلكس ولم تقتصر خسائر الفرنسيس على هذه الاملاك فقط بل كان الانكليز يسعون في تدبير املاكهم اينما وجدوا ففي بلاد السنجال مثلا بينما كان الفرنسويون يقيمون قلعة اذ ارسل الانكليز لهم بارجة اطلقت عليهم قنابلها فدمرتها تدميرا وكذلك حاكم الفرنسيس في جزائر الانتيل كان قد اقام عموداً عليه هذه الجملة « تابع املاك لويس الخامس عشر ملك فرنسا » فارسل الانكليز في الحال سفينةً حربية قذفته بنيرانها واوقعته واعظم من ذلك ما حصل باملاك فرنسا في امريكا الشمالية فان الفرنساويين كانوا قد ارسلوا لجيرانهم الانكليز مندوباً فرنساوياً ليتداول معهم في شأن مسألة فقبضوا عليه وساموه عذاباً غليظاً ثم ذبحوه وفي هذه الاثناء كان الملاحون من الانكليز يعتدون على المراكب الفرنساوية الحاملة للبضائع والسلع والخيرات حتى استولوا في ظرف شهر واحد على (٣٠٠) سفينة تجارية بها ٨٠٠٠ نوتي وينوف ثمن ما فيها من الخيرات عن ١٠٠

مليون فرنك

وفي سنة ١٧٥٦ وهي السنة التي اشتهرت فيها الحرب بين فرنسا وانكلترا تصادف وفاة حاكم الهند فبويع من بعده حفيده المسمى سراج الدولة وكان للانكليز عدواً مبيناً ولم يمض زمن مديد على ولايته حتى شن الغارة على املاك الانكليز ببلاد الهند فاستولى على قلعة وليم واستمر يقاتلهم حتى كاد يزعزع ملكهم الا انه لم يساعده الحظ على اتمام بغيته لان اللورد كليف هجم عليه وحاربه حتى اكرهه على طلب الصلح منه ثم استولى اللورد المذكور على مينا شندرناجور التابعة للشركة الفرنساوية وطرد الفرنسيس من قسم البنغال ولم يكتفِ بذلك بل اصرَّ على ابادة ملك سراج الدولة كي لا تقوم له قائمة بعد فامَّ ملكه قاصداً محاربته فالتقى الجيشان عند بلاسي دارت فيها الدائرة على سراج الدولة ومن ذلك الحين صارت للانكليز الكلمة النافذة في بلاد البنغال كله فعزلوا سراج الدولة وولوا مكانه الامير جعفر وجعلوه تحت حماية الشركة الانكليزية

وفي ذلك العهد ولَّت الحكومة الفرنساوية لادارة املاكها الهندية رجلاً ايرلاندي الاصل كان بطلاً صنديداً الا انه كان قاسي القلب جباراً عنيداً جلب لنفسه كراهة الاهلين ونفورهم منه وقد حارب الانكليز فانتصر عليهم واستولى على جوندولور وقلعة سان داوود ولما ثمل من خمرة ذلك النصر دفعه طمعه الى اخضاع مدينة مدراس التي كانت من مراكز الشركة الانكليزية فقصدها وحاول الاستيلاء عليها الا انه فقد جزأً عظيماً من نخبة جنده وآل امره الى الفرار لمدينة بوند يشيري فحصر بها زمناً ثم وقع

في قبضة اعدائه فحوكم وشنق

وفي سنة ١٧٦٢ بينما كانت الحروب تطحن الامم وتسحق الاقوام اذ علا الى السماء صوت الانسان منادياً بالراحة وكف القتال فالتأمت لذلك المؤتمرات وعقدت اذ ذاك الدول معاهدتين الاولى وهي معاهدة باريس عقدت بين انكلترا وفرنسا واسبانيا والبورتغال تنازلت فيها فرنسا لانكلترا عن بلاد كنادا وجزائر سان لوران ولم تحفظ لنفسها هناك الا حق صيد الاسماك وملكتها ايضاً جزيرتي ماري بطرس وميكلون وجزيرة غرناطه بارخيل الانتيل وجزيرة ماري فنسان ودومينيك وتاباجو وسانت لوسيه وتنازلت لها ايضاً من املاكها الافريقية عن بلاد السنغال عدا جزيرة جوره (وهي جزيرة صغيرة على ساحل السنغال) وكذا تنازلت عن املاكها الهندية عدا مدن شندرناجور وبوندیشيري وكاريكال وماهيه (وقد حافظت فرنسا عليها للآن) مع تعهدها بعدم اقامة حصون او قلاع بها واخلائها من كل حامية وفقدت ايضاً جزيرة مينورك بجنوب اوروبا وفقدت اسبانيا بحيث جزيرة فلوريد الا ان فرنسا عوضتها تلك الخسارة باعطائها بدلا منها بلاد لويزيان

(اما المعاهدة الثانية فلا دخل لها في موضوع بحثنا)

ولم تكن معاهدة باريس خاتمة الحروب بين الامتين الفرنساوية والانكليزية لان الحكومة البريطانية خوّلت للورد كليف سلطة غير مقيدة في الاعمال السياسية وبذلك تيسر له اكراه امراء البنغال واوريسا على الخضوع لسلطانه ورتب لهم معلوماً يقبضونه مسانهةً وقد أيد المغول الكبير

السلطة المخوله للورد المذكور باعترافه بها اعترافاً رسميا وذلك في المعاهدة التي ابرمها معه في مدينة (الله آباد)

وما زالت تتسع املاك تلك الشركة الانكليزية ببلاد الهند حتى نزعت من وارث مملكة تيمور كل املاكه خلا عاصمته فلبث بها مدة لم يستطع بعدها الا الخضوع الى سلطة الامة الانكليزية . وقد سهلت الشركة معاملاتها وتجارتها في الهندستان بتقليدها ادارة شؤونها الى حاكم عام أقام في مدينة كلكوتا التي اتخذوها مركزاً لاعمالهم ونجم عن ذلك فوائد مادية كبيرة فسهل انجاز الاعمال بغاية السرعة وبلغ ربح الشركة دفعة واحدة ستماية مليون من الفرنكات هذا في البداية وما ادراك ما بلغ في النهاية

وكان من الد اعداء الامة الانكليزية ببلاد الهند امير يدعى تيبو صايب حاول مراراً ان يرفع عن عاتق بلاده نير حكم الاجنبي فلم تمكنه الظروف وقد ورث هذه الكراهة عن ابيه الامير حيدر على الذي كان للانكليز عدواً عنيداً وقد توصل الامير تيبو الى حشد كتيبة من الجند هاجم بها المواقع الانكليزية فاستولى على جوندولور وهزم الجيش الانكليزي بواسطة احد قواده في خمس وقائع الا ان اللورد كرنواليس الذي كان مديراً للشركة الانكليزية الهندية في ذلك العصر تحالف مع قبائل المهرات واهل النظام والف منهم حزباً قوياً حركه على قتال عدوه تيبو وقد شبت الحرب سنتين سجالاً بين الطرفين ثم انتهت بوقعة هائلة دارت فيها الدائرة على تيبو فاضطر لان يطلب الصلح فعقد معهم معاهدة في « سرنجاباتام » بها تنازل لاعدائه الظافرين عن نصف الولايات الخاضعة له ولكنه لم يلبث على العهد زمناً

طويلاً حتى شقّ عصا الطاعة وتألّب ضدهم فحاربوه في عاصمة بلاده فاستولى عليه الجزع واليأس وانتهى امره اخيراً بالانتحار وبموته امتدت فتوحات الانكليز بسرعة زائدة لانهم وزعوا بعضاً من ايالاته الى قبائل المهرات حلفائهم واحتلوا ما بقي .

وفي سنة ١٧٩٩ اكرهوا امير آوود على ان يتنازل لهم عن نصف املاكه وفي سنة ١٨٠٠ احتلوا قسم كرناتيك وفي سنة ١٨٠٣ احتلوا مدينة دلهي وكان مستقبل الهند متوقفاً عليها فاصبح بذلك المغول الاكبر خاضعاً لهم وما اقبلت سنة ١٨١٨ الا وكانت بلاد الهندستان باجمعها خاضعة للشركة الانكليزية واستمرّت كذلك حتى استلمت زمامها الحكومة سنة ١٨٦٠ فمدت سلطتها حيث ضربت بعض القبائل الحرة وضمت اليها جهات هيماليا وبلاد الشترال ووادي سوات وجهات الباجور وفي سنة ١٨٩٧ ثارت بعض القبائل على الحدود كان منها قبائل العفريتيين وقبائل وادي سوات ولكن انكلترا توفقت بعد الحملات المتتابعة ان تكبح جماح هذه الثورات التي كان يهب شرارها من وقت لآخر

وتنقسم الهندستان اداريّاً الى اربعة اقسام عظيمة

القسم الاول تابع للانجليز مباشرة وبه مقر الحاكم العام للهند وقاعدته دلهي وهذا القسم يشمل عدة اقسام صغيرة منها ادجمير وبارودا والهند الوسطى وقسم برار وحيدر آباد ومملكة ميسور واسام

القسم الثاني : مملكة بنغال ويسمى بروضة الهند ويشمل اربع حكومات . بنغال . والاقليم الاوسط . واقليم الشمال الغربي . وبنجاب اي اقليم الخمس

نهيرات

القسم الثالث ٠ امارة بمباي ويشمل قسم بومباي والسند والموانى التي تمتد جهة الشمال

القسم الرابع : مدراس ويشمل المركز المسمى باسمه وواحد وعشرين مركزاً غيره وخمس امارات اشهرها ترافنكور وكوس

واشهر مدن الهندستان مدينة : بمباي وهي اول موانى اسيا تجارة يبلغ عدد سكانها ٨٠٠ الف نفس وهي كائنة في جنوب جزيرة صغيرة مسماة باسمها ضمن ارخبيل واقع في الجهة الغربية من شبه جزيرة الهندستان وميناها من اعظم موانى العالم لوقاية السفن غوائل الرياح التي تهب على تلك الشواطىء وهي مدينة صناعية تجارية يصدر منها اغلب الغلال والاقطان لانجلترا ومنها يصل بريد الشرق الى برندزي ثم مدينة كلكتا وهي قاعدة الهند الحالية وكائنة في قسم بنغاله على نهير هوجلى احد تفرعات نهر الكنج في وسط وادي منخفض وهي شهيرة بتجارتها وصناعتها التي امتازت بهما على غيرها من من مدن الغرب الا ان الامراض تكثر بها ومدينة بنارس على الشاطىء الايسر لنهر الكنج وبها تدرس العلوم الدينية والعقلية ولذا تسمّى بمدينة فلاسفة الهند ومدينة لاكنوا وتسمى بستان الهند وكانت قاعدة آوود الكائنة بين ولاية بنبول ونهر الكنج وهي مدينة ذات مناظر بهيجة في وسط حقول تكتنفها الغابات الجميلة

ثم مدينة مدراس وهي كائنة على خليج بنغال لا تطرقها السفن الا قليلاً لوعورة ميناها ولم يتيسر للامم التي استولت عليها اصلاحها الا ان

الانجليز آخذين في بناء مينا حصينة لوقاية السفن ورواج التجارة ويبلغ عدد سكان هذه المدينة ٤٥٠ الف نفس

مدينة پونا وهي كائنة في وسط جبال الغات الغربية وعدد سكانها ١٧٠ الف نسمة . وهي مدينة صناعية بها كثير من الانجليز لا يبرحونها لحسن موقعها ويفد اليها الاغنياء من بمباي عند اشتداد الحرارة وتغير الجو في المدن الكائنة جهة الغرب

مدينة بانجالور شهيرة بجودة هوائها

حيدر آباد وهي قاعدة قسم نظام عدد سكانها ٤٥٠ الف نسمه وقد اسس الانكليز بقربها بلدة صغيرة لسكناهم سموها الكسندر آباد وديانة اهل هذا القسم الاسلام

واما مدينة دلهي التي كانت قديماً عاصمة مملكة المغول فانها على فرع من فروع نهر جمنه تشتمل على كثير من الابنية العظيمة المبنية بالرخام وحجر المرمر منها دار مجلس الشورى والمجلس العام وكان به في القدم عرش الطاووس المشهور المصنوع من الذهب الخالص والجواهر قدّر ثمنه بمائة وخمسين مليوناً فرنك وفيها للمسلمين الجامع العظيم ويسمي مسجد جمنة يعده المسلمون من غرائب الدنيا وعجائبها كما يدعون المدينة شاه جهان أباد اي مدينة ملك العالم وفي المدينة نحو اربعين جامعاً وبعض البيا كل الهندية واضرحة لسلاطين الهنود واولياء المسلمين وكثير من المباني الاوروبية العظيمة منها دار الحكومة وكنيسة سنت جمس وعدة كنائس غيرها وفيها ايضاً معامل للمنسوجات القطنية والنيل وتجارتها واسعة النطاق في اصناف الحرير والجواهر وسوقها

المعروفة بكادني شولك من احسن اسواق الهند واكثرها اتقاناً

تجارة الهندستان — ولو ان التجارة الداخلية في بلاد الهند عظيمة جداً الا انها ليست متناسبة مع عدد سكانها فالسواد الاعظم من الهنود يعيشون معيشة تقرب من الفقر واكثرهم قانع بمستخرجات البلاد ومحصولاتها . ولقلة النهيرات القابلة للملاحة فيها اضطرّ الاهلون لانشاء ترعة كبيرة محاذية لنهر الكنج تيسيراً للمعاملات التجارية في الداخل وانشأوا سككاً حديدية عدة تمر على اشهر المدن التجارية بها . منها السكك الحديدية التي تتفرّع من بومباي وتتجه الى الشمال فتمر على سورات وبارون فوادي نهر الاندوس ثمّ قسم لاهور والى الشرق على الله آباد وكلكوتا والى الجنوب الشرقي على مدارس وكاليكوت ومن اشهرها ايضاً السكك الحديدية التي تبتدأ من كلكوتا وتمر على باتنا والله آباد واجر ودلهي ولاهور .

وفي الهندستان كثير من الخطوط التلغرافية . يصلها بانكلترا خطان احدهما يمتد تحت مياه البحر من بومباي الى السويس ثمّ بوغاز جبل طارق ثمّ فالموس (مدينة بانكلترا) والآخر يمر على البصره ثمّ القسطنطينية ومنها الى انكلترا وجميع المدن الاوروبية .

واما تجارة الهند مع الخارج فتبلغ الاربع مليارات من الفرنكات فهي تجلب من بلاد الانكليز كثيراً من الاقمشة القطنية والصوفيه ومن فرنسا كثيراً من الانسجة الحريرية ومنهما مقداراً كبيراً من المعادن النفيسة سيما الذهب والفضة ويدخل لها منهما ومن كافة الاقطار مقادير عظيمة من من الالات الحديدية وغيرها .

ومعاملاتها التجارية متصلة باوروبا اربعة اخماسها مع انكلترا والباقي مع اوستراليا والصين واميريكا وهي تصدر كثيراً من الافيون والقطن والصوف والنيلة والارز وملح البارود .

ومن السفن التي ترد اليها للاتجار معها تسعة اعشارها رافعة اللواء البريطاني واخصها بالذكر السفن التابعة لبحيرة المستعمرات الهندية الانكليزية التي يبلغ وزن محمولها مليون طولوناته . وكل من ثغري كلكوتا وبومباي يتجر وحده سنوياً بما ينوف عن مليار فرنك وتضاهي بومباي البلاد الاوروبية العظيمة حركةً وتجارةً

والهند مملكة عظيمة قوية تضاهي بقوتها اعظم الدول الاوروبية يحكمها بالنيابة عن جلالة الامبراطورة حاكم عام مع نخبة من رجال الانكليز واعيان الهنود ويسكن الهند مائة الف انكليزي ربعهم من عمال الحكومة ويبلغ عدد الجنود العاملين في الهند (٢٢٦٠٠٠) منهم ٧٤ الف انكليزي والآخرون من الهنود وعددهم ١٥٢ الفاً أي ان كل جندي انكليزي يقابله ثلاثة من الهنود وكذلك الضباط الذين يتولون قيادة الجيش فان كل ضابط انكليزي يقابله اثنان من الهنود . ويثق الانكليز بامانة وشجاعة الجنود الهندية وقد قال اللورد ولسلي في هذا الصدد « إنَّ نفراً واحداً هندياً يدافع عن تاج انكلترا اكثر من عشرة انكليز »

وايراد الهند السنوي يعادل ايراد انكلترا وتبلغ ادارة نفقتها ٢٤ مليوناً من الجنيهات وانكلترا لا تأخذ منها شيئاً ولكنها تدفع رواتب موظفيها وتقوم بسائر نفقات حكومتها مما يجمع منها وفائدة الانكليز من هذه البلاد لتجارهم

لا لحكومتهم فان الهند اكبر مستعمرات انكلترا بل هي بلاد فسيحة الارجاء فيها الاسواق الواسعة تصرف فيها البضاعة الوافرة التي يشتغل فيها الملايين من ابناء التاميز . وقد قال بعضهم : لولا الاسواق الهندية لوقفت حركة المعامل الانكليزية فيحق للهند ان تتباهى على انكلترا وتقول لها : اني احفظ ابناءك من الموت واقيهم شرّ المصائب والبلايا. فهذا ما يدعو انكلترا الى القلق المستمر والتيقظ التام لحفظ كيان هذه المستعمرة العظيمة ويوجد التنافس بينها وبين الروسيا على حدودها وفي الافغان الواقعة بين املاك الدولتين والموجودة تحت حماية انكلترا « وان تكن مستقلة تمام الاستقلال في شؤونها الداخليه »

ومن توابع الهندستان الانكليزيه جزائر لا كديف وجزائر ملديف في المحيط الهندي وكلها خاضعة لسلطة والي الهند

« جزيرة سيلان Cylon »

وتسمى ايضاً جزيرة سرنديب واقعة في الجنوب الشرقي من بحيث جزيرة الهند ويوصلها بوغاز بلخ ويقطنها زهاء الثلاثة ملايين من النفوس وعاصمتها كولومبو وكان العرب في القرون الغابرة يعرجون عليها بسفرهم الى ملقا وجزائر الملوك ليتزودوا منها الماء لسفنهم ويحملون منها القرف والعطريات وخشب الصندل واللؤلؤ الى عدن والى جزيرة هرمس في الخليج الفارسي. وقد استولى عليها البورتغاليون سنة ١٥٠٦ واسسوا قلعة كولومبو التي هي الآن عاصمة لهذه الجزيرة . ويستخرج منها الاحجار الكريمة كالزمرد وهي كثيرة النباتات وشهيرة بتجارة الشاي .

وجزيرة سيلان هى التي نفي اليها عرابي باشا المشهور الذي كان قائد الجيوش المصرية في حادثة سنة ٨٢ . فانه بعد ان هزم في وقعة التل الكبير وأسر حكم عليه المجلس العالي بالاعدام فسألت الحكومة الانكليزية الجناب الخديوي المرحوم توفيق باشا باستبدال هذه العقوبة بالنفي المؤبد وكانت هذه الجزيرة محل نفيه مع حليفه الشاعر محمود باشا سامي الشهير بالبارودي .

« بلاد الهند الصيني الانكليزية »

« British Indo-Chine »

ويقطنها زهاء اربعة ملايين من النفوس وتنقسم اداريًا الى قسمين قسم برمانيا ويشمل مانيپور واراخان وتناسريم وعاصمته رنجون وهي اعظم مدن العالم في تصدير الارز ويكثر فيها حجر اليشب ومناجم الفحم الحجري والغاز .

ومن مدنه الشهيرة منـدلاى واڤا . وبلاد برمانيا كثيرة الغابات والصحاري ومن محصولاتها الارز وقصب السكر والنيلة والتبغ والقطن ومن حيواناتها الفيل والنمر

وقسم مستعمرات البوغاز وهي تشمل جزائر اندمان ونيكوبار وجزيرة پولو پينيخ وسواحل ولنستون وتولوسجار وملقا وجزيرة سنجابور . وعاصمة هذا القسم مدينة سنجابور وهي مركز عظيم للتجارة لانها على طريق الهند والصين واوستراليا وينوف عدد سكانها على المائة الف نفس وهم من امم متفرقة ذات اخلاق ومذاهب شتى فيوجد فيها انكليز وهولانديون وعرب وهنود وصينيون وبنغاليون وغيرهم . وارضها جدبة قحلة يكاد لا ينبت فيها شيء إلاَّ ان العلم الانكليزي الذي يخفق فوقها قد جذب اليها محصولات

البلاد المجارة لها فاصبحت معمورة آهلة كثيرة الحركة والتجارة بعد ان كانت خالية خاوية . وقد اشتراها الانكليز في سنة ١٨١٨ بمائة وستين الف فرنك من سلطان جاهور ورتّبوا لهُ فضلاً عن ذلك مرتباً يقبضه ما دام حياً وقد بلغ ايراد الحكومة من مرور السفن من بوغازها ٥٠ مليون فرنك سنة ١٨٥٠ وفي سنة ١٨٧٥ وصل الى ٦٠٠ مليون اي ٢٤ مليون جنيه .

مَلَقَا Malaka

اما قسم ملقا فانه تحت حماية الحكومة الانكليزية وسكانه نصف مليون نفس ويحكمه امراء من العرب والمالزيين ويوجد فيه معدن القصدير بكثرة

عَدَن Aden

مدينة من بلاد اليمن واقعة في الجهة الجنوبية منها في شبه جزيرة جرداء خاليه من النبات والماء على مسافة مائة ميل شرقاً من بوغاز باب المندب وهي حصينة للغاية لكونها محاطة بسور طبيعي من تلال صخرية صلدة وقد بذل الانكليز الجهد في اصلاحها وتحسينها وتشييد القلاع والاستحكامات العظيمة في كل نقطة مهمة فيها بيد ان مناخها ردي وحرها شديد فلا يقدر الاجنبي ان يعيش فيها ولذلك كانت الحكومة الانكليزية لا تسمح لجنودها بان تلبث فيها كثيراً بل تبدلهم كل سنة تقريباً وقاية لصحتهم

على أن فيها البنايات الجميلة ومحلات تجارية عديدة للاوربيين والهنود والفرس ويحكمها وال انكليزي تابع لولاية بومباي في الهند . ويقطنها نحو ٤٠ الف نفس وهي مدينة تجارية مشهورة ومحطة مهمة لكل البواخر

الآتية من اوروبا والراجعة من الهند والصين واليابان واوستراليا وشرقي افريقيا ولكونها متوسطة بين اوروبا والاماكن المذكورة قد جعلت مينا‌ها مستودعاً للفحم الحجري الذي تأخذ البواخر منه مؤونتها ذهاباً وايابا فهو موكوم هناك شبه التلال العظيمة اما تجارتها فذات اهمية عظمى واخصها في البن اليمني والحبشي والصمغ العربي وحب الهال والبهارات والعاج والذهب وريش النعام والجلود وغير ذلك .

جزيرة بريم « Berim »

في وسط بوغاز باب المندب الذي يفصل افريقيا من آسيا وقد امتلكها الانكليز لكونها مفتاح البحر الاحمر وعلى طريق الهند .

(هنغ كنغ) Hong Kong وتسمى ايضاً بجزيرة الماء العذب ويقطنها نحو ٢٢٥ الف نفس وهي واقعة بقرب كانتون احدى مدن البلاد الصينية وقد امتلكها الانكليز في سنة ١٨٤٢ ثم بعد ذلك بثماني عشرة سنة اشتروا قطعة الارض التي حولها وبنوا فيها عاصمة سموها باسم فيكتوريا وهي من المراكز المهمة التجارية البحرية وقد اشتهرت بتجارة الافيون والشاي والكافور رغما عن كون القوانين الصينية لا تبيح استعمال الافيون لما ينجم عنه من الضرر الجسيم الا ان انكلترا اكرهت امبراطور الصين على ان يرخص لتجارهم الاتجار به وتستهلك الامة الصينية منه سنوياً قدراً عظيماً يبلغ ثمنه على ٣٠٠ مليون من الفرنكات

« قبرص » « Cyprus »

هذه الجزيرة موضوعة بالقرب من خليج اسكندرونه فى جنوب شبه جزيرة الاناضول ومخترقة بجبال شامخة اشهرها سلسلتي سرينة ورودس او اولمپه ويتخللها كثير من النهيرات التي تنحدر من اعالي الجبال واراضيها خصبة تكثر بها الفواكه والقطن والدخان والزيت الجيد والعسل وكان بها في سالف الازمان معدن الذهب الذي استخرجه القدماء ويوجد بها الآن معدن النحاس فقط وقد كانت ولم تزل مشهورة باثمارها المستطابة وبنبيذها وباللاذن وكثرة خيراتها كانت سبباً في انتشاب الحروب بين ملوك مصر والشام عليها حتى استولت عليها العرب في خلافة عثمان بن عفان ثم تداولها الافرنج مدة الحروب الصليبية حتى استولت عليها الدولة العثمانية في عهد الغازي السلطان سليم خان الثاني سنة ١٥٧٠ ميلادية وقد احتلها الانكليز منذ عهد غير بعيد محافظةً على حمايتها للدولة العلية ثم امتلكوها اخيرا امتلاكاً تاماً وهي مع ذلك تدفع خراجاً سنوياً للدولة وعاصمة هذه الجزيرة مدينة لوقوزيا وهي كائنة على الشاطئ الايمن لنهر بدياس الذي هو اكبر انهر الجزيرة ومن مدنها الشهيرة مينا فاجوست وهي مينا حصينه كائنة في شرق الجزيرة ثم مدينة كبلاذ فى الجنوب الغربي شهيرة بتربية نحل العسل ويقطن الجزيرة ٢٥٠ الف نفس اكثرهم يونان .

مستعمرات انكلترا باميركا

« British Colonies in America »

بلاد الكنادا Canada

قد امتلكت الامة الانكليزية جميع الاقطار الواقعة في شمال الولايات المتحدة ومن ضمن تلك الاقطار بلاد واسعة خصبة تسمى بلاد الكنادا وقبل الخوض في الكلام عليها نذكر طرفاً عن كيفية استكشاف اميريكالان له مساساً بموضوعنا هذا :

منذ اربع قرون خلون من أيامنا هذه استكشف احد اهالي جينوا المدعو كريستوف كولوب قارة امريكا او العالم الجديد وقد فتحها باسم ملك اسبانيا لانه هو الذي امده بسفنه لاستكشافها ولذا كتب له حين رآها ما يأتي « قد رنّ اسمك بعون الله على هذه الارض الفيحاء فمنحت مفتاح باب الاوقيانوس الذي كان الى الآن موصوداً بمتين الاغلال » ولما طاف كريستوف المذكور حوالى الجزائر القريبة من قارة اميركا (وهي جزائر الانتيل) وجاب ارضها وسبر اخلاق اهلها الفاهم ذوي بشاشة يميلون الى الاجتماع ليس لهم نفور ممن يقرب منهم وقد ذكر ذلك في كتابه الذي ارسله الى ملكة وملك اسبانيا حيث قال « اني اؤكد لجلالتكما انه لا يوجد في العالم باسره قوم اللين جانباً من اهل هاته الجزيرة ولا اكثر بشاشة ولا اهدأ طبعاً ولا اجمل اخلاقاً يلهجون بصوت رخيم يلتذ منه السامع ويتبسمون دائما اذا فاهوا . وقد أيدَّ قوله جميع السيَّاح الذين جاءوا تلك البلاد وجاسوا خلالها واوغلوا

في انحائها فارشدوا اوطانهم الى طرق الاستيلاء والاتجار معها ومن ذلك الحين جاء الاوربيون اليها افواجاً وزمراً فحلوا بها وعمروها ومدنوها وادخلوا بها العلوم والمعارف والصنائع والفنون وصاروا يثقفون عقول اهلها فاستنارت بشموس الحضارة الحاليه وقتئذٍ واستفاقت من خمولها ونومها . ولما ابتدأت تلك البلاد في الظهور في عالم المدينه تقاطر اليها الاوربيون من الانكليز والفرنسيس والالمان والهولانديين والاسبانيين حتى الهنديين والصينيين واليابانيين جاءوا اليها من الاقطار السحيقه ابتغاء نيل ثروة منها فمنهم من استوطن بها ومنهم من بارحها وقد دلت الاحصاآت انه يفد اليها كل عام آلاف مؤلفة من اوروبا واقصى البلاد للاستيطان بها

وبين السائحين الذين اتوا سنة ١٥٣٤ الى امريكا الشماليه سائح فرنساوي يقال له جاك كارتيه ارسله فرنسوا الاول ملك فرنسا للاستيلاء على بلاد الكنادا باسمه فدخلتها اذ ذاك الامة الفرنساوية وهرع كثير منها اليها وبثوا في اهلها روح الحضارة وعمروا منها ما كان خرباً ولقنوا سكانها بعضاً من علومهم وعلموهم اللغة الفرنساوية وهي الآن اكثر اللغات انتشاراً بها وقد حفظ السكان الى وقتنا هذا عوائد الامة الفرنساوية واخلاقها وكان اهم معمر لهذه الديار الفرنساوي المعروف باسم شامبلين فهو الذي عمر بنيانها واقام اودها ونظم احوالها وروّج تجارتها وساعد المبعوثين الروحانيين على نشر الدين المسيحي بها وكانت التجارة الى ذلك العهد منحصرة في بيع الجلود وما ابتدأ الاهتمام بالفلاحة بها الا في سنة ١٦٣٨ ميلادية

وقد كانت الامة الانكليزية في ذلك الوقت مالكة كافة الاقاليم الواقعه

في جنوب الاملاك الفرنساوية ولا يخفى ان الانجليز يجنحون دائماً الى الانفراد بالسلطة فوقعت بينهم وبين الفرنسيس مناوشات طفيفة اولاً ثمّ اخذت تلك المناوشات تزداد يوماً فيوماً حتى شبّت لظى الحرب بين الامتين في اواخر القرن الثامن عشر .فارسلت الحكومة الفرنسوية على الفور ١٨ بارجة حربية على الاملاك الفرنساوية بامريكا فلما وصل قائدها الى « يادوساك » بعث خطاباً ينذر به الحاكم الفرنسوي بتسليم البلد والخضوع له وهدّده بتشديد الحصار عليه حتى يضطره نفاذ المؤونة الى الاستسلام ولما وصل الفرنساويين هذا الخطاب رموه ارضاً ولم يكترثوا به فشدد الانكليز الحصار واستمرّ المحاصرون يكابدون الم الحصار مدة مديدة كلما ياتيهم مدد من الخارج وقع في قبضة المحاصرين وقد اضطروا ان يقتاتوا من جذور النبات الا انهم آثروا المعيشة في الذل والفاقة على تسليم المدينة الى اعدائهم ولما تيقن المحاصرون ان مؤونة المحاصرين وذخائرهم قد نفذت صالوا عليهم كالاسود الضوارى واخضعوهم ودخلوا مدينة يادوساك

ولم تكن هذه الا مدينة واحدة من الاملاك الفرنساوية التي وقعت فى ملك الانكليز وما كانت بغيتهم الا الاستيلاء على الاملاك الفرنساوية الاميريكية كلها ولماجاء الوقت المضروب لذلك حشد اللورد شتام جيشاً جراراً مؤلفاً من ٦٠ الف مقاتل لمحاربة النزل الفرنساويه والاستيلاء عليها وكذا صوّب نحوها البوارج الانكليزية لحصارها بحراً اما فرنسا فلم تستطع ان تمد نزلها ببلاد الكنادا بعسكر ولا بمؤونة لان الاضطرابات الداخلية كانت تشغلها كثيراً وكان قواد القوة الحربيه للنزل الفرنساوي اذ ذاك دوفودريل ودي

مونتكلم فحشدا جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف مقاتل من العساكر النظامية وستة عشر الفاً من همج الوطنيين الامريكانيين وكانت الفرقة الثانية مؤلفة من اناس مختلفي الاجناس يجمعها ست وثلاثين قبيلة غير متجانسه صعب قيادتهم لايخضعون ولا يمتثلون الى الاوامر العسكرية لانهم لم يكونوا مدربين على المحاربة طبق نظاماتها وقد حصلت جملة مناوشات حربيه كان النصر فيها في البداية للنزل الفرنساوية ٠

وفي سنة ١٧٥٨ حاصرت القوة الانكليزية مدينة كيبك فصارت تطلق عليها قنابلها وتقذف اليها نيرانها حتى اشتعلت دورها وخرّبت ما كان منها عامراً ثم تحولت الى جهة اخرى وشرعت تسحق في عسكر النزل الفرنساوي حتى ابادتهم وكان من اشهر الرجال الذين قضي عليهم فى تلك الواقعة الشهير مونتكلم وبموته خضعت مدينة كيبك للدولة الانكليزية ٠

ولتأييد ذلك النصر ارسلت الدولة الانكليزيه ثلاث كتائب نحو مدينة مونتريال للاستيلاء عليها وبالنسبة لاضمحلال القوة الفرنساوية بها لم تستطع تلك المدينة ان تقاوم طريداً فاستسلمت بعد قليل من الزمن وعقد اذ ذاك الانكليز والفرنسيس عهدة بينهما مؤلفة من ٣٥ مادة اليك اشهرها

« يتعهد الفرنسيس بنزع السلاح وكف الحرب وتؤدى لهم عنداوبتهم
« الى مدينة كيبك المراسم الحربيه ويبقى المركيز دوفودريل بداره حتى يؤب
« الى سفينة لائقه بمقامه »

« ويحافظ الكاثوليك على مذهبهم »

« ولا تمس حقوق الكهنة والمبعوثين الفرنساويين بأذى ويحفظون

« الامتيازات التي كانت مخوله لهم من قبل وكذا يحفظون املاكهم وحقوقهم المنقوله والثابته »

وقد حافظت الدولة الانكليزيه على هذه المعاهدة الى يومنا هذا ثم سعت في انماء ثروة تلك البلاد وتحسين احوالها وتنظيم ادارتها فاصبحت تجارتها اكثر رواجاً منه في ايام الفرنسيس وقد ادخلت بها ايضاً كثيرا من الاصلاحات التي عادت بالنفع العظيم على السكان

فهذا ملخص تاريخ استيلاء الامة الانكليزيه على تلك البلاد واليك الآن بعض كلمات عنها من وجه آخر

تبلغ مساحتها (٨ر٤٥٠ر٠٠٠ ك ٠ م) ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين نفس تقريباً ومع ان المواليد كثيرة جداً هنالك فان عدد السكان لا يزداد الا قليلاً كل سنه وسبب ذلك مهاجرتهم منها للاستيطان بالاقاليم الغربيه للولايات المتحدة لانها في هواء معتدل مقبول .

اقسامها السياسية — تقسم بلاد الكنادا الى ثمانية اقسام سياسية ويوجد قسم تاسع في ادارة خاصة ويشمل جزيرة الارض الجديدة ومجمع جزائر برموده

اولا كولومبيه البريطانيه وهي كائنة على شاطئ المحيط الهندي ويتبعها فانكوفير ومجمع جزائر الملكة شارلوت وقاعدتها فكتوريا وهي من اعظم مدن اميركا على شاطئ المحيط الهادي وهي مبنية في جنوب جزيرة فانكوفير

واغلب اراضي هذا القسم جبلية تشتد فيها البرودة عدا الشواطئ فان الطقس بها معتدل قليلا وكان بها معادن الذهب بكثرة عند استيلاء الامة الفرنساوية عليها اما الآن فكادت ان تتلاشى بالنسبة لكثرة ما استخرج منها

ويوجد بهذا القسم ايضا غابات عظيمة مأهولة بانواع الحيوانات ذات الفروة الثمينة ويوجد فيها ايضا شجر الشوح ومراعي جميلة لتربية المواشي وسهول ووديان واسعة قد جمعت بين حسن المنظر وعظيم النفع ويوجد الفحم الحجري بكثرة في جزيرة فانكوفير وارخبيل الملكه شارلوت ثم ان هذه الاراضي وان تكن ملكا للدولة البريطانية الا ان الانجليز لا يقطنون الا السواحل والجزر واما داخل البلاد فسكون بالهنود الذين لم يشرق عليهم نور المدنية للآن

ثانيا اراضي الشمال الغربي وتمتد بين خليج هودسون والمحيط المنجمد الشمالي ويتخلل هذا القسم كثير من الانهار والنهيرات والبحيرات اشهرها نهر ماكنزي الذي ينبع من بحيرة اتاباسكا وبحيرة العبيد والدب الاكبر ثم يصب في المحيط المنجمد ونهير ساسكاتشوانه الذي يروي سهول ووديان مانيتوبا ونهير نلسون وسفرن وهذه الانهر الثلاثة تنبع من بحيرة ونبيج وتروي سهولا من اخصب بلاد العالم ويتبعها شبه جزيرة لابرادور وهذا القسم اعظم الاقسام مساحة واقلها سكانا نظرا لاشتداد البرودة وعدم خصوبة ارضها لانها كثيرة المستنقعات ومع ذلك فقد يفد اليها الصيادون ويكثر سكانها يوما فيوما واما الجهات الباردة فسكونة بامة الاسكيموس الذين يقتاتون بالاسماك ويلبسون جلود الحيوانات وهم على الحالة الهمجية

ثالثا جزيرة البرنس ادوار مساحتها ٥٥٠٠ كيلو متر وهي حسنة الموقع كائنة في شمال ايقوسيا الجديدة وعدد سكانها ١٢٠ الف نسمة وقاعدتها شارل تاون

وتتبعها جزيرة راس برتون التي قاعدتها سدني

رابعا شبه جزيرة ايقوسيا الجديدة وكانت تسمى قديما اكاديه تبعت لفرنسا واستولت عليها الامة الانجليزية سنة ١٣١٣ وقاعدتها هاليفاكس وهي ميناحربيه صناعيه معتبرة كترسخانه للمستعمرات الامريكية واليها يصل الخط الحديدي من مونتريال وتبلغ مساحتها ٥٤ الف كيلو وسكانها ٤٠٠ الف نفس

خامسا برنسويج الجديدة وقاعدتها فريدريك تاون ومن مدنها الشهيرة سان جوهن على خليج فوندي وهي مينا حربيه حصينة تطرقها السفن من الولايات المتحدة

سادسا كندا السفلى تروى بنهر سان لوران وهى اعظم الاقسام سكانا وينفصل هذا القسم عن الولايات المتحدة بالبحيرات الكبيرة التي يخترقها نهر سان لوران ويكون بين اثنين منها شلال نياجارا الشهير وقد بنى الانجليز على هذا الشلال جسر من اعظم جسور العالم وقاعدتها كبك واشهر مدنها مونتريال

سابعا كندا العليا او اونتاريو وهى كائنة بين نهر سان لوران وبحيرات ايريا واونتاريا وهوردن والبحيرة العليا وهذا القسم خصب الاراضي كثير الغابات والمراعي والسهول والوديان ويوجد به معدن الحديد والنحاس وينابيع البترول اي الغاز الذي له الدرجة الاولى في تجارة هذه البلاد الشاسعة ومن مدنها الشهيرة كنجستون على نهر سان لوران ويتبع هذا القسم قسم تورنتو وقاعدة الحكومة في هذا القسم مدينة اوتاوا على النهير المسمى باسمها من مصبات نهر سان لوران وعدد سكانها (٤٠ الف نفس)

ثامنا اقليم مانيتوبا يشمل اراضي اخصب بلاد امريكا عموما يكثر فيها

زراعة القمح ومن مدنها الشهيرة ونيبج وهي في ملتقى النهير الاحمر بنهير اسينبوان

القسم التاسع المنفصل على حدته قسم جزيرة الارض الجديدة وهي في مدخل خليج سان لوران قحلة لاينبت بها شيء يصلح للقوت الا ان انكباب الامم على السفر اليها في اوقات محددة من السنه ليس إلا لصيد الحوت والذي يكثر منه على الرمال التي تحيط بهذه الجزيرة عند نزول التيار الآتي من القطب الشمالي وقاعدتها سان جان او القديس حنا وقد يتبع حكومة كندا مجمع جزائر برموده وقاعدتها هاملتون

الزراعه — يكثر في بعض الاقاليم التي ذكرناها القمح والجودار ويرسل منها مقداراً عظيماً للندرة وكذا يزرع بها البطاطس وحشيشة الدنيار وهي تنبت على ضفاف سان لوران وكذا القنب والكتان والتيل

ويكثر بها ايضا حب الصنوبر والحور والسنديان والشوح والبلوط ويوجد بها مراعي يسرح فيها الملايين من المواشي التي هي ينبوع ثروة هـذه البلاد

اما المعادن فقد يكثر منها الفحم الحجري في برنسويج الجديدة وايقوسيا الجديدة وجزيرة راس بريتون وجزيرة فانكوفير يوجد فيها مناجم تفوق عما سواها في الكثرة وجودة المعدن وكذا الحديد والنحاس في ايقوسيا الجديدة وقسم البحيرات والذهب بكولومبيا وزيت البترول في كندا الغربيه

محصولاتها — وبلاد الكنادا اعظم الولايات الامريكية حركةً وتجارةً بعد الولايات المتحدة واكثر محصولها الزراعي القمح والجودار ويرسل منهما

مقداراً عظيماً للوندرا وتزرع بها البطاطس وحشيشة الدينار وهي تنبت على ضفاف سان لوران وكذا القنب والكتان والتيل وفيها مراعٍ كثيرة تسرح فيها المواشي التي يعتني الاهلون بتربيتها لانها ينبوع ثروة البلاد . ويصطاد كثيراً من الاسماك من خليج سان لوران ويصدر منها مقداراً عظيماً للبلاد الاوروبية . وفيها غابات واسعة تؤخذ منها الاخشاب لصناعة السفن والبناء ويستخرج منها الجازبوفرة . وفي قسم كولومبيا توجد معادن ذهبية كثيرة وفي كندا الغربية زيت البترول . وفي ايقوسيا الجديدة وقسم البحيرات الحديد والنحاس . وفي برونسويغ الجديدة وايقوسيا الجديدة وجزيرة رأس بريتون وجزيرة ڤانكوفير مناجم تفوق غيرها في وفرة المعادن وجودتها .

وقد اكتشف في المدة الاخيرة على بعد مائة ميل من الاسكا (وهي شبه جزيرة بحر بارنغ اشترتها انكلترا من روسيا سنة ١٨٧٦ وتعرف بكلونديك) بقعة فيها معادن ذهبية تبلغ ٢٥٠ الف ميل مربع . وقد جذب غنى هذه البقعة كثيرين من طلّاب الذهب ولكن دون السفر اليها قطع جبال واجتياز بحار ومشاق كثيرة

صناعتها — واما الصناعة فقد تقدّمت بكنادا تقدماً عظيماً وقد استعمل الانكليز تيارات المياه التي تنحدر من اعالي الشلالات لادارة فابريقات ومعامل لسبك المعادن ثم انه يوجد معامل كثيرة لعمل الآلات الميكانيكية في مدن جوهن وهاليفكس وفي تورنتو معامل للآلات الزراعية وفي كبك معمل عظيم للعربات على اختلاف انواعها وفي مدن سان موريس وكنجستون واوتاوا معامل لصب الحديد والصلب وفي منتريال معامل كثيرة لدبغ الجلود

تجارتها . إن اعظم طرق المواصلات التجاريه بها نهرسان لوران والبحيرات العظيمه الا ان نهرسان لوران يجمد ماؤه ويصير جليداً مدة خمسة اشهر في السنه وبها كثير من السكك الحديديه التي تربط اشهر مدنها وخطوط تلغرافيه عدة توصل مدنها بمدن اوروبا وكافة الاقطار

وتجارتها مع الخارج منحصرة في جلب المنسوجات القطنيه والصوفية والشاي والسكر والنبيذ من فرنسا وبعض اشياء اخرى للزينه وفي تصدير الاخشاب والحبوب والدقيق والاسماك والجلود والزيت . ولتجار الانكليز الحظ الاوفر من تجارة هذه البلاد

بعض معتقدات اهلها — يعتقد الاهلون بها ان كل ما يراه الانسان في منامه لا بُدَّ من وقوعه وقد اشبهوا بذلك الكثير من عوام مصر الذين يعتقدون هذا الاعتقاد ايضاً . فقد روي احد امراء هذه البلاد الاصليين اذ زار ذات يوم ظابطاً انكليزياً لعقد معاهدة معه . وفي اثناء المحاضرة قال له : اني رأيت في منامي هذه الليلة انك خلعت عليَّ الثوب الاحمر الذي تكتسي به في ايام المواسم والاعياد . فتحير اذ ذاك الضابط الانكليزي الا انه ما رضي ان يرفض طلب الامير فخلع عليه في الحال الثوب الذي تمناه . وبعد تلك الحادثه بايام قلائل تقابل الضابط الانكليزي مع الامير نفسه وقال له . « اني رأيت في منامي انك وهبتني هذه الارض » واشار بيده الى ارض هنالك خصبة التربة حسنة الموقع فلم يستطع الامير وقتئذ الا ان يلبي طلبه فاجابه « هي لك بشرط ان لاتطلعني من الآن فصاعداً على رؤياك ولا اطلمك على رؤياي ... »

ويعتقدون ايضاً ان الانسان له روحان روح لا تفارقه البته حتى الوفاة

وروح تفارقه وقت منامه وهي التي تصدر عنها جميع الحركات والافعال التي رآها الانسان في منامه . اما الروح الثانيه فقالوا لاريب في وجودها وأيدوا ذلك بقولهم : ان جسم الانسان يبقى ساكناً وقت النوم لا حراك به الا انه لا بد ان يكون ذا روح لانها ان غادرته هلك ..

واما الصناعة فقد تقدمت في تلك الاصقاع البعيدة تقدماً عظيما وقد استعمل الانكليز تيارات المياه التي تنحدر من اعالي الشلالات لادارة فابريقات ومعامل لسبك المعادن فيوجد معامل وترسخانات لعمل الآلات الميكانيكية في مدن سان جوهن وهاليفاكس وفي تورنتو معامل صناعية لعمل الآلات الزراعية وفي كبك معمل عظيم لصناعة العربات على اختلاف انواعها ويوجد معامل لصب الحديد والصلب بمدينة سان موريس وكنجستون واتاوا ومعامل لدبغ الجلود بمنتريال

املاك الانكليز الاخرى

تملك ارخبيل الانتيل ست دول اسبانيا وانكلترا وفرنسا . وهولاندا . والدنمرك . وفنزويله . اما املاك انكلترا منها فهي :

جامايك استولت انكلترا على هذه الجزيرة في اواسط القرن السابع عشر وسكانها ٦٠ الف نفس ربعهم من النوع الابيض واشهر محصولها الزنجبيل والكاكاو والسكر والدخان واشهر مدنها كنجستون (مدينة الملك) واقعة في جنوب الجزيرة ولها ميناء جميل .

ويليها جزائر الرياح ويقطنها ٥٣٠ الف نفس

ثم جزيرة « انتياجو » « وجزائر دومينك » « وبارباد » « وغرناطه »

« وتاباجو » ثم جزيرة « ترنيته » (اي التثيلث) وهذه الجزيرة اكبر الجزائر المتقدمة ومركزها سبانشتون (اي مدينة الاسبانيين) ثم جزائر « باهاما » وهي جزائر عدة متقاربة من بعضها واشهر محصولاتها الفواكه والاناناس ومنها جزيرة « سان سلوادور اي جزيرة النجاه » وهي اول الجزائر التي نزل بها كريستوف كولومب مكتشف امريكا

وتبلغ تجارة جزائر الانتيل الانكليزية مع الخارج اكثر من ٣٠٠ مليون فرنك اما تجارتها العموميه فتبلغ مليارين من الفرنكات منها مليار لجزيرة كوبا وحدها التابعة لاسبانياو ١٢٠ مليون لجزائر فرنسا :

جيوانة الانكليزية ــ تنقسم بلاد الجويانه الى قسمين كبيرين قسم مستقل واخر تابع لدول اوروبيه ثلاث انكلترا وفرنسا وهولانده فالجويانه الانكليزية اكثرها سكانا واحسنها موقعاً واخصبها تربةً وعاصمتها مدينة جورج تاون وهي مدينة تجارية تصدر كثيرا من السكر والاخشاب النفيسة

وتبلغ تجارة الجويانة الاوروبية ١٦٠ مليوناً من الفرنكات منها ١٢٥ مليوناً للجويانة الانكليزية وحدها

ولانكلترا جزائر اخرى منها كثير الاهمية ومنها ما هو قليلها اشهرهـا « مونسرات » « وسان كريستوف » « والانجيل » « وسان لوسى » « وتورتولا » « وجزائر بورمون » « وهوندراس » « وجزائر قاللان » « وجزائر الترك » « ولايك »

مستعمرات انكلترا في الاوقيانوسية

British Colonies in Ocean

« اوستراليا »

Australia

ان اوستراليا اكبر جزائر الاوقيانوسية بل هي اكبر جزائر العالم واوسعها واعظمها واشهرها ومساحتها تعادل ٤ ملايين و ٨٢٧ الف كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها مليونان ونصف مليون وفي القرن السابع عشر عثر عليها الهولانديون وقد سموها ببلاد هولاندا الجديدة ثم وفدها الاسبانيان الشهيران بدرو فرناندس ولوى دي تورس بعد ذلك بسنة اي سنة ١٦٠٧ وقد عبر الاخير منهما البوغاز الذي سمي باسمه ووصل الى راس يورك وفي سنة ١٦٢٨ عثر الهولانديون بطريق الصدفة عند ذهابهم من اوروبا الى باتافيا (جزيرة جاڤا) على ارض وتس وخليج كارنتياري وفي سنة ١٦٤٢ استكشف تازمان الشهير ارض فان و يامان اما كوك الشهير فقد استكشف في رحلاته الثلاث سواحل اوستراليا الشرقية ومن بعده تواتر السياح والملاح اغلبهم من الامة الانكليزية مثل باس وجرانت على هذه الاراضي وشرعوا يوالون البحث والاستكشاف فرفعوا الغطاء على كثير من المعميات والمجهولات وقد حاول اكثرهم التوغل والتجوال في داخلها لدراسة وصف ارضها وما فيها فلم يتوصل احد منهم الى اختراقها من الشمال الى الجنوب حتى اقدم على هذا العمل البطل المقدام بورك وكشف النقاب عن مخبآتها

وكانت انكلترا في سنة ١٧٨٨ ترسل مجرميها وجناتها الى هذه الجزيرة فكثر الاشرار فيها وشرعوا يعيثون فساداً حتى اهلكوا وابادوا سكانها الاصليين .

وفي سنة ١٨٥١ أُستكشف بهذه الديار معادن ذهبية عظيمة فما كاد يطير هذا الخبر الى اوروبا حتى اقبل اليها الصنّاع والتجار وغيرهم زمراً زمراً ونزلوا بها وصاروا يستغلون هذه المعادن ويتجرون بمحصولها حتى جمعوا اموالاً طائلة منها فمكنوا من بعد ذلك على تربية المواشي لوفرتها بتلك الديار وهكذا فانهم استاثروا بثروة هاتيك المرابع والبلدان

ويقطن اوستراليا هذه كثير من الانكليز والايرلنديين وبلغ عددهم (المليونين تقريباً) والالمانيين والصينيين والاوستراليين الاصليين والفرنساويين والايطاليين وعدد عظيم من قبائل الماوريس وفيوجي

والديانة المنتشرة بها هي البروتستانتية وتليها الكاثوليكية ثم الاسرائيلية وانقسام هذه البلاد السياسية سبعة كل قسم منها مستقل بادارة شؤونه ومهامه الداخلية استقلالاً يقرب من التمام .

اولها قسم اومستعمرة فيكتوريا وسكانها مليون نفس تقريباً وقاعدتها ملبورن فرضة تجارية شهيرة تأسست سنة ١٨٣٥ وهي الآن اعظم مدن الاقيانوسية واغنى فرضة بها فتصدر كثيرا من الذهب والصوف وتجلب كثيرا من الملابس والاقمشة والمشروبات الكؤولية

ثانيها قسم الغالة الجديدة الجنوبي وسكانه ٨٠٠ الف وعاصمته سيدناي وهي المركز السياسي لحاكم الاقيانوسيه المندوب من طرف الحكومة

الانكليزية المراقبة على الاعمال السياسية والمالية الداخلية والخارجية .

وصادراتها الصوف والجلود والفحم الحجري والجوخ والذهب

ثالثها كوينزلند اي ارض الملكة وسكانها ٣٠٠ الف نفس ومركزها بريزبان وتصدر القصدير والنحاس والصوف

رابعها اوستراليا الجنوبية وسكانها ٢٨٠ الفاً وكرسيها السياسي ادلايد

وصادراتها الدقيق والصوف والنحاس

خامسها اوستراليا الغربيه وقاعدتها برث

سادسها ارض تزمانيا

سابعها زيلانده الجديده وعدد سكانها ينيف عن نصف مليون وعاصمتها ولنتون .

ولانكلترا مستعمرات اخرى ايضاً بالاوقيانوسيه مثل جزائر فيدجى ضمتها الى املاكها سنة ١٨٧٤ ويبلغ عدد هذه الجزر نحو ٣٠٠ اغلبها مشحون بالبراكين والجبال ولها جزء من غينا الجديدة ومن جزيرة بورنو

ونظراً لخصوبة ارض اوستراليا وكثرة المزارع والنباتات واتساع المعادن الذهبيه والنحاسيه والقصديريه وغيرها قد بلغت تجارتها مبلغاً عظيماً حتى انها عدت من أشهر متاجر العالم ويدلك على ذلك كمية الذهب المستخرجة من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٧٧ واليك بيان اثمانها

من زيلانده الجديدة	بلغ ثمن الذهب المبيع منها	٧٦٠	مليوناً	من الفرنكات
كوينز لند	«	«	«	٢٦٥	«	«
من بلاد الغاليه الجنوبيه	«	«	«	٨٠٠	«	«

ومن فكتوريا خمسة ملايين من الفرنكات

فيكون ثمن مجموع ما بيع من الذهب المستخرج منها يعادل ٧ مليارات من الفرنكات تقريباً اي نحو ٢٨٠ مليوناً من الجنيهات فتأمل في هذا العدد الفاضح تعرف قدر تجارة هذه البلاد من صنف الذهب وحده

وتجارة المستعمرات الانكليزية الموجودة بالاقيانوسية مع الخارج يبلغ مليارين من الفرنكات في السنة الواحدة منها ٣٠٠ مليون لتجارة الذهب الغير المضروب و ١٥٠ مليوناً للصوف والباقي للجلود والمواشي واللحوم والقمح وباقي الغلال واربعة اخماس تجارتها مع انكلترا ومستعمراتها

ويقال ان في سنة ١٧٩٧ لم يكن بها الا ثلاث خرفان وثمانية نعاج اتي بها من مستعمرة الكاب من افريقيا والآن بلغ عدد خرفانها ونعاجها اكثر من المهاجرين من كافة البلدان الاوروبية والاسيويه والامريكية ووصل عدد سكانها الآن الى قدر عظيم وقد شوهد انه ينمو نمواً عجيباً حتى اثبت احد العلماء من الابحاث التي عملها هنالك بعد دراسة احوالها دراسة جيدة ان عدد سكانها سيصل قبل انتهاء القرن العشرين الى ١٩٠ مليوناً ودرجة حضارة اوستراليا وصلت الى الغاية القصوى حتى انها اصبحت تضاهي الممالك الاوروبيه العظيمة تمدناً وتقدماً وقد قال في هذا الصدد احد علماء الفرنسيس ان « اوستراليا احدى غرائب مصنوعات الامة الانكليزية » لانهم هم الذين عمروها ومدنوها وفلحوها ونشروا بها العلوم والمعارف واوجدوا بها المصانع والمعامل وانشأوا بها المدارس والمتاجر والمصارف والمستشفيات ومحلات التجارة وغيرها واوجدوها الى عالم الظهور بعد الخفاء .

« المستعمرات الانكليزيه بافريقيا »

British Colonies in Africa

افريقيا ذات الاطراف الشاسعة والصحاري الواسعة التي كان جلها مجهولا منذ اربعين سنة برزت في هذه الايام من عالم الغيب الى عالم الظهور واصبحت مرسحا تتلاعب فيه مطامع الدول الاوروبية على الاراضي الخاليه منها فانتشرت الحروب وانتشبت من جرى هذا النزاع في كل جهاتها من اقصاها الى ادناها فثارت في الشمال الشرقي بين ايطاليا والحبشة وشمالاً بين الجنود المصريه والانكليزية والمهدي ودراويشه وفي الوسط سار الفرنسيس في الصحراء وبلاد سنغال والكونغو . على ان النزاع اشتد في القسم الجنوبى من هذه القارة وقامت الحروب على قدم وساق في الترنسوال وفي بلاد الماتبيل وعلى ضفاف نهر اورنجه والكونغو وزمبيزه في جزيرة مداغسكر .

وبالجملة فقد تشعبت المسائل الاستعماريه في افريقيا تشعباً لا مثيل لها حتى اصبحت من اهم المشكلات السياسيه فصار امر المحافظه على استعمارها من اهم المسائل الشاغله لدول العالم اجمع وصارت ارضها الغنيه بمناجم الفحم والمعادن جذابة للمستكشفين من الاوربيين الذين لا يكادون يحتلون ارضاً حتى يحددونها لمملكتهم ويعمرونها ويقسمونها ومع ذلك فان خارطة افريقيا لا تشمل كافة التفصيلات والتقسيمات السياسيه كما يجب

ولانكلترا بافريقيا اعظم الاراضي واغناها واحسنها للسكن والتجارة

وهي مع ذلك تجتهد في ضم هذه الاراضي الواسعة الى بعضها وقد سهلت الطرق لاستخراج كنوزها واستدرار خيراتها وتحسين ادارتها ومن هذه الاملاك ما هو كائن ببلاد سنغال ومنها ما هو على سواحل غينا الشماليه ونهر النيجر ومنها السودان المصري الانكليزي ومنها القسم الاعظم والاهم الكائن في جنوب افريقيا وهي حكومة الراس او الكاب وجزء عظيم من بلاد زنجبار والاراضي المخصبه الكائنه بين بحيرات فكتوريا والبرت نيانزا والبرت ادوار وهي التي تسمى ببلاد اوغندا

وهاك الآن نلمح على الجزء الكائن ببلاد سنغمبيا . هذه المستعمرة الصغيرة كائنه بين الاملاك الفرنساويه والبرتغاليه وتسمى ببلاد غمبيا مساحتها ١٢ الف ك وعدد سكانها (١٤) الف نفس وهي ذات اراضي خصبة جيدة الهواء وقاعدتها مدينة باتورست وحاصلات هذه البلاد هي الاخشاب العطريه وريش النعام وزيت النخيل

بلاد سيراليونا

كائنة في شمال بلاد ليبريا الحرة مساحتها ٧٥ الف ك م وعدد سكانها ٨٠ الف نفس وقاعدتها مدينة فريتون او المدينة الحرة وهذه البلاد وان كان هواؤها لا يوافق الاوروبيين الا ان حسن موقعها في الشمال الغربي من افريقيا كان سبباً في استيلاء انكلترا على مافيها من السواحل لمد سفنها بما يلزم لها من الذخائر والمؤنة عند الحاجة

واما بلاد ساحل الذهب وما جاورها فيبلغ عدد سكانها المليون نفس

ومن ثغورها الشهيرة كاب كوست كاستل (راس شاطئ السراي) وهذه البلاد تصدر بكثرة الزيت ومعدن الذهب الى بلاد الانكليز ويتبعها بلاد اشانتي وقاعدتها قوماسيا واما مركز هذه المستعمرة السياسي فرستيانبور

(ثم بلاد لاغوس .) وشركة النيجر السفلى وبلاد بنين (وكلبار الجديده) ومملكة يوريبا ومن مدن هذه المملكة الاخيرة ابيقونا وسكانها يتجاوز ٢٠٠ الف نسمه ثم مدينة ابادان الجامعه ١٠٠ الف نفس وقد كانت تحت الحمايه الانكليزية ولكن الآن رفضت حمايتها ولم تزل المنازعات قائمة بهذا الصدد وهذه المستعمرة ذات اراضي شاسعة قد اخذت الامة الانكليزية في نظامها على النسق الجديد وبث روح الزراعة والتجارة بين سكانها حتى تجني ثمرة اتعابها باستدرار طيبات الارض الواقعة على ضفاف نهر النيجر العظيم وبالجملة فان لهذه المستعمرات مستقبل سعيد

جزيرة سانت هيلانه

او القديسة هيلانه وهي التي نفى اليها نابليون الاول امبراطور فرنسا سنة ١٨١٥ ومات بها سنة ١٨٢١ ثم نقلت جثته بعد حين من الزمن الى فرنسا

وجزيرة الاسنسيون او الصعود وهاتان الجزيرتان في المحيط الاطلانطيقي كمحاط للسفن التي تجتاز هذا الاقيانوس واراضيهما صخرية ليست لهما اهمية سوى موقعهما وقد نظم الآن سير البريد اليهما كباقي الجزائر الشهيرة

حكومة الكاب

Cape Colony

وهي اهم المستعمرات الانجليزية بقارة افريقيا واول من اسسها هم الهولانديون سنة ١٦٥٠ ثم استولت عليها انجلترا فيما بعد بين سنتي ١٧٩٥ وسنة ١٨٠٦ وقد رحل الهولانديون عند احتلال الانجليز لها فاستوطنوا بلاد ناتال وفي سنة ١٨٣٧ زحف عليهم الانكليز وسطوا على ما عمروه من البلدان فاضطروا ايضا ان يغادروا هذه المواطن وتوغلوا الى الداخل حيث نزلوا ارضاً كثيرة المزارع والنباتات فعمروها حتى صارت بمرور الزمن بلاداً عامرة واطلقوا عليها اسم جمهورية اورنجه على اسم النهر الذي يفصل بلادهم عن حكومة الكاب وقد تركوا وطنهم وخيراتها للمحتلين ولم يأخذوا سوى المواشي التي هي سبب قوام الحياة عندهم على زعمهم

ثم ان فريقاً آخر منهم استوطن البلاد الكائنة في جنوب نهر لمپوپو وسموها بجمهورية الترنسوال اي ما وراء وال وهو نهر صغير يصب في نهر اورنجه واخذوا من ذلك الوقت ينافسون الانجليز في تربية المواشي وحراثة الارض وزرعها وطاب لهم هواء تلك الاصقاع ثم تولد من لغاتهم ولغات القبائل المجاورة لهم لغة هولاندية خاصة بهم وصاروا يعرفون بالبورس

وفي سنة ١٨٧٧ ثارت قبائل الكفرة على البورس فطلبوا من انكلترا المساعدة فتداخلت في شؤونهم حرصاً على البلاد التي عمروها من هجمات القبائل المتوحشة وبذلك نالت انكلترا الغاية التي كانت تسعى لها وهي وضع الترنسوال تحت حكمها ثم تداخل الانكليز في شؤونهم فقاومهم البورس

بكل جهدهم وصمموا على عدم استعمال لغتهم مطلقاً وتفاقمت البغضاء بينهم ونقموا على الانكليز حتى ابادوا معسكرهم ونبذوا احكامهم وسنوا لانفسهم احكاماً وقوانين جديدة فصبرت انكلترا على عملهم لانها لم تر فائدة في ردعهم ولان اغلب سكان رأس الرجا منهم ثم عقدت معهم في سنة ١٨٨٤ معاهدة قاضية بادارة مهام امورهم الخارجيه

ولم يمض قليل من الزمن على تداخل الانكليز في تلك البلاد حتى اكتشفوا الماس كمبرلي وذهب وستواترسند واطلعوا البورس على كنوز اراضيهم الخصبة وما في باطنها من المعادن وفي سنة ١٨٦٧ طار خبر اكتشاف المعادن الثمينة على سواحل نهر اورانجه وفي سنة ١٨٨٢ تأسست شركة انجليزية لاستكشاف المعادن واستخراجها تحت رياسة سسل رودس وراس مالها مائة مليون فرنك فابتاعت بمبلغ مائة وتسعين مليوناً فرنكا اراض مشحونة بالالماس وقد دل احصاء ٣٠ يونيو سنة ٨٩٢ انها استخرجت في خمسة عشر شهرا اكثر من ثلاثة آلاف قيراط قيمتها نحو مائة مليون فرنك .

ولما شاع في انحاء العالم خبر اكتشاف تلك المعادن الثمينة اصبحت الترانسوال كعبة القصاد وكثر الوافدون عليها من كافة الاقطار من ذوي العلوم والمعارف ممن ضاق بهم الرزق في بلادهم فقاموا فيها باعمال جليلة فخاف الاهلون من كثرة الوفود وضيقوا عليهم الوسائل فاستنجد هؤلاء المهاجرون برئيس الشركة الانجليزية في جنوب افريقيا ببلاد بتشوانه غرب الترنسوال فهجم برجاله على الترنسوال لمساعدة الوافدين بدون مشاورة حكومته (على ما يقال) وهنالك تظاهرت المانيا بعداوة انكلترا وانجدت

البويرس على الانكليز بما ارسلته لها من المهمات الحربيه والجنود التي انزلتها سرا من خليج دلاجوا التابع للبرتغال واستعدت انكلترا للقتال الشديد لحرصها على ابقاء سيطرتها على تلك البلاد وعدم التفريط لما سواها من الدول وذلك بالنسبة لثروتها التي يبلغ دخلها نحو الثمانية ملايين من الجنيهات وكثرة مناجمها وجودة تربتها وهوائها . وقد انتشرت فيها اللغة الانكليزية كذلك قد نشرت انكلترا حمايتها عليها الا انها لم تعد راضية ببسط الحماية فقط فهي تضمر الاستيلاء عليها آجلاً او عاجلاً . (وكانت تتأهب لمحاربتها حين طبع هذه الاسطر)

فهذا ملخص ما حصل في الترنسفال اخيراً . ثم لنرجع الى وصف حكومة الراس فنقول انها كائنة في جنوب افريقيا وتحد شمالا ببلاد الهوتنتوت وجمهورية اورانجه وجنوبا وغربا بالمحيط الاطلانطيقي وشرقاً بالمحيط الهندي ويبلغ عدد سكانها ٢ مليون وخمس ومساحتها ٨٢٠ الف كيلو ثلث سكانها من البيض والثلثان الآخران من النسل الاسود اي من الكفرة والهوتنتوت

وقاعدة المستعمرات الانكليزية بهذه البلاد مدينة الراس اوكاب تاون ويبلغ عدد سكان هذه المدينة نحو ٥٠ الف نسمة كائنة على جون صغير وهي مدينة ذات تجارة عظيمة كانت تطرقها السفن عند ذهابها الى الهند قبل فتح قنال السويس الذي اهبط شهرتها ولكن الانكليز شرعوا في اصلاحها لاعادة رونقها الذي تقلص ظله عنها حتى صارت تضاهي اعظم المدن الاوروبية ولا ريب ان طريق حكومة الكاب هو الموصل الحقيقي لبلاد الهند اذا انشبت الحرب بين الانكليز وغيرهم ممن يمكنهم طروق قنال السويس

وقدر ان منع الانكليز عن العبور منه فهي اذن الملجأ الوحيد وقت الحاجة فلذا تراهم يحافظون عليها محافظتهم على جزائرهم ومن الثغور الشهيرة مينا اليصابات وهي مينا تجارية شهيرة ببيع الصوف والاغنام

ويوجد في بلاد الكاب معادن الفحم الحجري والذهب والماس وريش النعام والاغنام والطيور والكرم وقصب السكر وهي تصدر اغلب هذه لمحصولات الى انكلترا وجزيرة موريس وبلاد الهند وتجلب من الخارج كثيراً من الانسجة والاسلحة

وقد ضمت انكلترا الى هذه البلاد بلاد الكفرة وميناها است لندن وامل هذه البلاد قوم رحل دأبهم الصيد والقنص ومشهورون بالجراءة وشدة البأس

ناتال Natal

واما جمهورية ناتال التي هجرها البورس للانكليز فصارت ايضا من املاك انكلترا تحد شرقا بالمحيط الهندي وشمالا بالكفرة الحرة وغربا بالترنسوال وجمهورية اورانجه وجنوبا بالكفرة الانكليزية ويبلغ مساحتها ٥ مليون هكتو متر مربع وعدد سكانها ١٥٠ الف نفس من الجنس الابيض و٣٠٠ الف من الاسود وقاعدتها بيتير مارتسبورج ولها ثغر ناتال اودربان وسميت ببلاد ناتال لاكتشافها في يوم عيد الميلاد سنة ١٤٧٨

وقد اخذ الانجليز في تحسين حال هذه البلاد وادارة شؤونها وترقية الحضارة فيها حتى صارت على نسق البلاد الاوروبية فمدت فيها السكك الحديدية واقيمت بها المدارس العالية لتثقيف عقول سكانها ويبلغ دخل هذه

البلاد سنويا خمسة مليون جنيه وقيمة الوارد اليها ٩٥ مليونا والصادر منها ١٢ مليونا من الجنيهات

وقد وضعت انكلترا في هذه السنين الاخيرة حمايتها على البلاد الكائنة على ضفاف نهر زمبزة وعلى قبائل البتشوانه وسميت هذه البلاد بالبتشوانه الانجليزيه

ولها في المحيط الهندي عدة جزائر جيدة التربة تنتج محصولات عظيمة كقصب السكر وغيره ولها تجارة مستمرة مع السفن التجارية التي تطرق جميع ثغور العالم

وهذه الجزائر هي بجمع جزائر مسقرينيا اشهرها جزيرة موريس وجزيرة رودريغه وجزائر اميرانت وجزائر سيشل وجزيرة زنجبار وجزيرة الدبرا وجزيرة سقطرا وجزيرة بريم في مدخل بوغاز باب المندب

افريقيا الشرقيه الانكليزيه ـ هذه المستعمرة تشمل جزأ من بلاد زنجبار واوغندا والسودان الشرقي وجزء من بلاد السومال والاراضي الكائنة على شواطئ بحيرتي البرت نيانزا والبرت ادوار ومن مدنها الشهيرة ممباز وميلانده وهما في زنجبار

الاوغندا Uganda

واما بلاد الاوغندا الكائنة بين بحيرة فيكتوريا والبرت نيانزا والبرت ادوار فهي من اعظم بلاد افريقيا خصوبة كثيرة الغابات والاجمات معمرة بالحيوانات على اختلاف انواعها سيما الفيلة وتنتج اراضيها محصولات وافرة منها الدخن والذرة والارز والحنطة والبطاطا والمانجه والموز وهذان الصنفان كثيران

فيها كثرة تفوق حد الوصف والمعيشة فيها سهلة جدا ومتوفرة والجنود المعسكرة بها ستة الف من الجنود السودانيه وهم بقايا القوات العسكرية التي كانت تحت تصرف امين باشا حاكم خط الاستواء وقد دخلوا في خدمة البلاد بتصديق الحكومة الانكليزية وقد وفد الاوغندا الرحالة الشهير ستانلي ووصف اهلها وهم على الحالة الهمجية بوصف غريب واخذ يعلمهم على الحضارة واسباب المعاشرة وفوائدها ولما طرقها الانكليز شرعوا بترقيتها وتدبير شؤونها ومد الخطوط الحديدية في انحائها فلم يمض عليها خمس سنوات حتى ظهرت فيها آثار التقدم والارتقاء بما لم يخطر على بال احد من قبل ويعد الآن اهلها في مقدمة الامم المتمدنة بافريقيا بعد الديار المصرية .

وتبلغ مساحة الاوجندا ٩٠ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو مليون من النفوس وعاصمتها (مانجو) وهي المركز العام للبعثات البرتستانتية

ومن املاك انكلترا بتلك الجهة (وادلاي) وهي عبارة عن مديرية خط الاستواء واول السودان المصري من جهة اوغندا . والانكليز شارعون في تحصينها وتشييد القلاع بها وقد قررت انكلترا (في اثناء وضع هذا الكتاب) مدّ الطريق الحديدية من الاوغندا الى البحر لايصالها بسكة حديد الخرطوم عند اتمامها فيمكن بهذه الواسطة السفر من سواحل افريقيا الشرقية الى مصر والعكس بالعكس

ثم ان احسن بقعة بين املاك انكلترا في شرقي افريقيا تصلح لاقامة الاوروبيين هي بلا شك الاراضي الممتدة بين كيكيو وبين ممباسيا وناندي على مسافة ٦٥٠ ميلاً من البحر وذلك لكونها هضبات عالية مرتفعة كثيراً

عن سطح البحر ومع ذلك فان حركة العمل كانت (حين وضع الكتاب) قليلة جداً وانكلترا شرعت لان تنشيء فيها شركات زراعية مع توفير وسائل المواصلة والنقل في انحائها ومتى تم ذلك وجدت تلك البلاد مستقبلاً سعيداً

ولانكلترا ايضاً بافريقيا على ساحل خليج عدن (بربره) و (زيلع) وهي موانٍ حربية كائنة على هذا الخليج في مدخل البحر الاحمر ولها ايضاً عدا عن ذلك البلاد الكائنة على شواطىء بحيرتي تنجانيكا ونياسا وقد اخذت في التقدم غرباً وجنوباً وفي كل جهة تجاور املاكها لاكتشاف اراضٍ مجهولة ووضع اليد على كل بقعة متروكة في قارة افريقيا العظيمة

« السودان » Soudan

السودان بلاد بعيدة المدى واسعة الارجاء تقرب من ثلث مساحة اوروبا واقعة بين وادي حلفا شمالاً واوغندا جنوباً وصحراء ليبيا ووداى والكونغو غرباً والحبشة والصحراء الكائنه على ساحل البحر الاحمر شرقاً .

وارض السودان صحارٍ محرقة وسهول متسعة كثيرة الغابات قليلة النبات لا يكاد مزروعها (لحين وضع الكتاب) يفي بحاجة اهليها . الاّ ان فيها ملايين من الافدنة على ضفاف النيل الذي يمر بها يمكن استثمار حاصلاتها كذلك فيها اراضٍ كثيرة لم تستخرج للآن كنوزها ومعادنها وبها النيل الازرق الذي شبّهُ بعض الخبيرين باحسن انهار اوروبا لأن شواطئه جيدة التربة وغاباته اخصب الغابات .

ثمّ ان الجهة الشرقية من السودان اراضٍ قابلة للزراعة تشمل الموانى العظيمة التي اشهرها الآن سواكن ومصوع والمقيق وكلها مشهورة بما يردِ اليها من داخل السودان من المحصولات

سكان السودان ـ ويبلغ عدد سكان السودان المصري الانكليزي ١٥ مليوناً من النفوس اكثرهم الزنوج ويليهم الدراويش فالعرب فالبربرة وهم مختلفو الالوان بين سود وصفر وحمر وخضر كسكان اميركا . ويقدّر السكان من فشوده الى الاوغندا باثنى عشر مليوناً بعضهم مسلمون وبعضهم وثنيون . اما السكان ما بين فشوده وحلفا فكلهم مسلمون لانهم من قبائل العرب التى استوطنت هذه الجهات من قديم الزمان ومن جملة هؤلاء سكان اهالي كردوفان ودارفور ويقدّر عددهم بنحو ثلاثة ملايين نفس . هذا وإنّ لغات

السودانيين تختلف باختلاف البقاع الا ان اللغة العربية اكثر اللغات شيوعاً يتكلم بها الذين يقطنون بالقرب من ساحل البحر الاحمر والمدن العظيمة .

السودان قديماً . وقد تبعت السودان في سالف الازمان فراعنة مصر والاثيوبيين (سكان الحبشة) ودخلتها النصرانيه مابين القرن الرابع والخامس بعد الميلاد ثمّ تلتها الديانة الاسلامية بدخول العرب اليها في القرن الثامن واستيلائهم على حوض النيل . ثمّ عادت تتبع الحبشة تارة والحكومة المصرية أخرى الى أن شغلت الحروب الداخليه كلا من هاتين المملكتين فاستقلّت وانقسمت الى قبائل وشعوب تحكمها مشايخ يختارون باجماع الآراء ولكن البغضاء وقعت بينهم بتوالي الايام وعاد حكام مصر يشنون عليها الغارة من وقت لآخر حتىّ استولى عليها المغفور لهُ محمد على باشا كبير العائلة الخديوية فنظّم احوالها وانشأ بها المصالح والنقط العسكرية واستخرج من جبالها بعض المعادن سيما من دارفور وسنار ثم قسمها الى حكمداريات ومديريات وارسل اليها الجنود المنظمة .

وكانت اهم هذه المديريات الخرطوم وسنار ودارفور وكردوفان وفيزغلي وبربر ودنقله ثمّ حكمدارية شرق السودان وكانت تشتمل على مديريات التاكه وسواكن ومصوع

وكانت مدينة الخرطوم عاصمة لهذه الملحقات العظيمة

وما زالت السودان تابعة الحكومة المصرية حتى ظهرت فيها الثورة المشهورة واشتعل نارها بمدينة الخرطوم حتى طار شرارها شرقاً الى سواحل البحر الاحمر وحدود الحبشة وغرباً الى كردوفان ودارفور وجنوباً الى فشوده

وما جاورها

وكان اهم اسبابها منع النخاسة والاتجار بالرقيق الذي كان عليه مدار كسب اكثر كبراء البلاد ثم اعتلال النظام بثقيل الاهلين الضرائب الفادحة وجور الحكام واستبدادهم الى غير ذلك من الاسباب الداعية لرفع نير الحكومة الظالمة عن الرعية المظلومة فتمرّد السودانيون وقتئذٍ وصاروا يشنون الغارة على القبائل المجاورة لهم وخرج اكثر القبائل الموالية للحكومة عن طاعتها فرأت ان توجه لتلك الاقطار شهيد الخرطوم الجنرال تشارلس غوردون وكان هذا بطلاً مغواراً ومن اعظم الرجال عزماً واقتداراً . تعين حكمداراً عاماً للسودان في سنة ١٨٧٩ بعد ان تولى حكمدارية خط الاستواء فالفى البلاد في هذه المرة الاخيرة مختلة معتلة خالية من العساكر اللازمة لانها ارسلت مدداً لمساعدة الدولة العلية في حربها الاخير مع الروس .

فأخذ غوردون يسعى جهده لاطفاء لهب الثورة الذي اشتعل بدارفور حتى طار الى الخرطوم وكان الموقد لها يد الزبير فانه كان يراسل ابنه ورؤساء القبائل سراً ويحضهم على شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية إلا ان غوردون تدارك ذلك في بدء الامر بحكمة وبدون سفك نقطة دم لكنه اضطر فيما بعد لارسال قوة لقتل ابن الزبير وحكم على والده بالاعدام الا ان الحكومة عفت عنه ثمّ استأنف غوردون جميع همته الى منع تجارة الرقيق بشدة وقسوة واستمرّ على ذلك الى ان آلت الخديويه المصريه الى المغفور له محمد توفيق باشا فارسلت الحكومة من قبلها غوردون الى الحبشة في مهمةٍ وعاد بعد قضائها الى انكلترا ثمّ سار منها الى الهند فرأس الرجاء الصالح فبلاد سوريه

وعين بعده حكمداراً عاماً على السودان محمد رؤف باشا إلاَّ انه لم يوفق على السير في طريق الاحكام الواجب اتباعها فى مثل تلك الظروف وفي مدته ثارت الثورة الكبرى في السودان بثورة عرابي مصر وتمرَّد النخاسون فلم توفق وقتئذٍ الحكومة الى تدارك احد الشرين لما كانت عليه من الفوضى المشهورة في داخليتها

واستمر الحال على ذلك الاضطراب حتى استفحل امره بظهور المتمهدي محمد احمد واعلان دعوته وبث رسله في سنة ١٨٨١ ينذرون بانه أرسل من قبل المولى ليحكم بالعدل والانصاف ويقيم شعائر الدين فشايعه من شايع وساعدته الاقدار واجتمع حوله الجم الغفير ممن ارادوا خلع نير الحكومة حتى تكوَّن عنده جيش عرمرم وقد اعتبرت تلك السنة بدء الثورة السودانيه

ولما بلغ ذلك رؤف باشا لم يكترث به بل ارسل اليه شرذمة من الفرسان ليحضروه بين يديه فقتلهم المهدي ولم يرجع منهم مخبر . فصار بعد ذلك يرسل السريه وراء الاخرى والجيش بعد الآخر الى ان استفحل امره بجزيرة ابا على جنوب الخرطوم وهي منبع الثورة وازدادت اشياعه وطار صيته فالتجأ بعد هذه المناوشات لجبل الغدير بشمال فشوده من جهة الغرب . ثم عمت الثورة جميع انحاء السودان وصدرت الاوامر الى رؤف باشا بالرجوع الى مصر وعين مكانه عبد القادر باشا حلمي فنظم الجيوش ورتبها ترتيباً حسناً وارسلها لقمع الثوار ولكن العرب عاثوا فساداً في الارض وقطعوا الاسلاك البرقيه ورفعوا نير الحكومة عن عاتقهم فكسر عبد القادر باشا شوكة العصاة على ضوافي النيل الازرق وشتت شملهم وفرق جمعهم الا انه بلغه وقتئذ

خبر الثورة العرابيه وتفرق الكلمة المصريه فزحف المهدي يريد الخرطوم كانه سمع بانشغال الحكمدار بمصائب وطنه وكان جيشه يتجاوز الستين الف فارس وراجل فحصن عبد القادر باشا الخرطوم حتى صارت امنع من عقاب الجو وحفر حولها خندقاً أجرى فيه الماء حتى صار كترعة موصلة النيل الازرق بالابيض وفي اواخر ابريل سنة ٨٢ سار القائمقام ستورت الى الخرطوم ليرفع للحكومة تقريراً عن حالة السودان بالدقه وكان المهدي قد امتلك في ذلك الوقت كردوفان وبينما كان عبد القادر باشا يتأهب لمحاربته واخضاعه اذ جاءه الامر بالرجوع الى مصر وتعيين علاء الدين باشا مكانه ثم جاء هكس باشا واستلم قيادة الجيوش في سنة ٨٣ وكان معه اكثر ضباط الثورة العرابية وعسكرها فسار بهم الى الدوير وعرج منها الى شركلة التي يقيم بها الآن التعايشي ولم يترك في الجهات التي كان يمر بها من يرجع بخبره فخانه الدليل حتى اوقعه في وسط عسكر العدو في تلك البوادي فقتل ومن معه ولم ينجُ منهم احد وقد اختلفت الرواة في تفصيل هذه الحادثة المفجعة وطار في اقاصي السودان خبر هذا النصر فخرج السودانيون جميعاً عن طاعة الحكومة وقتلوا حاميات كسلا وسنار وبربر وابو حمد ودنقلا وعمّت الثورة جميع السودان وفتك العرب بموظفي الحكومة حتى زادت النيران تأججاً فارسلت الحكومة الانكليزية غوردون باشا الى الخرطوم ثانياً وأمرته بابداء رأيه بالوسائل اللازمة لتدارك الامر بالتي هي احسن ولكن ذلك لم يجد نفعاً لان الثورة كانت قد انتشرت سريعاً وعمّت فأُمرَ غوردون بسحب الجيوش المصريه إلا ان الاعداء احاطت به من جميع الجهات وحاصروه في الخرطوم بعد ان استولوا على جميع الطرق

والمنافذ فارسل الرسل الى انكلترا ومصر الواحد وراء الآخر وصار يراسل المهدي ويعده بالعفو عنه وتقليده مهام الاحكام في دارفور وكردوفان وبنجه ومنحه امتيازات كثيرة ولكن لم تأت هذه الوعود بفائدة لان المهدي اعدَّ جيشاً جراراً حاصر به الخرطوم فزادت البلوى واستغاث غوردون فلم يُغث فتهدد الحكومة الانكليزية مراراً حتىَّ امرت اللورد ولسلي ان يذهب لخلاصه وخلاص من معه فسار ولسلي بحملته المشهورة ولكن كان الامر قد قضي تماماً فاستولى المهدي على الخرطوم وما جاورها وصدرت حينئذٍ الاوامر لولسلي بالرجوع وسقطت الخرطوم قبل وصوله بيومين فاصبح السودان كله في قبضة المهدي وجعلت حلفا آخر الحدود المصرية وبينما كان يعد جيشاً للاغارة على مصر أُصيب بالتيفوس وتوفي ودفن بام درمان وخلفه عبدالله التعايشي زعيم الثورة الآن وكان مشيره الاول بل المحرك له الى ادعاء المهدوية ومناوأة الحكومة المصريه والتظاهر بمظاهر الملك والسودد فانضوى تحت لوائه سكان السودان عموماً مبعوثين على ذلك بالحمس الديني فارهب البلاد بسطوته واستبدَّ في احكامه وظلم الاهلين ما استطاع واجرى من الفظائع ما يعجز القلم عن وصفه واستمر على طغيانه حتى عمَّ الاضطراب كافة الانحاء وفقدت البلاد سكانها بتوالي الحروب واستمرار القتال فأوى اليها الوحوش الضواري واصبح نصيب الاراضي الخصبة الواقعة على ضفاف النيل اليانعة الزاهرة بالمزروعات المختلفة والبساتين النضرة البوار والاقفار

وقد سارت الحكومة على سياسة الحزم والتدبير مدة ١٤ عاماً كانت تستبضع فيها اخبار الدراويش وتسعى بالنصر عليها باقل ما يمكن من اراقة

الدماء وكان قلم مخابرات نظارة الحربية المصرية يتخذ بهمة مديره « ونجت باشا » ووكيله « ملحم بك شكور » كل الوسائط لما فيه الوقوف على مراكز العدو وقوته وحركاته وقد جاء ايضاً خلاص سلاتين باشا مساعداً كبيراً لاطلاع الحكومة على ما يعلمه عن المهدي ودراويشه (وقد وصف هذا السودان عن الزمن الذي قضاه اسيراً عند المهدي في كتاب سماه « النار والسيف في السودان »

وفي سنة ١٨٩٦ اقرّت الحكومه على فتح السودان كله وتخليصه من نير الظلم والتوحش واشتركت في المحاربة الجنود المصرية والانكليزية وتتابعت الحملات على السودان في النيل وفي البر وجرت مواقع عدة كان النصر فيها حليف الجنود المصريه والانكليزيه ومن هذه المواقع

معركة فركة وسواردة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٨٠ والدراويش ٣٥٠٠ ثم معركة دنقله في ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٩٦ قائدها الجنرال كتشنر باشا وعدد جنوده ٦٠٠٠ والدراويش ٣٠٠ ثم معركة ابي حمد في ٧ اوغسطس سنة ١٨٩٧ وكان قائدها هنتر باشا وعدد جنوده ٣٥٠٠ والدراويش ٧٠٠٠ ثم معركة الاتبره في ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ قائدها كتشنر باشا وعدد جنوده ١٣٠٠ والدراويش ١٩٠٠ واخيراً معركة ام درمان في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ قائدها كتشنر باشا وعدد جنوده ٢٢٠٠٠ والدراويش ٤٠٠٠٠

وتعد هذه الواقعة الاخيرة في مصاف الوقائع التاريخية الكبرى واليك ملخص وصفها عن « المقتطف الاغر »

« بعد ان تغلبت الجنود المصرية والانكليزية على جنود الدراويش في عكاشة وفركه وسواردة ومدت سكة الحديد حتى بلغت مدينة بربر ففتحتها ثم نازلت الدراويش على الاتبرة وانتصرت عليهم وأسرت اميرهم . عاودت الزحف على ام درمان في صيف ١٨٩٨ حيث سهل سير السفن الحربية فيه وعبورها من شبلوكة وكانت الرايات الانجليزية تخفق بجانب الرايات المصرية والاساطيل النيلية تسابق الجنود البرية الى ان انصرم شهر اغسطس وحينئذ وصلت الاساطيل الى جزيرة توتي وهي بين الخرطوم وامدرمان واطلقت عليها القنابل في غرة ستمبر وخربت حصونها وحصون ام درمان وهدمت قبة ضريح المهدي ولكنها لم تضعف عزائم اتباعه

وصباح يوم الجمعة وهو الثاني من ستمبر تقدمت الجنود المصرية والانكليزية الى ام درمان فوجدت جيوش التعايشي مصطفين يتقدمون الى القتال وطول مقدمتهم اكثر من ثلاثة اميال ويزيد عددهم على خمسة وثلاثين الفاً من الابطال بين فرسان ومشاة فحملوا على الجنود المصرية والانكليزية حملات صادقات ورصاص البنادق يحصدهم حصدا وهم لايلوون اعنة خيلهم ولا يحسبون للموت حساباً الى ان فني نحو عشرة آلاف مقاتل منهم وامتلات الارض بقتلاهم وتقدم السردار قاصدا ام درمان لكي يمنعهم من الرجوع اليها والامتناع بها وحاول التعايشي حينئذ ان يخترق الجناح الايمن فقوبل من جنوده بعزم شديد وجاش رابط واطبقت الجنود المصرية والانكليزية عليه فمزقت شمل اتباعه فولوا مدبرين لا يلوون على احد ونجا هو بنفر قليل من اتباعه بعد ان قتل اكثر رجاله وانصاره

اما السردار فاحتل ام درمان عصارى ذلك اليوم بعد ان قاومه من فيها من جنود التعايشي مقاومة قليلة . واخلى سبيل من فيها من الاسرى وهم من امم مختلفة بين مصريين واوربيين وسوريين واحباش . وقد قدرت خسارة الدراويش بعشرة آلاف وثمانمئة قتيل عدا المئات الكثيرة من الذين قتلوا في ام درمان وعدد جرحاهم نحو ستة عشر الفاً والباقون أخذوا أسرى

وقتل من الجيش الانكليزي ضابطان و ٢٧ عسكرياً وجرح ٧ ضباط و ١٠٣ من العساكر . ولم يقتل احد من ضباط الجيش المصري ولكن جرح ستة من ضباطه الانكليز و ١١ من ضباطه الوطنيين توفي واحد منهم بعد ذلك . وقتل ٣٥

من صف الضباط والعساكر وجرح ٢٧٩ . وقتل مكاتب من مكاتبي جريدة التيمس وجرح الآخر

ويوم الاحد في الرابع من الشهر دخل السردار الخرطوم واحتفل احتفالا بهيجا باسترجاعها وبذكر غوردون باشا الذي قتل فيها ورفع عليها الراية الانكليزية بجانب الراية المصرية

وسار بعد ذلك باورطة من الجنود المصرية ونحو مئة من الجنود الانكليزية الى مدينة فشودة على النيل الابيض جنوباً ثم عاد منها في الثالث والعشرين من سبتمبر وكتب يقول انه رفع عليها الراية المصرية وابقى فيها حامية من جنوده . ثم سار في البحر الابيض جنوباً حتى وصل الى سوبات على ٢١ ميلا من فشودة فاقام فيها حامية اخرى ورفع الراية المصرية عليها ولقي في فشودة ضابطاً فرنسوياً اسمه مرشان وطلب اليه ان يأتي معه الى الخرطوم فابى مالم ترسل اليه دولته تأمره بذلك فتركه فيها

وكاد يقع الحرب بين انكلترا وفرنسا على احتلال فشوده حتى انجلت حملة القائد مرشان عنها وانحسم الخلاف بينهما بنوال الثانية منفذاً على النيل عوّض عليها خسارة البلاد التي احتلها مرشان بعد رحلة ثلاثة اعوام كافح فيها انواع الصعوبات .

وقد اكبر الانكليز واقعة ام درمان ورفعوا شأنها وكافأوا السردار كتشنر باشا ومن شاركه في هذا الفوز من الضباط الانكليز مكافأة عظيمة جلبت لهم الفخر والثروة .

وبفتح ام درمان تقوّضت اركان المهدويّة وبسطت انكلترا سلطانها على السودان الشرقي . بحق الفتح لاشتراك جنودها مع الجنود المصرية وبحق ان هذه البلاد من املاك الحكومة المصرية الوصيه هي عليها

السودان حديثاً وقد وضع السودان من يوم افتتاحه تحت الاحكام العرفية

وعين له السردار كتشنر باشا حاكماً عاماً وخوّلت له الحرية المطلقة في تصرفاته واحكامه فلا تتداخل حكومة انكلترا او الحكومة المصرية الا في ظروف طارئة وقد شرع هذا الحاكم في تقسيمه الى ست مديريات وهي دنقله وبربر والخرطوم وفشوده وسنار وكسلا وتقسمت هذه المديريات جميعها الى واحد واربعين مركزاً وتخصص لكل مديرية منها محافظ او مدير انكليزي برتبة قائمقام او اميرالاي من الجيش المصري ويتعين لكل مركز مأمور مصري ومعه چاويش انكليزي وهكذا اصبحت حكومة السودان الجديدة انكليزيه مصريه

وقد نوت انكلترا الخير العظيم لهذه الاصقاع المحرقة لما كان لها فيها من الآمال العظيمة وسعت لان تمد الحضارة في تلك الصحاري الشاسعه التي كان يشغلها المتوحشون والهمج وقد بدأ الحاكم العام في مشروعه هذا العظيم بأن اتى بالمهندسين من الانكليز لتخطيط مدينة الخرطوم فخططوا شوارعها وميادينها وجعلوا عرض الشارع فيها لا ينقص عن ٥٠ متراً

ثمّ وزعت الاراضي على شركات انكليزية لتبنيها ويظن انه لا يمضي حين من الزمن إلا وعاصمة السودان الجديدة اعظم سوق في افريقيا تساق اليها اصناف التجارة وانواع المحصولات من كافة الانحاء وقد تقرر ان يشيد بها دار علوم كبرى لتعليم ابناء السودانيين سميت بكلية غوردون وضع حجر الزاوية فيها اللورد كرومر معتمد انكلترا السياسي في مصر وقد جمعت لها الاموال من اكتتاب افتتحه اللورد كتشنر اثناء وجوده في لوندرا فلباه وقتئذٍ الانكليز على اختلاف طبقاتهم واظهروا الاهتمام بهذا المشروع العظيم وجادوا

بسخاء وكرم حتى جمع لها في مسافة قليلة نحو المائة الف جنيه

وقد تقرر ايضاً ان يكون في الخرطوم مركز الحكومه السودانيه ودار حكمدار السودان وسائر مصالح الحكومة والادارة وتكون ام درمان مدينة الجيش فتقيم العساكر المصرية والسودانية والانكليزية فيها ثم تنشأ مع مرور الايام مدينة ثالثة غير الخرطوم وام درمان يسكنها الاهالي والتجار واصحاب الاشغال ويكون موضعها على الضفة الشرقية من النيل

وقد فرّ الخليفة بعد فتح ام درمان بمن بقي من رجالهِ وعددهم لا يزيد عن السبعة آلاف مقاتل في بوادي السودان قلق البال وفي اشد اضطراب يجمع اليه ما استطاع من العربان الضاربين بعد شركيله .

وقد ظن البعض بان لا قائمة تقوم له بعد ذلك الانكسار وأنّ اتباعه لا بد وان يتركوه سعياً وراء الرزق . بيد ان الحكومة كانت ترى بعض الخطر في تركه وشأنه في السودان مطلق السراح وحجر عثرة في سبيل كل مشروع تظن وراءه الخير لتلك الاصقاع ولذلك كان السردار ساعياً (لحين طبع هذه الاسطر) لتجديد الحملة عليه واقتفاء اثره . ومتى تمّ ذلك مُهِّدَ السودان باكمله وفاز كل ذي امنية بأمنيته » (والله اعلم)

احتلال الديار المصرية

British occupation in Egypt

مصر ليست من المستعمرات الانكليزية وانما هي بلاد احتلها الانكليز مضطرين وهم على زعمهم لا يقيمون بها الا الزمن الذي يلزم وكما يلزم ولكنهم لم يحددوا جلاء جنودهم عنها في أجل مسمى

وانما استطردت الى ذكرها نظراً لما هو قائم لهم عليها من السيطرة العظيمة ولكون مصلحتهم فيها اعظم من مصالح دول اوروبا ولكون هذه البلاد بمركز جغرافي جعلها جديرة باحراز خيرات التجارة العميمة حتى صارت مجاز الاوروبا ومستودع صناعتها وتجارتها وماليتها ومفتاح البلاد الافريقية العظيمة

فاذا ضربت بطرفك ايها القارئ على خارطة افريقيا وصوبته نحو الشمال الشرقي منها ترى ديارا تروق الناظر بخضرة اراضيها وتسر الخاطر بنضرة مراعيها حلو ماؤها لطيف هواؤها مشهورة باعتدال اقليمها واعتلال نسيمها وخصوبة تربتها فهذه هي مصر التي كانت في سالف العصر من اعظم دول الارض تقدماً وحضارة واقواها شوكة واغزرها ثروة حتى كانت منبع العلوم والمعارف والصنائع والطرائف فيها التالد منها والطارف يخترقها نهر النيل السعيد وهو ينبوع ثروتها لان الطمي الذي يرسب من مياهه فوق التربة الاصلية يصيرها ذات خصوبة عجيبة فقد دل الاحصاء ان مساحة الاراضي الزراعية فيها ينيف عن خمسة ملايين من الافدنة وذلك لانتظام الري في انحائها بعد سنة ٨٣ وسيره على منهج النجاح والتقدم

ويحد هذه الديار شمالاً البحر الابيض المتوسط وشرقاً البحر الاحمر وقنال السويس وجنوباً السودان وغرباً صحراء ليبيه و برقه .

و يبلغ عدد سكانها نحو العشرة ملايين نفس وعاصمتها مدينة القاهرة يقطنها ما ينوف عن النصف مليون نفس وهي على الضفة الشرقية للنيل واعظم مدن القارة الافريقية مدنية وحضارة تشمل من الابنية الفاخرة والاماكن الشاهقة واللوكاندات العظيمة والمنتديات العمومية ما جعلها تضارع المدن الاوروبية الكبيرة و يتقاطر اليها الاغنياء والسياح في فصل الشتاء زمراً وافواجاً ومن كافة الاقطار

وتليها مدينة الاسكندريه وهي مصيف الخديوي وميناء عظيمة من اقدم موانى العالم واشهر من ان تذكر . ثم ثغر رشيد ودمياط على البحر الابيض المتوسط والسويس على بحر القلزم شهيرة من قديم الزمان لوقوعها بين قارتى اسيا وافريقيا .

ومن مدن الوجه البحري الشهيرة طنطا ويقام بها اسواق عظيمة في اوقات معلومة كل سنة ثم مدينة الزقازيق والمحله الكبرى وكفر الزيات ودمنهور والمنصوره وبها معامل عظيمة لحليج القطن

واما مدن الوجه القبلي فاشهرها اسيوط و يصنع بها العاج وسن الفيل وكانت لها تجارة عظيمة مع السودان قبل الثورة المشهورة ثم المنيا و بني سويف والفيوم وقنا واسنا

ولقنال السويس اهمية عظمى عند دول الارض لانه كائن بين ثلاث قارات وواقع على طريق الهند فمنه تسير جميع السفن الحاملة لمحصولات البلاد

الاسيوية السحيقة القاصدة البلاد الاوربية وكذا تعبر منه السفن الآتية من البلاد الاوروباوية مشحونة بمصنوعاتها ومحصولاتها لتذهب الى المستعمرات الكائنة بآسيا والاوقيانوسيه ومرور هذه السفن من هذا القنال انما يقرب الطريق الاصلي بمسافة ٣٠٠٠ فرسخ لان السفن بعد ان كانت تطوف حوالي غربي افريقيا فرأس الرجاء الصالح ثم تقطع المحيط الهندي لتصل الى بلاد الهند صارت تقطع هذه المسافة فقط بمرورها من جبل طارق وترعة السويس فباب المندب حتى تصل الى الهند وغيرها من المستعمرات . وقد قال احد السياسيين عن هذه الترعة ان حفرها عاد على فرنسا اعظم شرف وعلى مصر اثقل النفقات وعلى بريطانيا اكبر فائدة .

وفي الواقع فان اكثر من ثلاثة ارباع السفن الحربية والتجارية التي تعبر من هذا القنال رافع اللواء الانكليزي واغلبها يقصد المستعمرات الانكليزية ببلاد الهندستان ويقدر ان انكلترا اكتسبت من ايراده الى الآن نحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات ثم ان تجارة مصر مع انكلترا اوسع من تجارتها مع غيرها من الدول وليس ذلك منذ احتلالها مصر بل كان ايضاً سابق احتلالها فان لها اكثر من ثلاثة اخماس تجارة البلاد كلها .

فمصر والحالة هذه جديرة باحراز خيرات التجارة العميمة وهذا ما اوجب طموح الانظار اليها واقبال الاجانب عليها من كل جانب طلباً للتجارة والمكسب فخالطوا اهلها لاستعدادهم طبعاً لحسن المخالطة والمعاشرة مع سائر الاجناس ففتحت الترع على ايديهم ومدت السكك الحديدية باحوالهم فصار لهم على المصريين حقوق لا تقضي الا بانقضاء الدين الوافر الذي حصلت بسببه المشاكل

في آخر حكم المرحوم اسماعيل باشا (ابن ابراهيم باشا وحفيد محمد علي باشا الكبير رأس العائلة الخديوية) ذلك ان الدين كان في اول حكمه لما استوى على الاريكة الخديوية ثلاثة ملايين جنيه فزاد الى مائة وعشرة مليون جنيه في ختام ١٨٧٨ وكان هذا سبباً للخلاف بينه وبين دولتي انكلترا وفرنسا وقد انحسم هذا الخلاف بتوجه الخديوية الجليلة الى نحو المغفور له الخديوي محمد توفيق باشا ولي عهده فشكلت لجنة التصفيه وسويت الادارة الماليه واحدثت المراقبة الثنائية فاستقرت الاحوال وانتقت البلاد من العسر الذي المم بها غير انه لم يترتب على المراقبة الثنائية سياسياً ما ترتب عليها من الاثر الطيب مالياً فان الاضطرابات الداخلية كانت تزداد يوماً عن يوم حتى استطار شرارها في شهر فبراير سنة ٨١ وسبب ذلك ان الضباط المصريين كانوا رفعوا عريضة الى الحكومة يشكون بها من السير المتبع وقتئذ في تقديم وترقي الضباط لان الرؤساء كان اكثرهم من الجراكسة والاتراك وكانوا يجنحون بالطبع الى رفع بني جلدتهم لحفظ سلطتهم وخفض المصريين كيلا ينافسوهم فلم تجب النظارة على هذه العريضه فكتبوا عريضةً ثانية وكلف كل من الاميرالاي احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال برفعها الى رياض باشا فأمر هذا بالقبض عليهم وسجنهم ولما بلغ ذلك الى الحزب المصري اتحدوا على أنه ان لم يرجع اليهم الثلاثة اميرالايات قبل ظهر اليوم المحدَّد لرفع العريضة يهجم مائتان من الجند على السراي ويستخلصوهم ولما جاء الوقت المضروب لذلك ولم يحضر الثلاثة المذكورون دخل العسكر السراي وخلصوا احمدا عرابي وعلي فهمي وعبد العال من الاسر ولما لم يستطع المغفور له الخديوي توفيق باشا مقاومة الجند عزل ناظر

الحربية عثمان باشا رفقي وهو احد الجراكسة الذين احتكروا وظائف الجهادية العالية وعين بدلاً عنه محمود باشا سامي البارودي ومنح احمد عرابي رتبة باشا فذاعت سمعته من ذلك الحين وكثر صحبه وحزبه وامتدّت سطوته ونفوذه في البلاد

وفي ٩ سبتمبر سنة ٨١ حاصر احمد عرابي سراي عابدين باربعة آلاف جندي وطلب من الخديوي سقوط الوزارة وتشكيل مجلس الاعيان وسن قانون نظامي وزيادة عدد الجيش فابتغاء مرضاتهم انتدب شريف باشا لرئاسة مجلس النظار ووعد ظباط الجيش بمنحهم كثيراً من الامتيازات وكان ذلك بناء على مشورة قنصل انكلترا ومندوب فرنسا

وبعد قليل من الزمن طلب مجلس النواب ان يكون له حق النظر والمداولة في ميزانية الحكومة وكان ذلك بايعاز احمد اعرابي وفي هذه الاثناء استعفى شريف باشا فقبل منه استعفائه وتعين محمود سامي بدله وترقى احمد اعرابي فصار ناظر الجهادية وبعد ذلك بمدة وجيزة وقع الشقاق بينه وبين الخديوي وعظم هذا الشقاق حتى طلب اعرابي من مجلس النواب خلع المغفور له توفيق باشا وتولية حليم باشا بدله

ولما رأت الحكومة الانكليزية والفرنساوية اعتداء اعرابي على حقوق الخديوية المصرية طلبتا طرده واخراجه من الديار المصرية فأبى اعرابي ان يكون اخراجه بطريق السياسة والاكراه ولذا ارسل عريضةً يطلب بها استعفاءه لانه عدّ تداخل انكلترا وفرنسا تطفلاً منهما واعتداء على حقوق الدولة العلية وقد لبث الاضطراب الداخلي مدة مديدة حتى ان اكابر

المصريين ووجوههم من ملكيين وجهاديين اعلنوا للمغفور له توفيق باشا انهم لا يعترفون الا لسلطة الباب العالي وحده دون اية دولة اخرى وقد كتب بهذا الخصوص احمد اعرابي رسالة للمستر غلادستون صرّح فيها ان اول قنبلة تخرج من البوارج الانكليزية على مصر تكون موجبة لفسخ جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية ومما ذكر في هذه الرسالة قوله : ..... « ولتحقق انكلترا باننا عازمون على المحاربة حتى نموت شهداء بلادنا كما امرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم » « او نظفر على اعدائنا ونعيش ممتعين بالاستقلال والسعادة وفي كلتا الحالتين فان السعادة موعودة لنا واي شعب كان ذلك اعتقاده وتلك وجهته فان الله يعطيه البسالة والاقدام »

وقد ارسل ايضاً في ذلك الحين احمد اعرابي الى كافة المديرين اوامر مشدّدة يحرضهم فيها على المقاومة والقتال حتى الموت اذا شبت الحروب بين المصريين والانكليز وان من يخالف ذلك يكون جزاؤه الاعدام

وفي هذه الاثناء اتحدت الدولتان الفرنساوية والانكليزية على ارسال بوارجهما الحربية الى ثغر الاسكندرية لابداء مظاهرة حربية تلقي الرعب في قلوب الاهلين الا ان تركيا عارضت في ذلك وقالت ان هذا العمل مجحف بحقوقها وفي الحال ارسلت الى مصر مندوباً من طرفها يدعى درويش باشا لينظر في حالة القطر ويرفع تقريرا عنها .

وفي ١١ يونيو سنة ٨٢ حصلت مشاجرة بين المالطيين والمصريين فذبح بعضهم البعض ودار الضرب والطعن والقتل والسلب والنهب وهاج الناس وعظم الاضطراب حتى ذبح كثير من الاوروبيين والاهلين وجرح فريق

كبير من الطرفين

هـذه هي الحادثة الفظيعة والمذبحة الشنيعة التي ماكاد ان يطير خبرها الى اوروبا حتى افعمت البوارج الثغور والموانى من الاسكندرية وبورتسعيد .

وفي شهر يوليه سنة ٨٢ لاحظ سيمور اميرال البوارج الانكليزية الراسية بثغر الاسكندرية تأهب الاهلين وتسلحهم وتحصين القلاع والحصون فارسل حالا الى طلبه باشا محافظ الثغر وقتئذ انذاراً يعلن به

اولا . بايقاف ذلك التأهب والاستعداد

وثانياً بتسليم القلاع كي يجردها من مدافعها واسلحتها وآلاتها الحربية وقال انه ان لم يجب طلبه يأمر باطلاق المقذوفات على ثغر الاسكندرية ولما لم يجب طلبه محافظ الثغر حاصر الاميرال المذكور ثغر الاسكندرية حصارا حربياً وجرد فرقة من العساكر امرها بالاستيلاء على كافة المواقع الحربية ثم صوّب مدافعه على الثغر وشرع يطلق المقذوفات النارية على الاسكندرية حتى اشتعلت دورها واحترقت معاهدها ودمرت تدميرا وكانت اول طلقة خرجت من البوارج الانكليزية في يوم ١١ يوليو سنة ٨٢ وبعد هذه الحادثة المشؤومة انحاز احمد اعرابي الى ناحية كفر الدوار ليدافع عن مصر ويتأهب للقتال .

اما الانكليز فقسموا قواهم العسكرية الى فئتين احداهما تحت قيادة القائد ولسلي (الآن اللورد ولسلي القائد العام للجيوش الانكليزية) ومؤلفة من ٧ آلاف مقاتل . والاخرى من ٩٠٠٠ تحت قيادة الجنرال هملي ثم عززت انكلترا هاتين الفرقتين بفرق اخرى بعضها من الهند وعدد مقاتليها ١٠ الاف كانت تحت قيادة ماكفرس والبعض الآخر من انكلترا حتى بلغ جيش

الانكليز عدداً عديداً وكان يرأس جميع تلك القوى الجنرال ولسلي اما احمد اعرابي فكان قد حشد جيشاً مؤلفاً من ٨٠ الف مقاتل وزحف بهم على القوة الانكليزية وحصلت بين الفريقين عدة مناوشات طفيفة كانت نتيجتها رجوع القوة المصرية الى القهقري

وفي اثر هذه المناوشات ارسل الجنرال ولسلي جل قواه الى ناحية قنال السويس واختاره مركز الاعمال الحربية وابقى بثغر الاسكندرية الفرق التي كان قائدها هملي ووجه احمد اعرابي فئة كبيرة من جيشه الى التل الكبير يبلغ عددها ٢٥ الف مقاتل وابقى بكفر الدوار ١٢ الفاً واحتل مدينة الصالحية وجعل بها حامية عددها ٦ الاف جندي

وفي شهر اغسطس من السنة المذكورة حصلت مناوشات طفيفة في شالوف ونفيش وفي اواخره تقدم ١٢ الف مقاتل مصري الى قرية القصاصين لمفاجئة القوة الانكليزية فجمع الجنرال ولسلي على الفور كل قواه وتقدم لملاقاة المصريين فالتقا الجيشان هنالك في ١٢ سبتمبر سنة ٨٢ وتكافح الخصمان وتقاتلا حتى دارت الدائرة فيها على المصريين فولوا الادبار وفرّ بعضهم الى الزقازيق وهرول آخرون الى القاهرة فاسرع الجنرال ولسلي باحتلال هذه المدينه الاخيرة وكان دخول الانكليز عاصمة البلاد في ١٥ سبتمبر وبدخولهم أخضع أحمد اعرابي ورؤساء الحزب المصري وسلموا انفسهم الى الجنرال ولسلي فاخذهم أسرى وبعد ذلك حكم المجلس العسكري على بعضهم بالاعدام وكان منهم احمد اعرابي ومحمود سامي وعبد العال والروبي وغيرهم

فتوسطت انكلترا وطلبت من الحكومة الخديوية استبدال عقوبة

الاعدام بالنفي المؤبد فلبّت طلبها ونفي احمد اعرابي ومحمود سامي وبعض العصاة الى جزيرة سرنديب او سيلان ورتب لاعرابي جنيهاً يومياً وهكذا اصبحت مصر في قبضة انكلترا فتعهدت بتأييد المقام الخديوي واستئصال شافة الاشقياء والعصاة واجراء كل اصلاح واتمام كل نظام فقبلت منها دول اوروبا هذه التعهدات ورضيت ان تكون هي النائبة عنها في مصر ضناً منها ان تعبث يد الضياع بحقوقها فاحتلت البلاد وكفتها غائلة الطغيان والفساد وانتظمت الجندية فاخلصت لسمو خديويها واطمئنت القلوب وسكنت الروعات ولم يعد الى الفتنة والمشاغب من سبيل

ولانكلترا من جنودها المحتلة الديار المصرية (عند وضع هذا الكتاب) نحو اربعة آلاف جندي يقيم البعض منهم في الاسكندريه والبعض الآخر وهم الاوفر عدداً في مصر في بناء جسم على شاطىء النيل وفي ثكنات القلعة التي تشرف على المدينه وفي ثكنات العباسيه

هذا وقد طال أجل احتلال انكلترا الديار المصرية حتى ملّهُ بعض المصريين كما استحسنه البعض الآخر « ولكل من الفريقين شواهد يؤيد بها مبدأه » إلا ان الكثيرين كانوا يظنون ويؤملون ان الدول الاوروبية تتحد عليها يوماً ما وتلزمها على الخروج بالقوة والقسر وقد سعت فرنسا آخر سعيها لمناوأتها باحتلال فشوده والنيل الاعلى سنة ٩٨ الا انها اخفقت في سعيها ولم تشد دولة من الدول أزرها ثم عقدت مع انكلترا معاهدة اخيرة على تحديد املاك كل منهما في القارة الافريقية وبمقتضى هذه المعاهدة أيدت انكلترا حقوقها ونفوذها على وادي النيل كله من منبعه حتى مصبه

ولم يتناول الوفاق امراً من امور مصر

وقد شرع الانكليز منذ احتلالهم الديار المصرية في اصلاحها وتقويم اعوجاج ادارتها حتى اتوا مدة ١٧ سنه وهي (مدة الاحتلال الى الآن) باصلاحات كثيرة عادة على البلاد بالفضل العظيم والخير العميم

اهمها : ابطال السخرة من كافة الاعمال ومحو أثر الكرباج الذي كان شائعاً في عقوبات الحكومة لان فلاح مصر كان يعاقب بالجلد إما لتأدية الاموال الاميرية وإمّا للقيام باعمال السخرة او بواهما فرفعوا ظلامته وكفوا ايدي المعتدين عنه ولم يعد من سبيل الى ما كان عليه فاصبح بصيراً بما كان له بعد ان كان مستعبداً لا يعرف كيف ينتفع بزرعه الذي يزرعه بيمينه .

ومن اعمالهم الحسنة تسوية العراقيل المالية التي انهكت مصر وسيرها الآن على مبادىء تيسر لها النهوض من العسر الذي كانت سقطت فيه من اول امرها .

ومن الاصلاح العظيم الذي ادخلوه على نظارة الداخلية بث الامن والطمأنينة في انحاء البلاد وقطع دابر اللصوص . ثم تنظيم المحاكم على وجه قويم ونهج مستقيم حتى اصبحت تضارع المحاكم الاوروبية باستقلال القضاة وسداد الاحكام والعمل بنصوص القوانين التي تحوّر وتعدّل تبعاً للحاجة واكمالا للنقص

ومن اهم شيء الاصلاح الذي ادخل على نظارة الاشغال العمومية ومصلحة الري التي عليها قوام حياة مصر فقد حفرت الترع والجداول في كافة الانحاء ووزعت المياه على الاهلين بالسوية حتى اصبح المزارعون راضين وشاكرين

من حالة الري بما وجدوه من المياه الراوية ظمأ اراضيهم مما لم يعهدوا لذلك مثيلا من قبل .

ومن الاعمال العظيمة اصلاح السجون حتى كادت تحاكي سجون اوروبا وتنظيم حال الكمارك وايصال البلدان والمدن الشاسعة بالخطوط الحديدية حتى امتدت من ادنى نقطة في القطر الى اقصاها . ثم اصلاح حال البوسته حتى صارت تضاهي اعظم البوستات الاوروبية اتقاناً .

وقد اطلقوا الحرية التامة للمطبوعات والجرائد وشيدوا المساواة بين الغني والفقير واصلحوا وبدلوا وغيروا أموراً كثيرة وبثوا المراقبة من كبار رجالهم ومن الرجال الوطنيين الامناء الاكفاء في كافة مصالح الحكومة

وكان من كبار رجالهم الذين يعزى اليهم فضل اصلاح القطر المصري نخامة اللورد كرومر زعيمهم الاكبر ومعتمد انكلترا السياسي ثم السير الوين بالمر والمستر غورست وملنر وكتشنر وسكوت ومكاريث ومونكريف وجارستن وويلكوكس وجونسون وكروكشنك ودنلوب وكولس وكلياد وشارترس .

ومما هو جدير بالذكر ان اللغة الفرنساوية كانت من قبل الاحتلال اهم اللغات الاوروبية التي تعلَّم بالمدارس ولغة الحكومة الرسمية بعد العربية واما في هذه السنين الاخيرة فقد تغلَّبت الانكليزية على ما سواها من اللغات في مدارس الحكومة ورأى الناس أن تعلمها ضروري لكل من رام ان يأتي في مصر عملاً او ينال منصباً .

واهم ما تم لمصر على ايدي الانكليز في السنتين الاخيرتين فتح ام درمان

واسترجاع السودان ثم انشأ الخزان الذي اجمع العالم على نفعه للبلاد وانشاء المصارف في جميع انحاء القطر وتخفيف الضرائب ٢١٦ الف ج.م. في السنة وغير ذلك اصلاحات كثيرة بين ادارية وقضائيه ومالية

ومن اعظم الامور التي تمت في البلاد بعد امتلاك السودان وانجلاء مرشان بحملته عن فشوده تحول ميل التجار واصحاب الاموال من الانكليز لتثمير اموالهم في البلاد فانه لم يكن بهما منهم لهذا العهد قدر ما كان من الاجانب المختلفي الاجناس فانتبهوا الى مناظرتهم بشدة وشرعوا في تأليف الشركات العديدة بالاموال الكثيرة واخذوا يتباعون من الحكومة مصالحها شيئاً فشيئاً وكأن الحكومة تقصد بذلك ان لا يمر عليها حين من الزمن الا وهي على نسق الحكومة الانكليزية اكثر اعمالها فيها بيد الشركات

وجملة القول ان الاموال واكثرها انكليزية انهالت على البلاد المصرية كالسيل الوابل وكانت حركة الاعمال حين وضع هذا الكتاب مدهشة غريبة ما رأتها مصر فيما مضى

وكان اصحاب الاموال من المصريين قلما يثمرون اموالهم بغير الاطيان فتغير هذا الميل ايضاً واخرج معظمهم الاموال للمساهمة في الاعمال العظيمة بعد ان كانوا يحتشدونها في اعماق الصناديق حذراً عليها من ان تعبث بها ايدي الظلم والاستبداد

وكان في مصر حب الاستخدام بمصلحة اميرية يأخذ بلب كل شاب اتمّ دروسه وفتح عينيه في الدنيا ولكن اكثرهم انتبهوا للاعمال الخصوصيه وصاروا يسعون وراء الرزق بغير الاستخدام سعي الانكليز بينهم في استدرار الخيرات

والخلاصة ان روحاً جديدة نشأت في البلاد فأيان اتّجه القادم اليها يرى الامن وقد استتب في ربوعها والحضارة وقد عمت انحاءها والحرية وقد صار يتمتع بها في حياته وشؤونه وآرائه كل مصري وساكن مصر . ويرى بلاداً فاقت بما هي عليه من رفعة الشان والتقدم والعمران سائر الاقطار الشرقيه حتى ليصح ان يقال عنها « مصر عروس الشرق »

عمل انكلترا في افريقيا

جعلت هـذه الدولة نصب عينيها منذ زمن بعيد « القارة الافريقية » غرضاً ينيلها اذ انالته مغنماً عظيماً وملكاً ضخماً فلم تلبث أن حققت امانيها فمدّت سلطانها ونفوذها في هـذه القارة العظيمة من شماليها الى جنوبيها وتوصلت بعد اعمال السياسة بصبر وثبات ان احتلت مصر فجعل هـذا الاحتلال البحر الابيض المتوسط في قبضتها واصبح بما فيه بحيرة انكليزية يحدها جبل طارق شرقاً وقنال السويس غرباً ويتخللها جزائر مالطه وقبرص وبعض الجزر الصغيرة التي اصبحت محشداً لجيوشها البرية وملاذاً لسفنها البحرية .

وقد آمنت ايضاً باحتلالها مصر على هندها اذ صار قنال السويس وهو طريق آسيا ومفتاحها تحت سلطانها تحافظ عليه اشد المحافظة اذا تحرّج الامر ودعت الحاجة .

ثمّ وطّدت نفوذها بافتتاحها السودان المصري على النيل كله من منشأه في اوغندا جنوباً الى مصبه في البحر الابيض المتوسط شمالاً وصارت كلمتها عليه الكلمة العليا وترى ان يجتمع لها فيه الامران : السياسي بامتلاك افريقيا من المحيط الهندي دون فاصل والتجاري ان تجعله مصدراً ومورداً تجتمع كل خيرات افريقيا لتنقلها الى اوروبا .

وكان لديها (عند وضع هذا الكتاب) مشروع انشاء خط حديدي من قنا الى خليج بناريس الكائن في الجنوب الشرقي منها على سواحل البحر الاحمر

وهذا الخليج من احسن المواقع التي يحسن انشاء ميناء فيها . فاذا تمّ هذا الخط اصبح ثغر الاسكندريه متصلاً مباشرة مع البحر الاحمر في خليج بناريس الذي تفد اليه السفن من الهند وجميع ارجاء الشرق الاقصى وهو يقوم مقام قنال السويس في جميع مزاياه لا سيما اذا قضت بعض الحوادث بتعطيل السير في القنال .

ولما كان لها حكومة الكاب في جنوب افريقيا وكان لها في نقيض موقعها الديار المصرية التي تحتلها وكانت املاكها ومستعمراتها متعاقبة بينهما فهي تسعى جهدها لتضمها كلها الى بعضها وتكوّن منها المستعمرة العظيمة الآخذة من الشمال الى الجنوب او المملكة الافريقية العظيمة المحصورة بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي . وهي ساعية في مشروع انشاء الطريق من الاسكندرية فدنقله فالخرطوم فمكتويا نيانزا فالكاب

هذه اعظم امانيها تروم تحقيقها لانه لا يحول دونها حائل كما انه لا يشغلها عن رغائبها في داخليتها شاغل .

« ولله الامر من قبل ومن بعد »

﴿ تم الجزء الاول ﴾

كتاب

العالم الإنكليزي

تأليف

بشارة نعمان

الجزء الثاني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع على نفقة أمين هندية

بمطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية

obeikandl.com

تاريخ

جلالة الملكة فيكتوريا

The Queen, her life and reigu

« ولادتها وتربيتها »

هي ملكة الانكليز وسلطانة الهند والحاكمة على خمس الكرة الارضية وعلى ربع سكانها . وهي الابنة الوحيدة للدوك اوف كنت (وهو الامير ادوارد اوغست) رابع اولاد الملك جورج الثالث اخي الملكين جورج الرابع ووليم الرابع .

ولدتها امها فيكتوريا « شقيقة ليوبولد ملك بلجيكا » في كنسنتون بمدينة لوندرا فجر الاثنين ٢٤ مايو سنة ١٨١٩ الساعة ٤ والدقيقة ١٥ فسرَّ بها والدها سروراً لا مزيد عليه حيث قرأ في وجهها آيات السعادة وبشائر اليمن وقرَّر لها اذا عاشت مستقبلاً عظيماً ومركزاً خطيراً ولقد اخذ هلال سعودها ينمو معها من المهد ذلك ان مات عمها الاكبر ولي العهد بدون خلف واكتهل الاثنان الباقيان قبل ان يتزوجا فازداد ولع والدها بها حتى لو امكنه ان يودعها طي فؤاده لفعل وما كان يزوره احد من اصدقائه الا ويقول له فرحاً مسروراً: اني واثق بالله انه اذا عاشت هذه الطفلة تصير ملكة الانكليز . ولقد احتفل بعمادها بعد شهر من تاريخ ولادتها احتفالاً شائقاً جداً ودعيت الكسندرينا فيكتوريا باسم القيصر واسم امها وقد غلب على هذه التسمية اسم فيكتوريا وحده

اما محبة والدتها لها فما لا يستطاع ولا بالوهم ادراكه فانها كانت تسبق ظلها في ملازمتها ولا تقوى على مفارقتها لحظة وما كانت ترضعها الا من ثديها وتأبى ان يخدمها غيرها

وقبل ان تتم الشهر السابع من عمرها عاد ابوها يوماً من الصيد مبلل الثياب منهوك القوى وتوجه تواً الى مقصورتها ليلاعبها كعادته قبل ان يغير ثيابه فاصابته من جراء ذلك نزلة شديدة قضت عليه في سنة ١٨٢٠ فانقضّ هذا المصاب على والدتها انقضاض الصاعقة فملأ الحزن قلبها وقرّح كبدها حتى كاد يقضي عليها أسىً وقد كتبت تبث شجنها لصديقة لها بما معناه :

« لم يمهل الدهر ابنتي لبلوغ الشهر الثامن من عهد حياتها حتى جرّ علينا « ذيل مصائبه واصلانا بنار نوائبه فتيتمت ابنتي من ابيها وترملت انا بفقد زوجي « في موطنٍ لم ألف فيه من يدري بلغتي فيعزيني على مصابي او يواسيني في « احزاني حتى كاد يذهب الغم فيه بذخيرة صبري لو لم يلهمني الله الثبات في « مقارعة الخطب وقد ابتعدت عن القصر الملوكي لما فيه من المفاسد واقمت « هنا في كنسنتون حيث كرست حياتي واوقفت نفسي على قضاء واجب « عظيم عليه مستقبل ايامي الواجب الذي صار ديني وشغلي الا وهو تربية ابنتي

وقد عاشت الدوقة مع ابنتها تيودورا (من زوج غير الدوق كنت) وفيكتوريا معيشة غاية في البساطة في قصر كنسنتون فكانت تصرف جانباً كبيراً من النهار في تعليمهما واجدة في ذلك اعظم سلوى وتعزية على مصابها وتصرف القسم الآخر حيناً بالتنزه اما في عربة او على ظهور الجياد وحيناً بالجلوس في فصلي الصيف والربيع على بساط الارض السندسي في روضة

قصرها تحت ظلال الاشجار وكان لفيكتوريا في تلك الخلوة حمار صغير قد شغلت بركوبه كثيراً .

وقد رآها ذات يوم احد كتبة الجرائد وهي سائرة بين امها واختها في حديقة القصر تحيط بهن بعض السيدات تتبعهنّ خادمتان تجر احداهما ذلك الحمار الصغير فاقترب منهن بكل احترام وبادرهن بالتحية فردّت عليه الاميرة الصغيرة بلطف جمله يقول في وصفها انها كما قد أُفرغت في قالب الحسن والجمال قد أُلبست في صغرها حلة الأدب والكمال فهي مثال المجد ومكارم الاخلاق وما اشبهها بالمرحوم والدها الدوق كنوت

وقد عكفت والدتها مع مربيتها على تربيتها كل سني ترملها الطويل . ولما بلغت الخامسة من عمرها عين لها البرلمان ستة آلاف جنيه سنوياً لتنفق على تعليمها وتهذيبها فتعلمت من اللغات الانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية واللاتينية ومن العلوم والفنون الرياضة والموسيقى والرسم وفطمت من الصغر على الثبات في كل الاعمال والاقتصاد في جميع كافة النفقات وحب الاحسان والميل الى مساعدة الفقراء وقد حفظت الولاء لمربيتها فجازتها فيما بعد خير جزاء .

ومما قالته عنها هذه المربية انها لم تكن تسلم لكل ما يقال لها بل كانت تجادل وتناقش وتبحث عن وجوب نفع كل امر ووجوب ضرره ولا تأخذ به الا وهي على بينة منه

ولما تبوأ عمها وليم الرابع اريكة الملك ولم يكن يرزق ببنين اصبحت اقرب العائلة الى الملك فعينت ولي عهده قبل ان تبلغ اشدها وزادها البرلمان

راتبها السنوي الى ستة عشر الف جنيه فارتأت وقتئذ والدتها ومربيتها ان تطلعاها على ما يتهيأ لها من سمو المقام وخطارة المركز فوضعت لها المربية في كتاب التاريخ الذي ألفت مطالعته جدولا مبيناً فيه سلسلة نسبها

فلما فتحت الكتاب ووقع نظرها عليه اندهشت واعادت تلاوته اولا وثانيا ثم قالت للمربية احقاً ما أرى فاجابتها ان ما ترينه هو عين الحق قالت فيكتوريا اذاً لماذا لم ارَه قبلا فاجابت لان ذلك لم يكن ضرورياً من قبل كما هو الآن فانت ايتها الاميرة اقرب العائلة الى الملك .

فصمتت برهة ثم استأنفت الكلام قائلة ان المركز خطير جلل يكاد يفوق حد الامل وكثيرون يتمنونه ويتهافتون عليه حباً بالمجد ورفعة الشأن ولكنه محفوف باعظم المخاطر واشد الاهوال ثم فركت جبينها بيمناها واشارت الى المربية باليسرى وقالت ولكنني سانهج نهجاً حسناً وقد ادركت الآن سبب اجتهادك بنوع خصوصي في تعليمي اللغة اللاتينية التي هي اساس اللغة الانكليزية ثم اشارت بيدها ثانية وكرّرت قولها الاول سأسير السير الحسن

قالت لها المربية حينئذ . ان امرأة عمك لم تزل في ريعان شبابها وربما وضعت اولاداً فيكونون احق منك بالملك . فاجابت الاميرة على الفور انني لا استاء من هذا الامر وحبذا لو تم وانا اعلم بما هي عليه امرأة عمي من الغم المفرط لعدم وجود نسل لها واعرف شدة محبتها للاولاد من محبتها لي وعطفها علي فبهتت المربية عند سماعها هذا الجواب وزادها حيرة ما رأته من عدم الاكتراث بالملك وبقيت كذلك لا مطمع لها غير اتباع النهج القويم حتى استوت على عرش المملكة الانكليزية فاستمالت قلوب رعاياها واحبتهم حباً

شديداً فاعتبروها اعتباراً واعظموها اعظاماً يفوق حد الوصف كما سترى .

« توليتها وصباها »

ما تنفس صباح العشرين من شهر يونيه سنة ١٨٣٧ حتى توفي وليم الرابع ملك انكلترا بلا خلف واشرقت شمس الاميرة فيكتوريا في سماء العظمة والمجد اذ خفّ الى قصرها حال وفاة عمها رئيس اساقفة كنتربري مع بعض عظماء المملكة ليخبروها بما اتاها الله من الملك العظيم . وكانت لا تزال نائمة في مقصورتها فايقظوها وبادرها بالخبر عند مقابلتها رئيس الاساقفة فاغرورقت عيناها بالدموع حزناً وشفقة وقالت له ارجوك يا ابتي ان تصلي لاجلي وجثت هي على ركبتيها فجثاء رئيس الاساقفة والحضور من حولها وتضرعوا جميعاً لله من اجلها .

واول شيء خطر بخاطرها وجوب الاسراع بتعزية زوجة عمها المتوفي ادلايده فكتبت لها كتاباً تعزيها فيه جميل العزاء على مصابها وتشاركها في احزانها وعنونت ظرف الكتاب هكذا .. الى جلالة الملكة .. كما اعتادت ان تعنون رسائلها اليها فنبهوها بلطف ان العنوان يكون . الى جلالة الملكة الارملة فاجابت اني اعرف ما تنبهونني اليه ولكني لا احب ان اكون اول من يخبرها بتغيير امر كزها ثم اسرعت الى مقصورة والدتها والقت بنفسها بين ذراعيها وقالت اراني يا اماه ملكة انكلترا ولا اكاد اصدق ما ارى لان بين حالتي بالامس ومركزي اليوم بوناً عظيما وانما ساعتاده بوقت قريب . وبعد برهة محادثة طلبت الخلوة بنفسها فمكثت نحو الساعتين استجمعت فيهما كل قواها ثم دخلت قاعة البرلمان المؤلف من اعاظم رجال المملكة فقوبلت بمراسم

الملكة الفتاة

الاحتفاء ومظاهر الابهة ونودي بها « ملكة انكلترا » في ثاني يوم من كوة بيعة سان جمس حيث حضر اكابر المملكة وعظماءها واقسموا لها يمين الطاعة ثم اقيم الاحتفال بتتويجها واقبل الانكليز لحضور ذلك الاحتفال من كل قطر وناد فضاقت بهم المدينة على اتساعها وبلغ ثمن تذكرة الحضور خمسون جنيهاً وبلغت نفقات التتويج ٦٩٤٢١ جنيه . وكان ثمن التاج الذي توّجت به في ما حوى ترصيعه بالحجارة الكريمة ١١٢٫٧٦٠ جنيه .

ولمّا طيف بها ذلك اليوم في شوارع لوندرا العامرة ارتفعت اصوات الأمة بالابتهال هاتفةً « اللهمّ بارك مليكتنا الفتاة »

وقد دهش الناس من حسن تصرفها بما بدا منها عند تتويجها ذلك انه لمّا تقدّم كبير الاوردات وبيده التاج ليتوجها به وكان كهلا في الخامسة والثمانين من العمر ثقيل الحركة عثرت رجله في احدى درجات العرش الذي كان يصعده وضعف عن النهوض فتحركت عواطفها عليه شفقة ونزلت فلاقته على الدرج وخفّفت عنه مشقة الصعود فوقع ذلك من النفوس احسن موقع واستدل الشعب جلياً على ماحوت من رقة القلب والدعة والوقار مع ماهي عليه من عزة الملك والعظمة

ولما تمّت حفلة التتويج تقدم عظماء المملكة لمبايعتها واقسموا يمين الطاعة وكان بينهم الدوك ولنتون الشهير وغيره كثير من كبار رجال السياسة . وكانت حمرة الخجل تعلو وجنتيها اذ ترى الشيوخ يركعون امامها لتقبيل يدها . وما صدقت ان انفردت بنفسها بعد ذلك حتى قصدت تواً والدتها والقت نفسها بين يديها والدموع تتلألأ في عينيها من شدة التأثر .

وكانت وقتئذٍ وزارة الاحرار قابضةً على زمام الاحكام وكان رئيسها اللورد ملبرن وهو شيخ واسع الاختبار خبر ضروب السياسة وعرك الايام فاعتبرته الملكة بمنزلة الوالد الرؤف وصار موضع ثقتها ومعتمد سياستها فخدمها اجل خدمة باطلاعها على كل دقائق السياسة وكان يقضي اكثر اوقاته معها لتدريبها على الحكومة الدستورية حتى توفَّق لذلك كل الموافقه .

فشرعت من ذلك العهد تشارك وزراءها في سياسة بلادها وتنظر في كل المسائل بغاية الحكمة والتروي فما كان يُقدَّم لها ورقة لتمضيها الا وتفحصها بامعان زائد او تحفظها معها اذا لم يكن في الوقت فسحة لتلاوتها بالتدقيق ولما رأى منها ذلك اللورد ملبرن قال انها كانت اصعب عليه من عشرة ملوك

وقد تعمَّدت المساواة بين رعاياها في سائر الاحوال فلم تمل لحزب من الاحزاب بنوع خاص مهما بذل جهده في استمالتها اليه بل ترفعت عن الحزبين وراعت مصلحة الاثنين

ومما يروي أنه لمَّا عرض عليها غلادستون ان ترفع الى درجة اللوردة عددًا عديداً من رجاله واتباعه — وكان قصده في ذلك ان يتوصل بواسطتهم الى الغاء مجلس اللوردة رفضت اجابة طلبه وقالت له اني لست رئيسة لحزب الاحرار او لحزب المحافظين إنما انا رئيسة المملكة الانكليزية فلا يحسن بي ان انصر حزباً على آخر .

وكانت شديدة التمسك بعرى الدين يقال انه سأَلها احد سفراء ملوك افريقيا بأمر مولاه عن سبب تقدم مملكتها فاشارت الى الكتاب المقدس واجابته : قل لمولاك ان هذا الكتاب هو سبب ارتقاء بلادي فليعمل

بمقتضاه اذا شاء وكانت ترى ان طاعة الاله الحق وحفظ وصاياه من اول الواجبات فلم تخرج عن ذلك ابداً وقد اتفق ان احد وزرائها وصل الى ويندزور في الليل متأخراً ومعه اوراق عظيمة الاهمية تستدعي فحصاً مدققاً وطلب منه تأجيل الاطلاع عليها لصباح الغد فقالت كيف في صباح غد وهو الاحد ايها اللورد فقال نعم ولكن الاوراق شديدة الاهمية لا تحتمل التأخير ثمّ استأذن وانصرف وفي صباح الغد توجه للبيعة لحضور القداس فاستولاه الاندهاش اذ سمع الكاهن يعظ الناس ويحضهم على الراحة من الاعمال ايام الآحاد فلما امتثل امام الملكة بعد انقضاء الصلاة ابتدرته بالسؤال قائلة هل استحسنت موضوع الوعظ اليوم اجاب قد استحسنته كثيراً لمطابقته لمقتضى الحال والحق هو ما ارتأته مولاتي الملكة فابتسمت وقالت لست اخفي عنك الآن ان الكاهن جعل موضوعه في الوعظ يوم الاحد بايعاز مني اليه واظن ان كثيرين يرتدعون به فازواجبات الدين هي اقدس الاشياء وعلى ذلك انقضى الاحد بدون عمل حتى المساء فقالت له غداً صباحاً الساعة ٧ السابعة ايها اللورد تفحص الاوراق اذا شئت فاجاب اذا شاءت مولاتي كان ذلك في الساعة التاسعة لكي لا نبكر جدا في القيام قالت بل يلزم فحصها باسرع ما يمكن لكي لا يتوقف سير الاعمال

وقد طفقت ترتاد السلام والطمانينة لرعاياها من اول يوم تبوأت فيه اريكة الملك وكما قد قرر لها البرلمان من ذلك اليوم ٣٨٥ الف جنيه راتبا سنويا كذلك قررت هي في نفسها لشعبها فوق ذلك كثيراً من نوايا الخير والسعادة والشفقة والحنان ولما كان من القواعد المقرره ان توقع بخط يدها على

احكام الاعدام كان قلبها الشفوق عرضة للتأثر العظيم فكانت تبذل ما في وسعها لتخفيف كل حكم صارم يقدم لها وقد حدثت عنها آنسه انجليزيه كانت في خدمتها ان الدوك ولنتون قدم لها ذات يوم حكما قاضاً بالاعدام على جندي وطلب التوقيع عليه فلما وقع نظرها عليه اضطربت كل جوارحها وقالت للدوك والاشفاق يرطب عينيها بدموع الحنو اما لديك ما تستشفع به لهذا الرجل اجاب الدوك لاشيء لانه هرب ثلاث مرات من الجيش وارتكب ذنوباً كثيرة قالت افتكر برهة عساك تجد بعض التحوير فاطرق الدوك براسه الى الارض هنيهة ثم قال لعله ينفع للمنفى فيكون رفيقاً امينا اذا لم يكن جندياً مخلصاً فابرقت اسرة الملكة وقتئذ وقالت أشكرك على هذا الطلب وخطت بامضائها العفو عن المجرم .

« زواجها وترملها »

مليكة في زهرة الحياة قبضت بيدها زمام مملكة هي اقوى واعظم ممالك الارض وهي على ما علمت من جمال الخَلْق وكمال الخُلُق توفرت لديها بذلك اسباب الرغد ووسائط الهناء والمجد الى اعظم درجة يمكن الوصول اليها ففي اي شيء من مكملاتها يتحدث الشعب ياترى افي غير ذلك الرجل المختار من العالم الذي سيسعده السعد وتؤهله الكرامة والمجد فترمقه بعين الاعتبار ويكون اهلا لان يصير لها بعلا

فبهذا كان يتسآل لشعب الانجليزي عن بكرة ابيه فاكثر التخمين وتداولت الاقاويل في من يكون وكانت الارجحية واقعة على احد امراء عائلة اورليان الشهيرة وعلى ابن خالها الامير البرت ابن ملك البلجيك وكان

هذا جميل الطلعة فايقاً في الكمال والملاحة زارها وهي في السابعة عشرة من عمرها فاحبها واحبته حتى لم تستطع كتمان حبه فصرحت بذلك لخالها حيث كتبت اليه تطلب منه الاعتناء الخاص به لانه اصبح اعز الناس لديها فادرك خالها المراد وأرى لزوم تغيير دروسه بدروس تناسب مستقبل حياته ففعل ولما كان جو السياسة لا يخلو من الاكدار حصل وقتئذ ان وزارة الاحرار فقدت ثقة الاهالي فيها فخلفتها وزارة المحافظين وكان زعيمها السر روبرت بيل واول شيء طلبته هذه الوزارة من الملكه فصل بعض النساء اللواتي كن في خدمتها نظرا لانحيازهن لحزب الاحرار فعارضت في ذلك حتى كاد يفضي الامر الى عواقب وخيمة وطار الخبر الى خالها فاسرع واوسل اليها بالامير البرت واخيه ليدفعها بتحرك عواطف الحب فيها الى التسليم لارادة شعبها

وكانت لم تقر لذلك العهد على الزواج على انها لما رأت البرت وقد بدى لها بمنظر يختلب القلب ويسلب اللب حدى بها حادي التذكار للرجوع بمطايا افكارها الى معاهد ذلك الحب الذي سكن في فؤادها منذ عام زارها فابقته لديها ضيفا كريما وبعد شهر قدمت له زهرة كانت بيدها فاقبلها مسرورا شاكراً فطلبت منه تعليقها في صدره ولما لم يكن في سترته عروة زائدة اخرج من جيبه مطوة وفتح في السترة فتحة اذاء قلبه وضع فيها الزهرة فسحرت بشدة بداهته وغريب لطفه ولم يطل الزمن حتى كاشفته بحبها وطلبت منه الاقتران مخافة ان لا تشترك عواطفه في المحبة لدي علمه بانحطاط منزلته امام عظمة مقامها فسحر البرت بما رأى في كلامها من دلائل الحب الصادق وكتب الى جدته

يعلمها بما ناله من السعادة وكتبت هي الى مشير خالها تعلنه برغبتها في الاقتران وكان عليها ايضا اعلان هذه الرغبة الى اعضاء البرلمان ولعمر الحق ان في هذا الاعلان كان قضاء واجب ماعلى صعوبته من مزيد على فتاة في مقتبل العمر وقد ذكرت ذلك هي بقولها : دخلت قاعة البرلمان وقد كادت تضيق بجمهور الاعضاء فلم اميز احدا من الحاضرين كأن غشاوة انسدلت على بصري وما بدأت اصرح بطلبي بكلمات وجيزة حتى شعرت بالاضطراب في كل جسمي فنهض للحال اللورد لانسدون وسأل باسم صاحب المملكة المصادقة على هذا الاقتران السعيد فكان ومن ثم ابتدأوا بتهنئتي من الدوق اف كامبردج فنازلا وقد سر اعضاء البرلمان كثيرا من هذا التصريح لان ولاية العهد كانت اهم شيء واحتفل في العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ بزفافها واظهر الانجليز دلائل السرور ومظاهر الابهة والمجد وقاموا بزينات عمومية باهرة يعجز القلم عن وصفها .

وقد كان هذا الاقتران مصدر سعادة الزوجين لانهما كانا مؤتلفين في الاذواق والاخلاق . وبذل البرنس امام زوجته كلما يكنه من المحبة والاخلاص فشاركته في امرها على اهم ما تحت سلطانها وفي ادارة الاحكام وكل مايؤول لمجد المملكه وتجنس بالجنسية الانجليزية بموجب قرار صدر من المجلس العالي وعين له مرتب سنوي قدره ثلاثون الف جنيه انجليزي وما مضى عليه ذلك العام حتى صار وطنياً عاملا في المملكة فقام لاول مرة خطيباً باللغة الانجليزية في جمعية تحرير الرقيق ثم اعطى لقب فلدمرشال ووجهت اليه رتبة رباط الساق ورئاسة شرف كلية كمبريدج وكان كلفا بالآداب فجعل

لكثير من الجمعيات

وقد اشتهرت سنة ١٨٤٠ المذكورة بتخفيض رسم الجوابات في بلاد الانجليز الى ١٠ سنتيم

اما ما ابداه البرنس نحو زوجته الملكة من الغيرة على صوالحها وصوالح المملكة ومن الوفاء الخالص في محبتها ورعاية شعبها فما يخلد له جميل الذكر في التاريخ الانجليزي وكانا في المعيشة العائليه على غاية من البساطة والتقوى والهناء والرغد

ورزقت الملكة في اواخر عام الاقتران بالامبراطورة فكتوريا ارملة امبراطور المانيا السابق ثم بالبرنس ادوار ولى العهد الذي نالت بمولده الامة البريطانية مناها من حيث الحصول على ارتياح الفكر بخلف للملك سعيد وقد قدرت نفقات الاحتفال بعماده فكانت مائتي الف جنيه وهاك جدولا مبينا فيه اسماء من رزقت من البنين وتاريخ ميلادهم

(١) البرنسيس فكتوريا ولدت في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٤٠ وتزوجت ربلوبده في ٢٥ يناير سنة ٥٨ بالامبراطور فريدريك وليم وترملت في ١٥ يونيو سنة ٨٨

(٢) البرنس البرت ادوار ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وتزوج في وندسور في ١٠ مارس سنة ٦٣ بالكسندره اميرة الدنمرك

(٣) البرنسس اليس ولدت في نوفمبر سنة ١٨٤٣ وتوفيت سنة ١٨٧٨

(٤) البرنس الفرد دوق سكس كوبورغ وغوثا ولد في وندسور في ٦ اوغسطس سنة ١٨٤٤ وتزوج في سان بطرس برج في ٢٣ يناير سنة

١٨٧٤ بدوقة روسية تدعى ماريا

(٥) البرنسس هيلانه ولدت في ٥ مايو سنة ١٨٤٦ وتزوجت في وندسور في ٥ يونيو سنة ١٨٦٦ بالاميركرستيان صاحب شلسوج هولشتين من اعمال المانيا

(٦) البرنسس لويزا كارولينا ولدت في ١٨ مارث سنة ١٨٤٨ وتزوجت في وندسور في ٢١ مارس سنة ١٨٧١ بالمركيز لورن اكبر انجال الديوك اف ارجيل الاسكتلندي

(٧) البرنس ارتور اف كونوت ولد في اول مايو سنة ١٨٥٠ وتزوج في وندسور في ١٣ مارس سنة ١٨٧٩ بلويزا مرغريت اميره بروسيانيه

(٨) البرنس ليوبولد دوق البني ولد في ٧ افريل سنة ١٨٥٣ وتزوج في وندسور في ٢٨ افريل سنة ١٨٨٢ بهيلانه اميرة ولديك وتوفي في ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤

(٩) البرنسس بياترس ماري فيكتوريا ولدت في ١٤ افريل سنة ١٨٥٧ وتزوجت في وندسور في ١٣ يوليو سنة ١٨٨٥ بهنري تاسمبرج

ولم يكن زواج الملكه وما يتبعه من الشواغل ليشغلها عن واجباتها نحو المملكه بل استمرت على فحص كل المسائل التي كانت تعرض عليها وكانت تتجاذب دائماً مع وزرائها اطراف المداوله في كل الامور على جرى عادتها وفي سنة ١٨٤٢ زارت مع زوجها اسكتلاندا فاحتفل باستقبالها الشعب الاسكتلاندي احتفالاً عظيماً وفي شهر سبتمبر سنة ١٨٤٣ زارت لويس فليب ملك فرنسا فقابلها الفرنسيس بغاية التجلة والتعظيم وحضر الملك فليب بنفسه الى

شربورج واستقبلها وهي نازلة من يختها ثم زارت ايضاً مع زوجها بلجيكا

ثم اعادت الزيارة لاسكتلاندا سنة ١٨٤٤ واشترت فيها بقعه من الارض ذات موقع نضر جيد تعرف بالهيلاندز اي الاراضي العاليه وبنت فيها قصرا كانت تقضي فيه مع عائلتها بعض الايام حينما تسمح لها الفرص باراحة نفسها من عبء الاعمال فتعطي ميلها حقه بتناسي عظمة الاحتفالات ورسمي المقابلات وكثيراً ما كانت تخرج وحدها تزور سكان القرى ولقد ضلت عن الطريق ذات يوم بينما كانت تسير في عرض الحقول فهداها اليه مزارع في ذاك المكان وحملها ذلك على ان سعت هي وزوجها بكلما يعود بالراحة والسعادة على سكان تلك الاصقاع فاسست مدرسة لتربية اولادهم واقام البرنس مزرعة اتخذت مثالا للقوم واقيم على نسقها فيما بعد مزارع كثيرة في كل انكلترا

وفي سنة ١٨٤٥ زار الزوجان المانيا

وفي سنة ١٨٥١ زارا ليفربول ومانشستر وقد ادهش الملكة في هذه البلدة الاخيرة هيئة الاحتفاء التي الفها الشعب فقد لبس احسن ما عنده واصطف على طول الطريق التي مرت فيها كالجند المنظَّم اما حفلة الترحيب العمومية فقد اقيمت في بقعة متسعة اجتمع فيها نيف ومليون نفس عدا منهم عدد تلامذة المدارس وحدهم نحو ٨٢ الف تلميذ وبعد تلاوة خطاب شائق رفع هذا الجمع صوته عن بكرة ابيه يرتل النشيد الوطني الشهير

« اللهم احفظ الملكة »

وبالجملة فان هذه الملكة المحبوبة كانت اينما حلت وكيفما سارت تلاقي من

شعبها من الاعظام والاعتبار ما لم تسمع به اذن او تره عين او يخطر على قلب ملك

وكانت هى وزوجها بغاية التواضع ولين الجانب واللطف مع الجميع وبغاية البساطة وعدم التكليف في معاشرتهما حتى ما كانا يانفان المحادثة مع حشمهما بل يتركانهم يخوضون في الحديث كانهم جميعهم اعضاء عائلة واحدة

وقد اختارا لتربية اولادهما قصراً في جزيرة وايت مبنياً في بقعة جيدة التربه حسنة المناخ خيم فيها الهدو بدل غوغاء المظاهرات وناب فيها الهواء النقى بدل دخان المعامل والى جانبه منزل آخر ترتبت فيه قاعات كثيرة خصص بعضها للطبخ والبعض لعمل الجبن والزبدة وغيرها عرضت فيها معدات التاريخ الطبيعي وخلافها للتصوير والموسيقى والدرس وغير ذلك وكان لكل حديقة خاصه تشتغل فيها تحت ادارة البستاني اما الاميرات بناتها فكن يطبخن ويستخرجن الزبدة والجبن ويهبن نتيجة اعمالهن الى بيوت الفقراء التي فرضن على انفسهن مساعدتها وامدادها حتى سعدت اهالي تلك الجهة من عطايا الملكه وهبات بناتها

وقد روى عنها احد الكهنة في تلك الجزيرة قال دعيت ذات يوم الى مريض كان في حالة النزع فلما دخلت عليه وجدت الى جانبه سيدة تطفح على وجهها المهابة والجلال ويلوح عليها سيماء الحزن وهي تقرأ له في التوراة فلما هممت بالخروج استوقفتني السيده وقالت ارجوك ايها الاب الصالح ان تبقى هنا وتداوم القراءة في الكتاب المقدس لهذا المريض ففي ذلك اعظم تعزية له وقدمت لي الكتاب مفتوحاً في موضوع يناسب حالة المريض

وخرجت ولم يمر على ذلك يومان حتى علمت ان تلك السيده التي رأيتها هي نفس الملكه فيكتوريا . فيالها من ام حنونه وملكة كريمة كانت تحبو بالعطاء وتمد بالدواء وتشارك في المصاب كأنّ العناية ارسلتها لسعادة شعبها

وقد قام ايضاً البرنس البرت باعمال كثيرة دات على رغبته في خير البلاد ونجاحها فساعد بحذقه ونشاطه على اقامة معرض في مدينة لوندرا سنة ١٨٥١ فتم وتقاطر اليه الصناع من كل صوب ليعرضوا فيه مصنوعاتهم ويبرزوا بنات افكارهم فنال هذا المعرض نجاحاً عظيماً وتبعه معارض اخرى كثيرة للصناعة والفنون وكان ناصحاً ومرشداً في كل الاعمال لزوجته الملكه التي اطلعته على كل افكارها فشاركها فيها ناهجاً سبيل الحكمه فلم يتداخل فى الامور مداخلة تؤذن بالمعارضة لئلا يتهم بالميل للمصالح الاجنبية لكونه غريباً عن الانكليز ومع ذلك فلم يسلم من التهمه فاضطر مجلس الامه بالتصريح والايضاح لدفع تلك الاوهام عن الافكار .

وزار البلاط الانجليزي سنة ١٨٥٥ نابوليون الثالث وزوجته فقابلته الملكة وزوجها بمراسم الاعتزاز والاكرام وردا لهما الزياره في باريس في ١٨ اوغسطس من تلك السنه وزارت الملكه قبر نابوليون الاول فتذكرت ما كان بينه وبين قومها من العداوة الشديدة وادركت مالوقوفها على قبره من التأثير فقالت « ليس على العواطف اشد من معرفة مقدار البغضاء التي كانت تملأ قلوب الشعبين العظيمين وها انا بما ابدي من الاكرام والاعتبار امام ضريح هذا الخالد الاثر لوفاته البالية ابدد شمل ما تقدم من العداوة واجمع شوارد الاتحاد الذي تم بين الامتين »

وصحبها في هذه الزيارة ولي عهدها واخرى من بناتها وكانت وقتئذ ايام المعرض فاقاموا في باريس ثمانية ايام وسروا بمشاهدها كثيرا

ومنحت لزوجها في سنة ١٨٥٧ لقبا عنوانه صاحب السمو الملوكي البرنس الزوج حتى يكون له حق الوكالة على ولي العهد القاصر فيما اذا داهمتها الوفاة قبل رشاده

وفي سنة ١٨٦١ توفيت ام الملكة ولها من العمر ٧٥ سنه فاثر هذا المصاب فيها تاثيراً عظيماً ولكن كان لها في زوجها اعظم تعزية وسلوى الا ان القدر جاءها على عجل فاصابها فيه بخطب اجل واعظم . ذلك انه اصيب بحمى خفيفة اضطرته الى ملازمة الفراش فكانت تخدمه بنفسها اثناء مرضه وتمضي اكثر اوقاتها الى جانب سريره حتى اذا زادت عليه وطأة الحمى وعلم بدنو الاجل قبلها وقبل اولاده وودعهم الوداع الاخير فقالت له ان للطبيب امل عظيم بشفائك فاجاب وصوته يتهدّج في لهاته اني متأكد من فراق لا يعقبه تلاق الا في دار ابدية القرار ثم عاد فلثمها ثانية وقال بالالمانية الوداع ايتها الزوجة الصالحة . قال هذا واغمض جفنيه بعد ظهر الرابع عشر من دسمبر سنة ١٨٦١ وله من العمر ٤٢ سنه .

وكاد هذا المصاب يقضي على الملكة أسىً فانقطعت عن أشغال المملكة انقطاعا تاماً وجنحت الى الاختلاء بنفسها حتى كاد يلجئ الامر الى ان يعين قائمقام ملكة لانجاز الاعمال . وكان ايضاً لوقع هذا الخطب رنة في قلوب جميع الانكليز فشاطروها الاحزان وبكوا معها فقيد البر والاحسان ولا يزال تذكاره مرافقاً لها اينما حلت حتى الآن . . .

وبعد حزن طويل فوضت امرها الى القهار العظيم وقالت في هذا المعنى ٠

« إنّ مصابي وان يكن فادحاً بفقدي اعز انسان اخترته من هذا »
« الوجود ليكون رفيق حياتي الا ان ذلك لا يؤخرني عن القيام بما عليّ من »
« الواجبات لشعبي ولا يصدني عن التسليم لارادة الله ما دمت اعلم ان مقامي »
« لا يصونني من رزايا الدهر فانني واقل الصعاليك سواء امام محكمة القضاء »

واول مرة ظهرت فيها رسمياً بعد موته كانت لكشف الغطاء عن تمثال اقيم له في ابر دين واقامت له غيره في هيلاندز ونقشت عليه : تذكار المحبة للبرنس البرت الصالح من ارملته الكسيرة القلب فيكتوريا : واقامت له تماثيل اخرى كثيرة في انحاء مختلفة من المملكة وامرت بترجمة حياته وطبعها واهتمت كثيراً بنشر فضائله وتخليد ذكره في الخافقين ٠

ولا يسع هنا المقام لبيان ما اتته الملكة بعد فقد زوجها فانها كانت تفتح بنفسها ملاجئ الارامل والايتام والمنقطعين وتشيد البيوت الصحية للفقراء على اختلاف طبقاتهم وتزور المستشفيات وتتفقد من فيها من المرضى وتحثهم على الصبر والتسليم للعزة الآلهية وتستنهض هم المحسنين وتعطف على البائسين والمحزونين ٠ ومن الغريب انها مع ما كانت عليه من الحنان والشفقة ومع حب الشعب لها حباً يقرب من العبادة فان جوحياتها لم يخلُ من تكدير الائمة المعتدين الذين كانوا يحاولون من وقت لآخر ان يرموها بشر بيد أنه لم يلحقها ضرر من مكايدهم كأن العناية ترعاها اين حلت ٠ فمن ذلك ان احدهم اطلق عليها رصاصة في شهر ابريل من سنة ١٨٨٣ فلم يصبها والقى القبض عليه

وحكم عليه بالسجن لمدة غير محدودة وقد اظهرت في كل هذه الحوادث من الشهامة والجلد مالا يستطيعه اعظم الرجال وقد زارها في سنة ١٨٧٦ السلطان عبد العزيز خان وامبراطورة بروسيا وملكة فرنسا .

وفي اوائل سنة ٨٧٧ ، وهي السنة الاربعون من سني ملكها لقبت بامبراطورة الهند بناءً على اشارة ديزرائيلي السياسي الشهير . واصدرت بذلك قراراً في قصر ويندزور هاك ملخصه : ان الشركة التي كان امر حكومة الهند الشرقية مفوّضاً اليها . تحكم الهند من تاريخ صدور هذا القرار بنا وباسمنا ولذلك يضاف على القابنا لقب امبراطورة الهند ويبقى حتى اعلان امر جديد .

ومما اشتهرت به الملكه ميلها الى الشعر والتصوير وفي قصورها صور كثيرة من صنع يدها وهي تستخدم المصورين الالمانيين والايطاليين وتفضلهم على النابغين من رعاياها . وهي شديدة المحافظة على التقاليد والعادات القديمة ففي بلاطها نحو الف عامل ينفق عليهم نحو ٥٠٠ الف جنيه سنوياً

وهي شديدة الاعتناء بصحتها لا سيما بعد تناوب الآلام العصبية لها التي جعلتها تقضي اكثر ايامها في قصر ويندزور فلا تقيم في لندن اكثر من ستة او سبعة ايام في السنة

وقد كتبت الملكة تاريخ حيوتها بيدها كجدول يومي مدون فيه كل قول وعمل وفكر . فمن ذلك ان نابوليون الثالث امبراطور فرنسا زارها فتخاصرا في ليلة أُنس فكتبت عن تلك المخاصرة « من اغرب ما جرى ان اكون حفيدة جورج الثالث ملك الانكليز وأُخاصر رجلاً هو حفيد ذلك الجبار (اعني نابوليون الاول) ألد اعداء جدي ولكنني أرى بنابوليون

الثالث قوة تقربني منه وتحملني على ان اقول له ما أروم كتمانه الخ »

ويبلغ مجموع ما تنفقه انكلترا رواتب لها ولافراد عائلتها واهل بلاطها وبطاناتها وحاشيتها ٨٠٠ الف جنيه في السنه وهو مبلغ باهظ ولكن ليس بالنسبة الى مملكة هي ايسر الممالك حالاً بل هو قليل في جانب ما نالته البلاد في عهدها من الفتح والنصر وفي جانب شرفها الاثيل ومجدها الباذخ . ولها فوق راتبها نحو ٤٠ الف جنيه ايراد ولاية لانكستر ولولي العهد ايضاً ٦٠ الف جنيه ايراد ولاية كورنول واكثر اعضاء بقية العائلة لا مال لهم ولا عقار ولا دخل سوى ما يقبضونه من الحكومة

ولها عائله لا يقل عدد افرادها عن ٨٠ نفساً ما بين اولادها واولاد اولادها منهم اربعة حاكمون هم : امبراطور المانيا حفيدها الاول وبكر اكبر بناتها وامبراطورة روسيا وامير هس دار مستات وهم اولاد بناتها الاولى والثانيه وامير كوبورغ وغوثا وهو ابنها الثاني ومنهم ١٢ يرثون الملك بعد حين والباقون امراء واولاد ملوك .

فالملكة فيكتوريا ابنة الملوك وحماة الملوك ونسيبة الملوك واحتاط الملك بيتها من كل جانب

« حياة الملكة السياسية »

واحد وستون سنة مرت أتت في خلالها الملكة من حسن السياسة في الادارة وملافاة الامور الخطيرة ما دلّ على ذكائها وسمو مداركها فلم تتعرض لأذى احد من رعيتها بل كانت تجري على ارادة وزرائها بما فيه خير المملكة وتشاركهم في دقائق السياسة . وكان على رئاسة وزارة الاحرار حين تولت زمام الملك

اللورد ملبرن ثم تلاه اللورد بيل على حزب المحافظين وتلا بيل اللورد جون رسل فاللورد دربي فاللورد ابردين فاللورد بامرستون فاللورد بيكونسفيلد فغلادستون فاللورد روزبري ثم اللورد سلسبري الذي لا يزال رئيساً للوزارة الى الآن . وكلهم نوابغ من افاضل السياسيين (وقد ذكرت سيرتهم في باب الرجال العظام) واليك الآن بيان اهم الحوادث التي وقعت في ايامهم

في مدة وزارة اللورد ملبرن ثار محمد علي باشا على الدولة العلية وارسل ابنه ابراهيم باشا الى سوريه فافتتحها . فاتحدت انكلترا والنمسا على اخراجه منها وكانت فرنسا تعضد محمد علي باشا آملة ان تجد بالعمارة المصرية مساعداً لعمارتها على العمارة الانكليزية ولكن انكلترا سعت فوضعت القطر المصري تحت حماية الدول الاوروبية وبذلك احبطت كل مساعي فرنسا وكادت تكون الحرب ادنى من قاب قوسين بين الدولتين

وفي عهد وزارة ملبرن تفاقم ايضاً النزاع الذي كان بين انكلترا والصين على تجارة الافيون وقد انتهى بحرب عقبها صلح وتعهدت بموجبه الصين بدفع غرامة ٢١ مليون ريال وتنازلت لانكلترا عن هنغ كنغ ثم فتحت ابوابها لقبول التجارة الانكليزية

وفي سنة ١٨٤١ أسندت الوزارة الى حزب المحافظين وكان زعيمها السر روبرت بيل فاضطرمت في عهده الحرب في الافغان وكانت هذه البلاد هدفاً لمطامع الانكليز الذين اوجسوا من تقدم الروس في اواسط اسيا فسعوا جهدهم لان يجعلوا الافغانستان حداً فاصلاً بينهم وبين الهند وقد استولوا عليها بعد وقائع هائلة ثم اضطروا الى الجلاء عنها بعد ان وضعوها تحت حمايتهم وتركوا

لها حق الاستقلال في شؤونها الداخلية .

ولما نشبت حرب القرم بين الترك والروس ارسلت انكلترا وفرنسا عساكرهما براً وبحراً لدفع الروس عن تركيا فجرت مواقع كثيرة هائلة بين الفريقين وكان اللورد بالمرستون يذكي نارها حتى أخذت سباستبول فوصلت الحرب الى غايتها وأبرم الصلح في باريس ووقعت الدول على شروطه .

وفي عهد وزارة بامرستون كانت الجنود الانكليزية تكافح الاهوال في الهند واخيراً تم لها الفوز ووطد الانكليز سلطتهم في تلك المستعمرة العظيمة حتى انتقلت ادارتها من اختصاص شركة الهند الشرقية الى سلطة الحكومة ونودي بالملكة امبراطورة في سنة ١٨٧٧ .

وفي سنة ١٨٥٦ وقعت الحرب بين انكلترا والعجم وقد نشأت عن الاختلاف الذي وقع بين مستخدمي الحكومة وسفير انكلترا في طهران وقد انتصرت الجنود الانكليزية في مواقع متوالية في جنوبي البلاد ثم عقد الصلح في سنة ١٨٥٧ ووقع على المعاهدة في باريس وحصلت انكلترا على ما كانت تطلبه .

وفي سنة ١٨٦٤ تخلت انكلترا لليونان عن جزائر ايونيا وفي تلك السنة طلبت بلجيكا مساعدة انكلترا على بروسيا والنمسا ولكن ذلك لم يعد بطائل .

وفي سنة ١٨٦٨ زحفت الجنود الانكليزية من الهند على بلاد الحبشة وافتتحتها وانقذت رعاياها من الاسر ثم تركتها مضطرة

ولما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ لزمت انكلترا الحيادة التامة .

وفي وزارة اللورد بيكونسفيلد ابتاعت انكلترا اسهم قنال السويس من الخديوية المصرية

ولما عادت الحرب بين الروس والعثمانيين حمل هـذا الوزير انكلترا على التداخل في تلك الحرب فارسلت اسطولها الى الدردنيل لصد الروس عنه وقد كابدت الدولة العلية من جراء هذه الحرب خسائر جمة بين مال ورجال وبلاد ثم عقدت معها انكلترا معاهدة خصوصية ضمت اليها بمقتضاها جزيرة قبرص وفي عهد وزارة بيكونسفيلد اشتدت المجاعة في الهند وقد ادخل هذا الوزير انكلترا في مسائل كثيرة افضت الى استعفاءه في آخر حياته فأسندت الوزارة من بعده الى المستر غلادستون ، تقلب قبل ذلك في الوظائف وعين وزيراً الى المالية في وزارة پامرستون فنجحت البلاد بادارته المالية نجاحاً غريباً واوفت نحو ٧٠ مليوناً من الجنيهات في تسع سنوات .

وفي عهد وزارته تقدمت انكلترا ورأت نجاحاً عظيما فوضع قانون التعليم العمومي فيها واصلح قانون الانتخاب ونظم الجندية . ولما عرض في سنة ١٨٧٣ اصلاح امر التعليم في مدارس ايرلاندا ليرضى بذلك كلاً من البروتستانت والكاثوليك رفض المجلس طلبه فاستعفى وزملاؤه ثم عاد اليها في سنة ١٨٨٠ وظلّ متربعاً فيها الى سنة ١٨٨٥

وفي عهد وزارته حصلت الثورة العرابية واحتلّ الانكليز مصر وكان هو اول منادٍ بوجوب جلاءهم عنها آجلاً او عاجلاً . ولما طلب من البرلمان منح ايرلاندا الاستقلال الاداري ساء طلبه هـذا الاعضاء وانفصل عنه اعوانه واتفقوا مع المحافظين على اسقاط وزارته فأسندت الوزارة بعده الى اللورد

روزبري ثم عادت الى سلسبري . وفي عهد وزارته ثار على الانكليز فى الهند بعض القبائل من أشهرهم قبائل الافريديين قاوموا الجنود الانكليزية اشد مقاومة حتى عجزوا وانخذلوا تماماً .

واعتصب الميكانيكيون فاهتمت الحكومة باخماد ثورة هذا الاعتصاب كما اهتمت بالجندية وزيادة عددها وقوتها لتقدر على القيام بما تطلبه املاكها الواسعة .

وفي عهده كانت المسألة الكريدية والمراقبة على مالية اليونان رأس المسائل العمومية التي تتجاذبها السياسة وتتنازعها عوامل الحل . ثم بدا التسابق بين الدول فى الصين كما ظلّ في افريقيا مدة سنين كل دولة منها كانت تسعى الى جر مغنم واكتساب نفوذ تجاري وتملك موقع حربي . وقد نالت انكلترا بعض الفوز وتحصلت من امتيازات انشاء السكك الحديدية واستخراج المعادن ما لم تحصل عليه دولة اوروبية سواها .

وفي عهد وزارته تشعبت المسائل الاستعمارية في افريقيا تشعباً لا مثيل له حتى اصبحت من اهم المشاكل السياسية . وقد اشتد النزاع فى القسم الجنوبي من هذه القارة وقامت الحروب على قدم وساق فى الترانسفال وفي بلاد المتاييل وعلى ضفاف نهر اورنجه والكونغو وزمبيزة وفي جزيرة مدغسكر .

وفي ايامه اشتركت الجنود المصرية والجنود الانكليزية في سحق فوة التمايشي وامتلاك الخرطوم وام درمان واخضاع السودان وتدويخه .

ووقع الخلاف بين انكلترا والولايات المتحدة على مسألة فنزويلا وكاد

يقع الحرب بينهما لولا ان فصل الخلاف بالتحكيم .

وكانت مسألة النيجر هي مسألة الخلاف بين فرنسا وانكلترا على البلاد الواقعة وراء لاغوص فعقد لحلها مؤتمر وسوى الخلاف ثم جاءت حملة بوشان وتلتها حملة مرشان واحتلاله فشوده فعاد الخلاف بين المملكتين ثم عقدتا معاهدة اخيرة على تحديد املاك كل منهما في القارة الافريقية وبمقتضى هذه المعاهدة ايدت انكلترا حقوقها ونفوذها على وادي النيل كله من منبعه حتى مصبه .

وجملة القول ان ملك الانكليز كان في عهد سلسبري على تنور من حديد حمي تحته الوطيس وتأجج . وبالرغم عن هذا وذاك فان انكلترا توخت الانفراد بنفسها بينما كانت اوربا متمالأة بالمتحالفين ومنقسمة بقوتها الى شطرين شطر تحالف الروس والفرنساويين . وشطر تحالف الالمان والطليان والنمساويين فغدت باعتزالها قوة ثالثة وقضت ثلاثة اعوام وهي في هذا الموقف تعتز بشديد قوتها وعظيم سطوتها . ولم يكن لها في انفرادها وحيادها سوى ثلاثة حلفاء امناء لم يخونوها ولم يتخلفوا عنها . وهم الزمن والمال والصبر

« اليوبيل الالماسي »

والمدة التي ملكتها الملكه هي اطول مدة ذكرت في تاريخ انكلترا وكان جدها جورج الثالث قد بلغ اطول مدة ملكها ملك من ملوك الانكليز فانه ملك مدة ٥٩ سنة كاملة و٩٨ يوماً ومع ذلك فالعشرة سنين الاخيرة من ايامه توكل ابنه عنه فيها نظرا لبله اعتراه وقد ملك هنري الثالث على الانكليز ٥٦ سنة وملك ادوار الثالث ٥٠ سنة

وبلغ الامبراطور فرانسو جوزف (عند وضع هذا الكتاب) السنة الخامسة والاربعين لملكه ولكن اطول مدة عرفت عن ملك انما هي المدة التي ملكها لويس الرابع عشر ملك فرنسا من سنة ١٦٤٣ الى سنة ١٧١٥ اي مدة ٧٢ سنة وتوفى وله من العمر ٧٧ سنة مع ان سن الملكة فيكتوريا وصل الآن الى ٨٠ سنة . حيوة طيبة كلها رغد ونعيم وسعادة وغبطة لنجاح شعبها

وفي سنة ١٨٨٨ احتفل الانكليز وسائر الامم والطوائف المستظله بحماية الاسد البريطاني بعيد حافل لمرور خمسين عاماً من يوم تبوئها اريكة المملكة الانكليزية فاستقبلوا ذلك اليوم رافعين الرؤوس واعدوا الحفلات الباهرة وضمنوها كل مظاهر العظمة والابهة مما علق في الاذهان ولم يبرحها حتى مضت عشر سنوات فاحتفلوا بعيد آخر حافل في ٢١ يونيو سنة ٩٨ وهو اليوبيل الالماسي لمرور ٦٠ عاماً زاهراً باهراً من سني ملكها عداد ايامه خيرات على الانكليز متتابعة الحلقات متسلسلة البركات مقفى بامتداد السلطه وواسع العظمه وقد اشترك في هذا الاحتفال سكان المستعمرات الانكليزية وارسلت دول الارض الى لوندرا الامراء والوزراء والسفراء لينوبوا عنها في ابداء شعائر التهاني والولاء

وقد ابتدأ الاحتفال في التاسع عشر من شهر يونيه وسار الموكب في انحاء العاصمة الانجليزية واقيمت صباح الاحد الصلوة في الكنائس والمعابد ورفع الشعب برمته الشكر لله على ما تمّ له في هذه الستين سنة .

وفي مساء الاثنين حضرت الملكة في قصر بكنهام الوليمة التي أُعدت للامراء والسفراء الذين حضروا من اطراف الارض لمشاركة الامة الانكليزية

بمظاهر هذا الاحتفال .

وما انشق فجر يوم الثلاثاء وهو يوم الاحتفال الرسمي حتى تفرّقت رجال الضبط والربط في شوارع المدينة وطرقاتها وتقاطرت الجماهير المختلفة وازدحمت المناكب بالمناكب . وكان الاحتفال منقسماً الى قسمين موكب المستعمرات وفيه فرسانها ومندوبوها وموكب المملكة وفيه قواد الجيوش ونواب الدول والامراء واعضاء العائلة المالكة ثم مركبة الملكة تجرها ثمانية من الجياد وعن يمينها ولي عهدها ودوك كنوت وعن يسارها دوك كمبريدج وامامها زوجة ولي العهد والبرنسس كرستيان . يتقدم مركبتها اربعون اميراً على صهوات الجياد المطهمة بافخر الحلي والحلل

ولما سار الموكب في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم المعهود اطلقت المدافع وصدحت الموسيقات وارتفعت اصوات تلك الخلائق بالدعاء والتهليل حتى وصل ساحة تمبل بار فتقدم محافظ لوندرا ورفع لها التهنئة باسم المدينة ثم امتطى جواده وسار بين يديها وظل الموكب على مسيره والجموع تزدحم في كل المسالك والكوى والشرفات حتى وصل الى كنيسة ماري بولس حيث تقدّم لاستقبالها رؤساء الاساقفة وكبار المملكة وربات المجد وعقيلات العلاء واقيمت الصلوات وصدحت الموسيقات وارتفعت اصوات الابتهال والدعاء حتى وصلت الى عنان السماء .

وفي تلك الليله زينت المدينة بالانوار المختلفة الالوان واستقبلت الملكة امراء الاساطيل واستعرضت امامها البوارج الحربية فكان منظرها في عرض التاميز مما يأخذ بالبصر وكان استعراضها اعظم ما جرى في هذا

الاحتفال الذي كان مشهوداً مشهوراً دعيت اليه أمم الشرق والغرب وعظماء الارض وكبراؤها ففصت بهم ضفاف التامیز كما كانت ضفاف التيبر تغص قدماً بالنازلين عليها ليشاهدوا مجد رومه وعظمة القياصرة

ولم يكن ابتهاج الانكليز جميعهم بذلك العيد يقتصر على مولاتهم فقط بل كان ذلك راجعاً الى ازدهاء انفسهم وافتخارهم بما نالته دولتهم في هذه الستين سنة من امتداد السطوة والجاه وانما جعلوه باسم الملكة لانها راسهم الاعلى وهم الاعضاء العاملون .

« ارتقاء مملكتها في عهدها »

وقد شهد العالم اجمع انها استخدمت ملكها الطويل العهد لنفع امتها ما استطاعت الى النفع سبيلاً . تولت ملك الانكليز فتاة وهي بين حقوق الزوجية والامومة وعبء الملك والسلطة فلم تهن قرينة ولم تله والدة ولم تذهل ملكة عن مواجب جمة نحو شعبها . نبغ في عهدها افاضل الرجال في كل فن ومطلب فجعلوا الارتقاء سريعاً يشمل كل الاعمال والمعاملات الادبية والمادية .

فقد كان عدد الانكليز في الجزائر البريطانية حين جلست على سرير الملك نحو ٢٦ مليوناً فصار عددهم الآن نحو اربعين مليوناً

وزادت مستعمراتهم في آسيا زيادة تقدر بمساحة الجزائر البريطانيه نفسها وكذلك زادت في جنوب افريقيا وشرقيها وفي انحاء الكرة زيادة عظيمة لا مثيل لها .

وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنه نحو ٧٥ مليون جنيه منها ٥٠ من بريطانيا و ٢٥ من المستعمرات فبلغ الآن ٢٠٠ مليون جنيه منها

١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا والباقي من المستعمرات الكثيرة المنتشرة في العالم .

وكانت ثروة الانكليز تبلغ الالفي مليون جنيه فوصلت الآن الى نيف وعشرة الاف مليون .

واتسع نطاق التجارة فزادت قيمة الصادر والوارد زيادة غريبة فقد كانت في بدء حكمها اقل من ثلثماية مليون جنيه فوصلت الآن الى ٨٠٠ مليون .

واتسع نطاق الصناعة فصار المستخرج من الفحم الحجري في السنة يصل ٢٠٠ مليون طن بعد ما كان ٢٠ مليوناً فقط . وصار المستخرج من الحديد يقرب من ١٣ مليون طن بعد ان كان لا يزيد عن مليون ونصف

كذلك اتسع نطاق المعارف وكثرت المدارس واقبل عليها الطلاب فصاروا يقدرون بستة ملايين بعد ما كانوا لا يزيدون عن نصف مليون وصار ما ينفق عليهم يزيد عن عشرة ملايين جنيه بعد ما كان لا يزيد على مليون واحد .

وقد حافظت انكلترا على السيادة التي كانت لها على البحار قبل ولا تزال للان عمارتها اقوى العمارات رغماً عن سعي الدول الاوروبية في مناظرتها . فعندها الآن من الاساطيل الحربية العظيمة ما ليس لغيرها من الدول الاوروبية تحمي بها السفن التجارية والمستعمرات الكثيرة البعيدة متى تحرّج الامر واقتضت الحاجة

وفي مدتها قام انصار الحق ويسروا على الوضيع مجاراة الرفيع وعمموا

الحرية والمساواة في كافة الانحاء التي يخفق فيها العلم البريطاني حتى صار الناس يقصدون المستعمرات الانكليزية من جميع الاقطار للارتزاق او الاتجار

ولقد كان يتباهى الانكليز بعصر الملكة اليصابات واختها ماري اللتين كانت ايام حكمها زاهية زاهرة . أما الآن وهم اوسع امم العالم سلطاناً وانفذهم كلمةً واعرضهم جاهاً وامتنهم سياسةً واكثرهم دهاء واقواهم نهضةً في الفنون والعلوم والصنائع والمعارف والاختراع فانهم يقولون : كم ترك الاول للآخر . ولا غرو فان عصر الملكة فيكتوريا جامع لكل ما امتازت به العصور الخالية من المزايا الادبية والمادية .

ساد الاسكندر وعظم القيصر واشتهر نابوليون الاول ولكن لم يسد احد منهم على ربع اهل الارض مثلها ولا شيد سلطنةً ضخمةً لا تغرب الشمس عنها مثل سلطانها « ولله ملك السموات والارض يعطي الملك من يشاء »

نظام الحكومة الانكليزية والبرلمان

English Consititution & Parliaments.

الحكومة الانكليزية شورية دستورية يتولى زمام الاحكام فيها الملك او الملكة واليه مرجع الامر والنهى باشتراك نواب منتخبين من اعيان الامة واشرافها ومن اواسطها وعامتها ينوبون جميعهم عنها فيحكمونها برأيها لا برأيهم فتكون سلطة الجميع مرتبطة ببعضها تتمثل في مجلس البرلمان

اما الملك من حيث علاقته بالملك فان له حقوقاً معلومة من اهمها ان الملك ارثي في ذريته من البكر الى بكره وللانثى حق بتاج الملك ايضاً بشرط ان لا يكون لها اخ ذكر والا فهو احق به وان يكن اصغر منها سناً واذا انقرض من البيت المالك البنون والبنات فيكون الاقرب الى وراثة الملك الاخوة وابناؤهم واذا لم يكن لهم ذكور فبناتهم على النمط السالف ذكره فمثلاً جلالة الملكة ڤيكتوريا تولت أريكة الملك سنة ١٨٣٧ بعد موت عمها وليم الرابع ملك انكلترا ولما لم يترك له خلفاً ولم يكن في العائلة ذكراً كانت هي اقرب الناس الى الملك فتولته وهي الآن (حين وضع هذا الكتاب) ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند

والشعب لا يعتبر حق الارث للملك الهياً بل يعتبره خاضعاً لما يطرأ من ظروف الحوادث واحكام الشرع وهو قادر على خلعه وتولية غيره كما كان في سنة ١٦٨٨ حيث التأم اعضاء البرلمان واستدعوا وليم اورانج بعد خلع جمس الثاني ولقبوه ملكاً عليهم وسنوا له عدة قوانين أيدها واثبتها بصفته الملوكية

ولا يباح بالتاج للملك الا اذا كان بروتستنتي المذهب واقسم عند تتويجه ومبايعته بالملك انه يصون شرائع البلاد ويؤيد حقوق الرعايا كما يقسم احد رعاياه عند توظفه بمنصب خطير في وظيفة ادارية او قضائية

وللملك امتيازات كثيره منها ان الاحكام لا تصدر الا باسمه ويقال في طليعة اوامره الرسمية فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وايرلاندا وامبراطور الهند وحامي حمي الدين الخ) وللملك حق الرئاسة على الكنيسة الانكليزيه وتوظيف مناصبها كما يوظف المناصب السياسية

وهو القائد العام لجيوش بلاده يؤتي الوظائف العسكرية براً وبحراً من يراه اهلا ويخص بالرتب السنية والالقاب الشريفة من شاء .

وله حق العفو عن ذوي الجنايات بصفته قاضي القضاة وباسمه تفتح الاعمال العظيمة وتجدد الاسواق وتعين الموازين والمكاييل وتضرب النقود الذهبية والفضية وهو قادر على فتح الحرب او تقرير الصلح ورفض ما يبرمه البرلمان بما يختص بحقوقه الشخصية وله على البلاد راتب عظيم يليق بمقامه الملوكي وهو اعلى مقاما من القانون يقال عنه انه لايخطئ لانه لا يفعل شيئا بدون مشورة وزرائه فهم المطالبون لدي الامة عما يصدر عنه من الاوامر واذا اتى امراً مخالفاً فانهم يستعفون حالا من مناصبهم فتعظم في مثل هذه الظروف مكانتهم في قلوب الشعب

ولولي العهد حق بان يدعى من يوم ولادته بامير والس وان يلقب بالقاب اخرى كثيرة (تراها في ترجمة حياة البرنس اوف ويلس) وولية العهد اذا تزوجت لا يكون لزوجها حق في الملك كيلا تكون مقيدة باميالة

ورغائبه

اما مجلس الاعيان او اللوردة والاشراف ويبلغ عدد اعضاءه نحو ٥٥٠ عضواً فيؤلف من العلماء الروحانيين رؤساء الكنيسة الاسقفية الانكليزية واعضاء العائلة الملوكية وسائر لوردات انكلترا من مواليد الشرف الذين يرثونه وراثة او يرتقون له بالاستحقاق بعد الجهد الجهيد في خدمة البلاد ومن ١٧ لورداً من اسكوتلاندا ينتخبهم نبلاء الاسكوتلانديون في كل سنة ومن ٣٢ لورداً من ايرلاندا ينتخبهم اشراف الجزيرة للنيابة عنهم في مدى حياتهم .

ومن اهم مبادئ مجلس الاعيان البقاء على النظامات الحالية والسير بمقتضاها في داخلية البلاد ومساعدة كل مايوطد دعائمها في خارجيتها وعدم تغيير شيء ما الا ما تمس اليه الحاجة ولذلك اطلق على اعضاءه اسم حزب المحافظين وينضم اليه من حيث المبادئ والآراء حزب آخر يبغى ان تبقى ايرلندا تابعة للمملكة الانكليزية وان لا تنال شيئاً من انواع الاستقلال ولذلك اطلق عليه وعلى حزب المحافظين لقب حزب الاتحاد

ولهؤلاء المحافظين امتيازات عديدة اهمها ان كل مقاطعة حاكمها من لورداتها وليس للملك حق لان يجرد احداً منهم من الالقاب الشريفة او يعزله من وظيفة العضوية او يسجنه لاية علة كانت ولهم ايضاً حق المراقبة على القوانين واتخاذ ما شاؤا من الاجرآت القانونية ماعدا تعيين الضرائب وتعديل العوائد متى احتاج الحال الى ذلك . ولا يصدر عن الحكومة امر وينفذ بدون رضاه واقراره ويحكم في قضايا الاشراف وعلى من يوقفه مجلس العموم وهو يعتبر كمحكمة عليا لجميع محاكم المملكة

اما مجلس العموم او النواب فانه مؤلف من وكلاء الامة ويبلغ عددهم نحو ٦٧٠ عضواً منهم ١٠٦ من ايرلاندا و ٥١ من اسكوتلاندا و ٩ من المدارس العالية وهم ينتخبون من اساتذة الفنون وباقي الاعضاء من انكلترا وشرط العضو ان يكون وجيهاً غير محكوم عليه بما يشين العرض ذا دخل من املاكٍ في المملكة يؤخذ عليها رسماً معلوماً او يكون مستأجراً لمنزل يدفع عليه منذ سنة قبل تاريخ الانتخاب مقداراً معلوماً من المال ويجب ايضاً ان يبلغ من العمر قبل انتخابه في احد المجلسين ٢١ سنة وان يحلف يمين الطاعة للملكه والعمل بشريعة بلاده وان يكون انكليزياً

ومن مبادئ نواب الامة او الاحرار تغيير النظامات القديمة تبعاً للاحوال الحاضرة ومنح الاستقلال لايرلندا وفصلها عن الحكومة الانكليزية وفصل الكنيسة الاسقفية عنها ايضاً ومحو سلطة الاشراف والغاء مجلسهم او تعديل هيئته ونظامه

وينطوي تحت هذا الحزب فئة ليس لها رئيس وانما لها زعماء مشهورون واكثرهم من الاسكوتلانديين وسكان بلاد الغال وهم شديدو التطرف في بعض مطالبهم يتهالكون في سبيل الحرية والمساواة ويبغون انالتهما لكل دولة او امة خاضعة لسيطرة انكلترا تروم الاستقلال بامورها وشؤونها ولهذا كانت العداوة قائمة في صدورهم ضد اللوردات والاشراف .

ومن حزب الاحرار ايضاً حزب العمال وهم الذين لا ينتصرون لهم الا فيما يوافق اغراضهم ومثلهم حزب الايرلنديين (اي نواب ايرلاندا) الذين يبغون استقلال بلادهم وانفصالهم عن انكلترا فيضادون كل وزارة لا توافقهم

على مطالبهم ويقترعون مع الاحرار .

وقد اشتهر من حزب الاحرار ايام وضع هذا الكتاب بعض الاشراف الذين يرون رأيهم فيوافقونهم في مطالبهم وذلك كغلادستون وروزبري والسير وليم هاركورت وهذا ما اعلى مكانتهم في اعين الانكليز

ومن حقوق الاحرار وامتيازاتهم تقرير الضرائب للحكومة لان ما يصرف للحكومة هو من مال الامة ومن العدل ان يكون لوكلاءها حق النظر في ذلك قبل غيرهم

ثم ان من الاصول المتبعة بين المجلسين انه اذا بحث احدهما في امر واقرّ عليه يرسله الى المجلس الآخر فان غير به شيئاً اعيد الى المجلس الاول للاقرار على هذا التغيير ثم ارسل للملك للتصديق عليه فاذا رفضه عد لاغياً وان لم يتفق المجلسان بطل أيضاً المشروع وادرج في خبر كان

وقد نشأ حزب المحافظين والاحرار في عهد حكم الملك تشارلس الثاني سنة ١٨٨٠ لمقاصد دينية واميال طائفية ثم تحولا الى مقاصد سياسية واغراض وطنية وكانا يسميان حزب الطوري وحزب الوك واللفظتان وضعتا في الاصل للاهانة والتحقير وقد انتسختا وقام مقامهما الاسمان الشهيران بحزب المحافظين وحزب الاحرار

ولا ريب بان مجلس البرلمان الذي يضم هذين الحزبين مظهر تجليات الامة الانكليزية بأسرها بل ان تقدمها آل اليها من اعمالهما وما من شيء في الدنيا اعلق في الذهن وابلغ في الدلالة على دقائق السياسة مثل المذاكرات التي تقع فيه من حين الى آخر . ولكل عضو حق الكلام فتبلغ حرية الجدال الحدّ بشرط ان

لا تتخطى حدود الادب

وتحصل الانتخابات الانكليزية مرة في كل ستة اعوام واذا وقع قبل ذلك خلاف بين الحزبين في بعض الامور فيفض الملك المجلس ويعلن للامة رغبته في انتخاب اعضاء آخرين ينوبون عنها ويكون لهذا الانتخاب ايام مشهودة فتقوم اذ ذاك قيامة الجرائد وتنبث خطباء الطرفين في انحاء المملكة فلا يكاد يلقي زعيم خطاباً حتى يعلو المنابر زعيم آخر مندداً بما قاله ذاك زاعماً ان حزبه هو المحق فيما يأتيه وتكثر الاجتماعات وتطول المفاوضات في الامور المختلف عليها وهكذا حتى يتم الفوز لاحد الحزبين ويجتذب الاضعف اليه فينصاع لمبادئه التي قرَّرها طوعاً او كرهاً ويتم وقتئذٍ الانتخاب ويجتمع النواب في نادي البرلمان في لوندن فاذا كانت الوزارة من مبادىء الحزب المنتصر بقيت على حالها والا استعفت فيكلف قائد المجلس بناءً على طلب الملك بتشكيل وزارة جديدة تظل تحت مراقبة البرلمان وهاك بيانها

رئيس الوزارة

١ رئيس مجلس الشورى الخاص
٢ المستشار القضائي
٣ المهردار او امين الختم
٤ مستشار ولاية لانكاستر
٥ وزير المالية
٦ وزير الداخلية
٧ وزير الخارجيه
٨ وزير المستعمرات
٩ وزير الحربيه
١٠ وزير الهند
١١ وزير البحرية
١٢ ناظر الخزينه
١٣ وزير التجارة
١٤ رئيس مجلس الحكومة المحلية

١٥	حكمدار ايرلندا	٢٠	ناظر البريد
١٦	مستشار وزارة ايرلندا	٢١	وزير ايرلاندا
١٧	وزير اسكوتلاندا	٢٢	وزير المعارف
١٨	وزير الاشغال العمومية	٢٣	وكيل وزارة الخارجيه
١٩	وزير الزراعه	٢٤	النائب العمومي

ويبلغ راتب الوزير الانكليزي في العام خمسة آلاف جنيه

دين انكلترا ودخلها وصرفها

Egland's Debt. Its Income and Expenditure

ان الممالك كلها مدينة بديون عظيمة فادحة بلغت الدرجة القصوى في هذه السنين الاخيرة

يبلغ مجموع ديونها (عند وضع هذا الكتاب) ما يزيد على ٤٧٥٠ مليوناً من الليرات فاذا وزع هـذا الدين على عدد النفوس كان كل آدمي على وجه الارض مديوناً بنحو ٣ ليرات

ومنشأ هذه الديون متنوع والحظ الاوفر منها للحاجات العسكرية فقد تضطر الدولة المحاربة الى الاستدانة اما لشراء المهمات الحربية والذخائر والعدد والآلات لادارة رحى الحرب او لدفع التعويضات والخسائر والغرامات الحربية ان دارت عليها الدائرة ولم يتيسر لماليتها دفع اللازم لسد تلك المطالب قال بعض المؤلفين :

وهذا الدين على الدول هو من قبيل لجام للرعية يكبحهم عن المعامع والفتن فان الدائنين الذين هم بالضرورة وجوه اهل البلاد واغنياؤهم لا يرضون بانقلاب الدول مخافة ان يؤول الحكم الى الرعاع فيحرموا منه . ومعلوم ان غنى الدولة يكون من غنى رعيتها وسعادتها من سعادتهم فدينهم مأمون لهم يأخذون فائدته مادامت الدولة قائمة

ودين انكلترا (نقلا عن جريدة الفيجارو الشهيرة) يبلغ ٤١ ملياراً وخمسمائة مليون من الفرنكات (وهو اكبر من دين الحكومة المصرية ١٦ مرة) الا انه يدخل في هذا العدد دين الاقطار الهندية والمستعمرات الانكليزية ويبلغ وحده خمسة وعشرين ملياراً وهي تسدد ديونها في كل عام وقد وجد ان الدفعات السنويه التي تدفعها هذه الحكومة لدين بريطانيا وايرلاندا البالغ ١٦ ملياراً و ٥٠٤ مليوناً من الفرنكات وصل الى ٦٢٤ مليوناً من الفرنكات

وقد بلغ مجموع الدين الذي تسدد من ديون المملكة في عهد جلالة الملكة ڤيكتوريا نيف ومائة مليون جنيه فالدين الانكليزي ينقص نقصاً واجباً في كل عام .

ودين الجمهوريه الفرنساوية يبلغ ٣٠ ملياراً و ٤٨١ مليونا من الفرنكات تقريبا .

واما دخل انكلترا فهو من بريطانيا العظمى وايرلاندا لا دخل لبقية املاك انكلترا فيه وهي لا تأخذ مالا من مستعمراتها الواسعة الشاسعة ولا تضرب عليها الجزية وانما تضطر غالباً لان تنفق الاموال الكثيرة في سبل فتحها واستعمارها وتنظيمها وتمدينها بعد خلالها وهمجيتها حتى تمكنها من حكم

نفسها بنفسها. فكم من قناطير مقنطرة صرفتها للاستيلاء على البلاد الهندية وغيرها. وكم من اموال بذلتها لزيادة عمارتها وتقويتها بغية حفظ مستعمراتها لرواج تجارتها .

ويقرب مجموع دخلها في العام لوحدها ما عدا املاكها ومستعمراتها ١١٠ مليون جنيه

من رسوم الجمارك	نحو ٢٠	مليون جنيه
ومن رسوم اوراق التركات والوفيات	« ١٥	« «
والزواج والتسجيل والعقود وما يشبه ذلك		
ومن ضرائب الاملاك والايراد	« ١٣	« «
« مصلحة البوستة	١١	«
« « التلغراف	٣	«
« ضرائب المسكرات والدخان	٨	
« التمتع بالحرف	٣٨	«

ومما هو حري بالذكر ان ما تحصله انكلترا من الرسوم الجمركية قليل جداً بالنسبة الى ماتحصله بقية الدول الاوروبية والسبب في ذلك انها لا تضرب رسوماً على الواردات الداخلة بلادها الا اذا كانت من المسكرات او ادوات الترف وكل مأكول او مشروب اومابوس (ماخلا الشاي والقهوة ونحوهما) واعظم موارد ثروتها تجمعه من ضرائب الخمور والمسكرات اما ضريبة الايراد فلا تفرضها الا على الذين يزيد ايرادهم عن ٤٠٠ جنيه في العام وهي قابلة للزيادة كلما حصل في الميزانية نقص .

على ان دخل هذه الدولة اقل من دخل غيرها من الدول العظمى مثل فرنسا التي يزيد دخلها عن ١٥٣ مليون جنيه والروسيا التي يقدر دخلها بنيف ١٤٠ مليون جنيه

فانكلترا لاتجمع الا ما يلزم لنفقات حكومتها وما كان على قدر حاجتها فان شاءت زيادته زادته من مال الاغنياء بدون ان تمس المعوزين بسوء . وقلّ ان يخلو دخلها من زيادة عن المنصرف مع ما تسده من ديونها واما فرنسا فقلما يمضي عليها عام من غير عجز في ميزانيتها ومثلها الروسيا وماذلك الا لكون مصاريفهما اكثر من ايرادهما فديونهما تزداد كل عام

وتدفع انكلترا نحو ٢٥ مليون جنيه كل عام ربا ديونها وروسيا نحو ٤٠ مليوناً رفرنسا نحو ٥٠ مليوناً وايطاليا ١٨ مليوناً ومصر نحو ٥ ملايين والمانيا نحو مليون وربع فقط

واذا وضعت انكلترا الضرائب على الايراد فيمكنها تسد عجز الميزانية من فضل الموسرين فقط ولان مدينة لوندن وحدها تدفع نصف الضرائب في العام

ومصاريف الحكومة الانكليزية متنوعه اهمها ٢١ مليون جنيه تنفق على الجيش بفروعه و ١٦ مليون ونصف تنفق على البحرية و ٢٩ مليون جنيه تنفق على دوائر الحكومة واعمالها الاميرية و ٤ ملايين جنيه للمحاكم والبوليس ومستشفيات المجانين ومصاريف التسجيل والعقود ورواتب العمال ثم ٩ ملايين تنفق على العلم والمعارف يخصص منها ٥٠ الف جنيه للمتحف البريطاني الشهير ثم ستمائة الف جنيه لمعارض الفنون الجميلة و ٢٤٠ الف جنيه لسفراء الحكومة ووكلائها ونفقات مساكنهم وما يتبع ذلك من المصاريف

الكثيرة ونحو ٥٧ الف جنيه لالغاء التجارة بالرقيق ونحو ١٣٠ الفاً اعانةً لبعض مستعمراتها واملاكها التي لا يفي ايرادها بنفقات حكومتها وزهاء ٥٠ الفاً لاعانة الشركات التلغرافيه ونحو ١٣٠ الفاً لجمعيات العلماء الباحثين . ثم ستمائة الف جنيه لراتب الملكة وافراد عائلتها ونفقات اهل بلاطها ورجال بطانتها . وتبلغ قيمة الصادر من انكلترا ٤٠٠ مليوناً من الجنيهات والوارد اليها ٤٨٠ مليوناً . فهذا هو اهم مايهم معرفته من دين انكلترا ودخلها وصرفها مما اوصلها لى درجة الثروة والشوكة والعمران الممتعه بها الآن

قوة انكلترا البحرية

Navy

توسع انكلترا في الغزو والاستعمار يقضي عليها بان تكون سلطانة البحار ذلك لان مستعمراتها واملاكها العديدة التي لا تغيب الشمس عنها تدعوها الى تمام التيقظ ودوام الحذر . فهي تعلم ان الدول جمعاء كبيرها وصغيرها تغبطها على هذا الملك الواسع بل وتحسدها عليه وتود لو يكون لها بعض ما لانكلترا من الممالك والاقطار لتستغل خيرها وارزاقها وثروتها وترسل اليها ابناءها لاستثمار ارضها وللاستئثار بمتاجرها وبسط نفوذها وسلطانها عليها وانكلترا تعلم ذلك ولذا تراها شديدة الحرص على املاكها وابقاءها تحت سيطرتها فان لها من الاساطيل البحرية ما هو كافٍ لحفظها من خطر يداهما او عدو يفاجئها فلا يخلو بحر او شاطئ من سفنها الحربية وبوارجها تمخر عباب البحار لا تترك مكاناً الا وتحل فيه ووراءها من معدات الحرب والدفاع ما ينبئ العالم ان في تلك البوارج من آلات الدمار ما يدك الحصون الضخمة

ويدمر الرواسي العظيمة .

والانكليز خبيرون في خوض البحار من قديم الزمان وقد وصفهم احد كتاب الرومانيين لما طرقوا جزيرتهم بانهم يسبحون في الماء كالاسماك ويتنعون بالبحر كأنه لهم مهد نشأوا وربوا في حجره فولعوا به حتى تملكوه مع تمادي الايام .

ولا يخفى ان الاساطيل الانكليزية كانت في حروب دائمة مع فرنسا واسبانيا وهولاندا والدانيمرك واسوج . وأشهر الوقائع التي فازت بها انتصارها على ارمادا اسبانيا التي كانت مؤلفة من ١٣٠ بارجة حربية وبوارج اخرى لنقل المهمات ثمّ فازت في واقعة ابي قير وترافلغار وكوبنهاغن وسنت فانسان وغيرها .

وفي انكلترا معامل كثيرة لانشاء السفن البحرية الحربية والتجارية ومدارس عديدة منها مدرسة كرينوش التي ربي فيها نلسن وبنيت هذه المدرسة في هذه المدينة تذكاراً للواقعة الحربية البحرية التي انتصر فيها الاسطول الانكليزي تحت قيادة الاميرال رسل على الاسطول الفرنساوي الكبير الذي قدم انكلترا لافتتاحها .

وانكلترا لا تزال تدأب على بذل النفقات الباهظة في انشاء البواخر العظيمة والسفن الحربية الى ما لا نهاية فقد بلغت ميزانيتها السنوية عن عام ١٨٩٨ (٢٦٥٩٤٥٠٠) جنيه اي ٧٦٠ مليون فرنك ولم تبلغ ميزانية الحكومة في وقت من الاوقات ما بلغته اليوم ففي عام ٨٦ كانت ١٣ مليون جنيه . ومن سنة ٩٥ زادت هذه الميزانية من ١٥ مليوناً الى ٢٧ اي ضوعفت .

وذلك لما رأت ان الدول كلها تهتم في بحريتها فاهتمت بان تجعل عدد سفنها اكبر واعظم السفن .

وقد بنت في مدة عشرة سنوات اثنتي عشرة بارجة محمول كل بارجة منها خمسة عشر الف طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً في الساعه ويمكنها ان تقيم في عرض البحر مهما كان النوء شديداً ولا تضطر ان تلجأ الى مرفاء . وليس في اساطيل الدول الاوروبية والاميركية كلها ست بوارج مثل هذه . ومدافعها من احدث المدافع المصنوعة من اسلاك الفولاذ وثقل المدفع منها ٤٦ طناً وثقل قنبلته ٨٥٠ رطلاً اذا اصابت حائطاً من الفولاذ سمكه متر خرقته كما تخرق الرصاصة لوح الخشب الرقيق

وقد وضعت في سنة ١٨٩٥ باخرة هي الآن اسرع البواخر لاتلاف قوارب الطوربيد تسير في البحر ٣٢ ميلاً بحرياً ولها قوة ٣٣٠٠ حصان .

والطوربيد من اختراعات الاجيال الماضية استعمله اولاً الاميركان في حروبهم الاهلية ثم اخذته عنهم بقية الدول وحسنته واضافت اليه استعمال الكهربائية وهو عبارة عن وعاء تحت الماء بحجم قارب فيه مواد متفرقعه فاذا قرب الى بارجة واشعلت المواد تفرقعت حالاً ودمرت البارجة وتستعمل هذه الآلة الجنهمية في تحصين المرافئ وفي الهجوم على الاعداء وكانوا قبلاً يرمون المواد من ظهر البارجة اما اليوم فيرسلونها تحت الماء وقد اخترعت وسائل كثيرة لحماية البوارج من التوربيد منها وضع شباك حول البارجة حتى لا يدنو منها شيء والتوربيد يزيد قوة بتقدم العلوم الطبيعية وباكتشاف المواد الملتهبة .»

وقد امتازت سنة ١٨٩٨ بزيادة ما بني فيها من السفن الحربية والتجارية فقد بني في مدى هذه السنة ٨٠٢ سفينة منها ٧٦١ تجارية وحمولتها ١٣٧٧٥٧٠ طناً و ٤١ سفينه حربيه حمولتها ١٩١٥٥٥ طناً . ومن هذه السفن التجارية ٧٤٤ حمولتها ١٣٦٣٣١٨ و ١٧ سفينه شراعيه حمولتها ٤٢٥٢ طناً فقط .

ومن هذه السفن اجمعها ٦١٤ سفينه للانكليز والايرلنديين والاسكتلانديين و ١٢ للمستعمرات الانكليزية والباقي لدول اجنبية فيتضح من ذلك ان مابني في انكلترا وحدها في بحر هذه السنة يزيد عن ما بني في العالم اجمع بكثير .

ولدى انكلترا اكبر باخرة مخرت عباب البحر الى الآن وهي باخرة اوشانيك طولها ٢٠٩ متر وعرضها ٧٥ر٢٠ وعمقها ١٥ متر وحمولتها ٢٨٥٠٠ طن وبها مخادع تسع ٤١٠ مسافرين من الدرجة الاولى و ٣٠٠ من الثانية والف من الثالثة وذلك بخلاف مستخدميها البالغ قدرهم ٣٥٠ . وهي تسافر بين انكلترا وامريكا فتقطع المسافة في ٦ ايام فقط

هذا وعند انكلترا ما عدا بوارجها الكثيرة : السفن البخارية العديدة ومراكبها التجارية التي تحميها بالمدرعات والطرادات الكثيرة وتحولها الى بوارج حربية اذا مست الحاجة . ولديها اسطول سيار شرعت في انشائه هذه السنين الاخيرة وكانت تشتغل (عند وضع هذا الكتاب) بانشاء السفن التي يسهل مرورها بقنال السويس بسرعة ٣ ميل في الساعة

ويبلغ عدد جيشها البحري ٩٥ الف جندي وهي تنوي بان تجعله (١١٠٦٥٠) كل ذلك لتحفظ لنفسها السيادة على البحر فيقوى اسطولها على

اساطيل كل الدول وتحطيمها اذا اجتمعت عليها. « فانَّ من ملك البحر ملك تجارة العالم ومن ملك تجارة العالم ملك ثروته وبالتالي العالم نفسه »

﴿ جيش انكلترا ﴾

ويبلغ عدد جيش انكلترا العامل ٢٢٢٣٧٥ والاحتياطي ٧٨٧٩٨ والرديف ١٠٧٧٥٣ ومجموع الكل ٤٠٨٩٢٦

الزراعة

Agriculture

مثل الزراعة بانكلترا اليوم مثل عود اعتوره زواء وذبول اثر هبوب ريح سموم بعد ان كان اخضر زاهياً زاهراً وذلك لان الزراعة كانت بانكلترا في القرن الثامن عشر موضوع اهتمام الامة الانكليزية باسرها وكان لها من رجال الدولة وولاة امور الحكومة نصراء عديدون ساعدوا كثيراً في تمهيد سبلها الوعرة ففتحوا للزراع ابواباً وذلَّلوا لهم المصاعب حتى امسى الفلاح الانكليزي اسعد حظاً واهنأ بالاً وارغد عيشاً من فلاحي الاقطار الأخر

ولما اقبل القرن التاسع عشر هبت ريح عاصفة على ذلك العود الذي يمثل الزراعة الانكليزية فاذواه واجفه بعد ان كان ليناً خضلاً وما تلك الريح الا واقعة واترلو الشهيرة التي كانت ضربة قاضية على شوكة الامة الفرنساوية والزراعة الانكليزية لانه عقب ان استتب الامن والسلام في اوروبا ونفي نابوليون الاول في جزيرة سانت هيلانه هبطت اسعار المحصولات الانكليزية هبوطاً افلس مزارعيها فلجأوا الى بيع ما عندهم والاستدانة لدفع ديونهم

ويدلك على ضنك الفلاح الانكليزي وشدة حاله بعد الرخاء نقصان عدد الزراع بها فقد دلّ الاحصاء ان عددهم بلغ في سنة ١٨٩٠ ١٫٣٣٧٫٣٢٣ نفساً وقد كان عددهم ضعف ذلك قبل هذه السنة بمائة عام وكذلك اذا استخرجنا نسبة زراع انكلترا لعدد سكانها في سنتي سنة ١٧٩٠ وسنة ١٨٩٠ تظهر لك حقيقة ما تقدم باجلى مظهر ففي سنة ١٧٩٠ كان عدد الزراع خمس سكان انكلترا واخذ في التناقص والقلة حتى هبط في سنة ١٨٩٠ الى جزءٍ من خمسة وعشرين جزءاً

ومما بعث الزارع الانكليزي على ان يهجر الفلاحة ويلجأ الى غيرها من الصنائع والحرف زيادة اجور الارض ونقصان كراء الفلاح فمن سنة ١٨٥٤ الى سنة ١٨٧٩ زادت قيمة ايجار الارض اكثر من الربع في المائة وكذلك كراء الفلاح انخفض انخفاضاً فاحشاً من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٨٥٠ والمزارع تشغل مساحة عظيمة من ارض انكلترا الا انها لا تنبت من المزروعات سوى ما يفي بحاجة الثلث من سكانها وقد قدرها اولو الدراية والخبرة اخيراً فوجدت انها على نسبة ٨٠ في المائه من السطح الكلي لها وتليها مزارع ايرلاندا فبلاد الغال فايقوسيا

امامزارع الاولى فنسبتها من السطح الارض الكلي تبلغ ٧٤ في المايه والثانيه ستون والثالثه ٢٨ فقط

وزراعة الغلال والبطاطس تشغل اربعة عشر مليوناً اكراً (والاكر يساوي ٤٠ آر ونصف والآر يساوي مائة متر مربع) للقمح منها مليونان وستمائة الف وللشعير مليونان وثلاثمائة الف وللجويدار ثلاث ملايين وللكتان ١١٨ الفاً

منها ١١٣ الفاً بايرلانده ولحشيشه الدينار (الزرع الذي تعمل منه البيرا) ٦٥ الفاً وتشغل المروج الصناعيه ستة ملايين اكر ومسطح ما للمراعي خمسة وثمانون مليوناً

وكان بانكلترا اجمات كثيرة متسعة الا ان ايدي التلف عبثت بها ولم تبقِ منها غير اثنتي عشرة اجمة اشهرها اجمات ها مشير (اي الاجمة الجديدة) وجلوسستر وثروود (نوتنجهام) واشهر اشجار هذه الاجمات البلوط والحور والدودار والبقس وغير ذلك .

اما بالنظر الى تربة ارض انكلترا فانها تعلو على الوسط وبمقارتها بارض فرنسا نجدانها تفوقها جودة وخصوبة فقد ورد في كتاب احد مشاهير رجال فرنسا المسيو ليونس دولاڤرن معدل ما يكسبه الاكار الانكليزي من الهكتار الواحد يبلغ مائتي فرنك (٢٠٠) وان معدل ما يكسبه الفلاح الفرنساوي من المساحة نفسها لا يزيد عن مائة نفس فرنك

وروي ايضاً ان معدل ما ينتجه الهكتار الواحد من الارض الفرنساوية لا يزيد عن ١٢ او ١٣ هيكتولترا من الغلال بخلاف الارض الانكليزية فان الهكتار منها تنتج من ٢٤ الى ٢٥ هيكتولترا اذا اعتنى الفلاح بتسميده واجاد في فلاحته .

معادن انكلترا ومعاملها وصناعتها

Mineral Weslth Factories and manufactured Goods

امتازت بريطانيا العظمى عن سائر البلاد الاوروبية بصناعتها العظيمة وبمحصولاتها المعدنيه لان الاحصاآت السنويه دلت افصح دلالة على ان كمية المعادن والفحم التي تصدرها تفوق بكثير ما تصدره غيرها من البلاد الاروبية . وقد شوهد ان اكثر البلاد ثراً فيما تواريه اراضيها من الاموال الطبيعية بلاد الصين لان الصين مع اتساعها الهائل قد حوت من المعادن والخيرات ما لا يستطيع يراع الكاتب وصفه ولا حصره ولا سيما وان ارضها عذراء لم تعبث بها ايدي التلف ويلي الصين في كثرة الاموال الارضية الولايات المتحدة الاميريكية وبعدهما البلاد الهندية ثم بريطانيا العظمى

واشهر مستخرجات انكلترا الفحم الحجري والحديد والرصاص والقصدير والنحاس والملح غير ان اقتى وانفع سائر المعادن للانكليز من المعادن النفيسه الحديد والفحم اذ لولاهما لم يتأت لهم انشاء البواخر والسكك الحديديه وغير ذلك . وليس كل البلاد التي فيها معادن الذهب والفضه اقتى من غيرها فان من المعادن ما تقوم نفقة استخراجه بفائدته فلا يحصل منه نفع الا مجرد الافتخار بوجوده وانما العمدة على سهولته وانشائه وقلة مصروفه فالحديد مثلاً يسهل صنعه في تلك البلاد لما أُحدث فيها من افران الهواء بواسطة لهيب النار المنبعث من فحم الحجر فيحمى بها وهو تبر ثمّ يصفى ويجعل قضباناً مسبوكة من دون فحم ولا مطرقة وبالجملة فالحديد والفحم يشغلان المرتبه الاولى من مستخرجات البلاد وتشغل مناجمها مساحة تبلغ ٢٣ الف كيلو متر وفيها يشتغل

ما ينيف على الخمسمائة الف عامل ويزيد محصولها السنوي على المليارين من الفرنكات . ومعادن الفحم ليست منحصرة في بقعة واحدة من بريطانيا العظمى بل هي متفرقة في انحاء المملكة ويبلغ عددها نحو ٣٨٠٠ معملاً ويفاخر بها الانكليز ويفضلونها على كل مالهم من الاملاك الواسعة والمستعمرات الكثيرة الشاسعة وقد قال احد مؤلفي الانكليز بهذا الصدد : رأيت ذات يوم وانا على شاطىء نهر التين ثلثمائة سفينة سارت في آن واحد لجهات مختلفة من المعمورة تحمل الالماس الاسود اعني الفحم الحجري . فقلت لمن بجانبي ان هذه السفن بما تحمله لاعظم قيمة ونفعاً مما لو كانت حاملة ذهب اوستراليا اوفضة مكسيكا او الماس حكومة الراس . ولا عجب فيما قال هذا المؤلف لانه لولا الفحم لما قامت للصناعة قائمة فهو من اعظم مصادر ثروة البلاد .

واشهر المناجم الفحمية هي منجم نورثمبرلند فى شمال انكلترا يصدِّر ما يستخرج منه بواسطة ثغر نيوكاسل الشهير ومنجم لانكشير حوالي ليفربول ومنشستر وبلاك كانتري اوالبلاد السوداء وهي عبارة عن اقليم بوركشير وستافوردشير وقد سميت كذلك لان ما فيها من الفحم يجعلها على الدوام سوداء مظلمة ثمّ مدن جنوب بلاد الغال التي تصدر المستخرج منها بواسطة ثغر كارديف ويقدر ان الموجود من الفحم في بلاد الغال يكفي بحاجة الصناعة الانكليزية على نسبة المقدار الذي يصرف منه الآن

اما مقدار ما استخرج من هذه المناجم في سنة ١٨٧٣ فيبلغ ١٢٧ مليون طن وبعد ذلك زاد المقدار الى ١٣٣ مليون طن وفي سنة ١٨٨٠ وصل الى ١٤٦ مليوناً وبلغ ١٦٢ مليوناً فى سنة ١٨٨٧ وبلغ الصادر منه في تلك السنه ٢٤

مليون ونصف تقريباً . ويبلغ الآن مقدار الخارج من هذه المعادن سنوياً ١٩٠ مليون طن وهو مقدار ما يخرج من ممالك الارض اجمع

اما الحديد الذي يصدق عليه ان يسمى جوهر الجواهر فقد كان يجلب الانكليز جلّ لوازمهم من المصنوع منه قبل سنة ١٧٨٣ من سواحل بحر البلتيك اما الآن فهم يصدرون منه الى الخارج اكثر بكثير مما كانوا يفتقرون الى جلبه سابقاً من البلاد الاجنبيه ففي سنة ١٧٤٠ كان بريطانيا العظمى ٦٠ فرناً عالياً لعمل الحديد اوكان الخارج منها ١٧ الف طونولاته وفي سنة ١٨٠٨ زاد الى ٢٠٠ الف طن ولبث يزيد مقدار المستخرج منه وتزيد الحاجة اليه حتى بلغ الآن عدد الافران العاليه ٨٠٠ فرناً وبلغ مقدار الخارج منها ١٣ مليون طن

اماالمدن التي تصطنع الادوات الحديدية والجوارح والاسلحة البيضاء والآلات الزراعيه والقضبان والنوافذ الحديدية والآلات النارية هي :

شفيلد . برمنغهام . لوندرا . برنزلي . ولفرهامبتون . ميد لسبورج . باروابن فورنس . ديدلي . روترهام . شروزبري . مرتيرتيدفيل .

وللحلي

مدن: شفيلد . برمنغهام . لوندرا

وللخزف

مدن : برسلم . لونجتون . نيوكاسل . ستوك ابون ترانت بريستول . جلاسكو .

وللزجاج

مدن : لوندرا برمنغهام ستوبريدج بريستول . جلاسكو

واشتهرت ايضاً مدينة ليدس ومدينة وبرافورد بصناعة الجوخ ومدينة كوفنتري بصناعة الساعات . ونيوكاسل بمحصولاتها الكيماوية ومدينة لوندرا بزيتها وشمعها . وليفربول بصابونها وجلودها وشستر بجبنها ونوتنهام بكشاكشها

وقد اختصت منشستر . ليفربول . اولدهام . بولتون . بلاكبورن . برستون . روشدل . وجلاسكو . بري . ستوكبور . اختصت بصناعة القطن ونسجه

واما المدن التي اختصت بصناعة الصوف فهي

ليدس . هاليفكس . برادفورد . هيدرزفيلد . كندال . فروم . سترود . كولشستر . نوريش . نوتنهام . غلوشستر . ليستر . جلاسكو . برث

ويصطنع الكتان في مدن

وارنجتون . ليدس . برنزلي . اكستر . ليزبرن يوري بلفاست . موناجان . دروجدا . جلوي . دوبلين . جلاسكو . دند . بزلي . مونتروز

ويصطنع الحرير في مدن

كوفنتري . ماكلسفيلد . ليك . لوندرا . نوتنهام . دوبلين

وقد كثرت معامل الورق في اقاليم كنت . وديفون . وهرتفورد ويورك وفي قسم من اسكوتلاندا وذلك لازدياد عدد المطابع وكثرة المطبوعات كالكتب والجرائد وفي انكلترا معادن اخرى كثيرة منها القصدير وكان يتجر معهم به اهل فينيقيه ويبلغ قيمة المصنوع منه الذي يتصدر الى

الخارج بخمسة مليون جنيه وهذا القدر يفوق اثنتى عشرة مرة ما يستخرج من ساكس وبوهميا البلاد الوحيدة بالمانيا التي تستخرجه

ومن معادن البلاد الشهيرة النحاس في كورنويل وفي بلاد الغال وفي جزيرة انجليزي ومعادن الرصاص والبلوم باجينه (ومنها تعمل اقلام الرصاص) في نورثمبرلند ومعادن الزنك في دربي وجزيرة مان ومعادن الملح في شستر وابسوم وباث وشلتنهام ونورويش وسولفات الماغنيزيا في ابسوم .

وقد وجد فيها بعض معادن من الفضة والذهب وفيها معادن كثيرة يطول وصفها متشتة في اطراف المملكة يشتغل فيها عدد وافر من الصناع

هذا وقد بلغت الصناعة في انكلترا حد الاتقان . ومن يقرأ شيئاً من اختراعات الانكليز واكتشافاتهم السنوية والشهرية بل الاسبوعية واليومية يعجب لكثرة تفننهم وتوسعهم في الاعمال . ومن يطالع فهرست اجازات التصريح التي تعطى يومياً لمخترعيهم ومكتشفيهم لا يصدق انهم بلغوا ما بلغوا من التدقيق والاتقان والانتفاع بكل شيء .

قال بعض المؤلفين : لما اقبل القرن التاسع عشر كانت فرنسا نازفة الدماء بأزة الصناعة وايطاليا وجرمانيا خائرتا القوى مقطعتا الاوصال من غزوات بونابرت وحروبه المتوالية وليس في أوروبا كلها الا بريطانيا العظمى مملكة البحار مستعزة في جزائرها مستغنية بمهاجرها فنهضت الصناعة فيها نهضة جبار لم ترَ مثله العصور الخالية وفي اقل من سبعين سنه زاد الخارج من معادنها زيادة سريعة وزادت سفنها التجارية ثلاثة اضعاف ومد فيها خمسة عشر الف ميل من السكك الحديدية وبلغت ثروة اهاليها حداً لم تبلغه ثروة أمة أخرى

قبلهم فانفقوا على الاعمال الصناعية الف مليون ومئة واثنتي عشر مليوناً من الجنيهات حتى صارت صناعة ما تنتجه المعامل يزيد على ما يلزمهم منها اربع مرات في كافة المصنوعات وست مرات في المصنوعات القطنية .

وجملة القول ان صناعة انكلترا كانت سبباً لعظمتها اكثر من فتوحاتها وقد اقتفت خطوات هذه المملكة ممالك اخرى أوروبية فاخذت تجد لمناظرتها بمصنوعاتها في اسواق المشرق ولكنها لاتزال دونها بمراحل .

التجارة

Commerce

اقتضت الحكمة الالهية تفريق الارزاق والخيرات في جميع انحاء المعمورة مدرجات مختلفة متفاوتة فترى في هذا البلد ما لا تراه في ذاك وتجد في ذاك مالا تجده في ذلك وقد اختص بعض البلدان بوافر خيره وعظيم بره بجمل زرعها وانعامها ومعدنها موفراً وميز البعض الآخر بقلة حرثه وخيره حتى اذا ضربت بطرفك فيها لالفيتها جدباً «فسبحان الذي خلق الخلق ودبر الامر تدبيراً »

على ان وفرة الخيرات في بلد لا توجب سعة اهليها ورفاهيتهم . فكم من بلد ارضه جدباء واهله في نعيم وهناء ومن بلدان ارضها خصبة واهلها في جدب وقحط وشقاء فاذا بحث الباحثون عن سبب هذا الفرق العظيم وجدوه في قلة العمل او عدمه في هذا وكثرة العمل ووفرته في ذاك . تلك هي البلاد الافريقية الوسطى والاسيوية الشمالية والجنوبية والشرقية . البلاد الشاسعة الفسيحة

الارجاء اذاختبرت اهلها لسمتهم في بؤس وحجيم واذا امتنحت الارض التي تقلهم لوجدتها غريزة الخيرات مفعمة بما يلذ ويستطاب واذا امعنت ملياً في انكلترا مثلاً لوجدت ارضها فحلاء الا انها مشحونة بما يدهش العقول ويسحر الالباب .ذلك هو شأن البلاد التي يسعى أهلوها في جلب الاموال والخيرات من اقصى الاقطار لافتقارهم اليها غير مبالين بعظائم الاخطار وكبائر المصاعب فيلغون بذلك منتهى الثراء والسودد وذرى المجد والشرف وتراهم في مقابل ما يجلبون من الاقطار الاخر يصدرون اليها ما خص الله ارضهم به من معدن وغيره .

فهذه هي العملية التجارية الاولى في بدأ نشأتها

وقد توسعت انكلترا وبعض البلاد الاوروبية فيها فتفننت في اساليبها وفرّعتها من اصولها فروعاً ونوّعتها في ضروب اسبابها حتى اوصلت سلعها ومصنوعاتها الى حيث يستطاع الوصول والى حيث تثبت قدم الانسان

وانكلترا اليوم اسبق الدول في مجال التجارة اما ارضها كما ذكرنا فاجدب ارض وهي جزيرة يحيط بها الماء من جميع الانحاء وعرها اكثر من سهلها وما ترزق الا من فضل التجارة فالتجارة لها بمثابة الروح من جسد الانسان ويدلك على ذلك المكيدة التي كان دبرها لها نابليون الاول حينما اصر باقفال جميع موانى اوربا لتجارتها فكاد ان يكون ذلك ضربة قاضية على حياتها لولا ان ساعدتها المقادير فتألبت الدول على نابوليون والتحم القتال بين الفريقين وعادت التجارة الانكليزية الى مجاريها

ومع ما هي عليه الاقطار الاوروبية من الحضارة والشوكة والقوة

والسعة فانه لا يوجد دولة اوروبية كانت او غير اوروبية تستطيع مجاراة انكلترا في مضمار التجارة فهي هي ربة متاجر الامصار لم يشاركها في هذا اللقب دولة من الدول الاوروبية بعد طول المناظرة والمسابقة والمجاراة فقد طالما جدت فرنسا وكدت حتى اضنت رجالها وبذلت الالوف المؤلفة من الاموال حتى اعيت رعيتها باثقالها ولكن لم يبلغ شأوها ولم تستطع مسابقتها « فتجارة انكلترا لا تزال اكثر من عشرة اضعاف تجارة فرنسا في كل ناحية من انحاء المسكونة » نعم ان الدولة الفرنساوية ذات شوكة وسيطرة ومستعمرات واسعة الا انها دون انكلترا في هذا الباب بمراحل . ذلك لان انكلترا لم تبق بلدا من البلاد او قطرا من الاقطار الا وعقدت معه المعاهدات التجارية وهي الآن تشتري من ايرلاندا حبوباً ومؤناً وترسل اليها مصنوعاتها وتشتري من شمال اوروبا خشباً وحديداً وكتاناً وقنباً وزفتاً وشحماً وبوتاسه وحنطه ومن اواسطها حاصلات الاراضي وحريراً وكتاناً وخشباً .. الخ ومن جنوبها الفاكهة والحرير والعقاقير ومن الولايات المتحدة الامريكية قطناً وارزاً وحبوباً وبترولاً ومن جنوبي امريكا جلوداً وتيلاً وسبائك من الذهب والفضة ومن اسيا الشاي والبن والنيلة والعقاقير والقطن والعاج وغير ذلك ومن افريقيا عقاقير وخشباً وقطناً وجلوداً وترسل مصنوعاتها الى الاقاليم المذكورة في مقابل ما تشتريه منها وقد دل احصاء سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٧٥ ان صادرات انكلترا لاملاكها وللبلدان الاجنبية تبلغ نحو ٢٤ مليون ليرا انجليزية وبلغت وارداتها نحو ٣٧٤ مليوناً وكانت في سنة ١٨٧٥ اكثر من نصف واردات ست ممالك عظيمة: وهي الولايات المتحدة باميريكا وفرنسا والهند والمانيا وروسيا

واوستراليا وبلغت ايضاً صادراتها اكثر من نصف صادرات هذه الممالك

وبمضاهاة تجارة انكلترا في سنة ٧٥ لتجارتها في سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٨٨ يتضح لك جلياً مقدار الخطوة التي خطتها في سبيل التقدم والنجاح

اما وارداتها في سنة ٨٦ فبلغ ٣٤٩ مليوناً من الليرات الانكليزية وبلغ في سنة ١٨٨٧ (٣٦٢) مليوناً وفي سنة ١٨٨٨ زادت الى ٣٨٦ مليوناً

(منها من فرنسا ٣٧ مليوناً ومن المانيا ٢٤ ومن هولانده ٢٥ ومن روسيا ١٥ر٩ مليوناً ومن بلجيكا ١٤ ومن السويد ١٠ر٢ ومن اسبانيا ١٠ مليون ومن الدانيمرك ٥ر٢ ومن اوستريا ١ر٥ ومن الولايات المتحدة ٨٣ ومن الصين ٦ر٦ ومن الهند ٣٢ر١ ومن اوستراليا ٢٣ ومن بلاد الكنادا ١٠ر٤ ملايين من الليرات الانجليزية فترى من ذلك ان واردات انكلترا آتيه من اصقاع مختلفه ومن الاقطار السحيقه جداً بدرجات تختلف باختلاف شدة العلائق التجارية مع تلك الاقطار .

اما صادرات انكلترا في سنة ٨٦ فبلغت ٢٦٨ مليوناً وفي سنة ٨٧ بلغت ٢٢١ مليوناً وفي سنة ١٨٨٨ بلغت ٢٣٣ مليوناً من الليرات الانجليزية (ونصيب فرنسا من هذه الصادرات ١٣ر٦ مليوناً والمانيا ١٥ وهولاندا ٨ر١ والروسيا ٤ر١ والبلجيك ٦ والسويد ٣ر٢ واسبانيا ٣ والدانيمرك ١ر٧ وللولايات المتحده ٢٩ر٥ وللصين ٦ر٢ وللهند ٣١ ولاوستراليا ١٩ر٧ ولبلاد كناد ٨١ ملايين

واليك بعض ما جاء بشأن قوة انكلترا التجاريه في كتاب الكاتب الفرنسوي الشهير ماكس لوكاير الذي وضعه حديثاً وبحث فيه عن تجارة انكلترا وعلاقاتها مع الدول : قال : قد زادت متاجر الانكليز زيادة هائلة في

٢٥ عاماً مرت فصارت ثلاثة اضعاف ما كانت عليه سابقاً ثم قال

« وقد افعمت انكلترا البحر بسفائنها والبر بحاصلاتها حتى ان بحريتها لم تقتصر على نقل سلعها وبضائعها بل عمدت الى نقل مستخرجات كافة الاقطار الأخر

« وقد كانت قيمة واردات انكلترا في سنة ١٨٢٠ بالغة ٨٠٠ مليون من الفرنكات وصادراتها ٩٠٠ مليون ثم زادت قيمة الصادرات في سنة ١٨٣٧ الى ١١٢٥ مليون وارتفعت وارداتها من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٨٩ من ٥٢٦٣ مليون فرنك الى ١٠٦٩٠ مليوناً وكذلك صادراتها وصلت الى ٦٨٨٩ مليوناً بعد ان كانت ٤١١٣ مليوناً — وفي سنة ١٨٣٧ كانت تبيع انكلترا الى الممالك الاخرى مليون طن من الفحم فزاد هذا القدر في سنة ٨٧ الى ٢٤ مليوناً طناً ثم وصل في سنة ١٨٩١ الى ٣١ مليوناً وكذلك ازدادت صادرات الحديد فبعد ان كانت في سنة ١٨٣٧ مائتي الف طن وصلت الى ٤ ملايين طن في سنة ١٧٩٠ ومثلهما المنسوجات القطنيه فبعد ان كانت انكلترا تبيع منها ٦٠٠ مليون يارده في سنة ١٨٣٧ اصبحت تبيع منها ٥٠٠٠ مليون في سنة ٩٠

واكثر واردات انكلترا مؤلف من الحبوب والقطن والصوف والسكر والحطب والخشب والشاي

واكثر صادراتها منسوجات القطن والصوف والحديد والكتان والفحم الحجري والرصاص والقصدير والنحاس والملح .

ومما يدلك على عظمة الحركة التجارية في البلاد الانكليزية وازديادها سنه عن سنه الارقام الآتيه :

حمولة السفن التي دخلت الموانى الانكليزيه بلغت في سنة ١٨٦٠ و١٢

مليوناً طناً وفي سنة ١٨٨٧ ازداد الى ٣٢ مليوناً اما حمولة السفن التي خرجت منها فكانت في سنة ١٨٦٠ مليون ونصف مليون طن وفي سنة ٨٧ بلغت ٣٢ مليون طن و٩٨٤الف طن وبلغ عدد السفن الشراعيه بانكلترا وحدها في سنة ١٨٨٧ خمسه عشر الفاً ومائة واحدى عشر سفينه حمولتها ٣ ملايين و٢١٥ الف طن اما السفن التجارية فبلغ عددها ٦٦٣٦ حمولتها اربعة ملايين وواحد وثلاثين الف طن (٤٠٣١٠٠٠ طن)

وقد ورد بكتاب ماكس لوكلير المذكور ما معناه : «منذ خمس واربعين سنه كان لانكلترا ثلث السفن التجارية الموجودة على سطح البحار كلها اما الآن فقد بلغ عدد سفنها $\frac{٧}{١٢}$ من سفن العالم اجمع »

اي ان عدد سفنها اكثر من نصف سفن جميع الاقطار وفي سنة ١٨٨٧ كانت حمولة السفن الرافعة اللواء البريطاني تبلغ سبعين في المائة من حمولة كافة السفن التجارية الشراعية اما حركة الموانى الانكليزية ببريطانيا فكانت حمولة السفن الواردة اليها بين انكليزية واجنبية بالغة اربعة ملايين طناً في سنة ١٨٢٠ ثم وصلت الى ٢٤ مليوناً ونصف في سنة ١٨٦٠ ثم زادت في سنة ١٨٩٢ الى ٧٥ مليوناً فتأمل

وقد سهلت انكلترا طرق المواصلات التجارية في داخلها بحفرها الترع العديدة وانشاؤها السكك الحديدية التي تذهب حركتها بلب الرائي وبتخطيطها السكك الزراعية بين المواقع الشهيرة بحاصلاتها . ومركز السكك الحديدية مدينة لوندرا عاصمة البلاد ومنها تتشعب الخطوط الحديدية باجمعها الى كافة مدن المملكة وقد بلغ طول السكك الحديدية بانكلترا وبلاد الغاله

٢٢٢٢٥٠ كيلومتراً وبايقوسيا ٤٩٥٥ كيلومترا وبايرلانده ٤٣٠٣ فيكون طول مجموعها ٣١٥٠٧ كيلو متراً وقد احصى اخيراً هذا المجموع فكان (٢١٠٠٠٠) ميل

اما ترعها الصناعية فيبلغ طولها ٩٠٠٠ كيلو متر وقد حفر اكثرها من سنة ١٧٥٩ الى سنة ١٨٥٠ واول ترعة حفرت هي الترعة التي توصل بين ترعتي مرسي وترنت وكانت الغاية من حفرها نقل الفحم الحجري وقد سميت باسم الدوك الذي تكلف حفرها وهو الدوك بريدجتور واطول هذه الترع هي التي توصل بين مدينتي ليدس وليفربول

وقد تفنن الانكليز في جميع الاساليب والطرق التي بها يسهلون اسباب التجارة فلم ترعهم وفرة مصاريفها وطول زمانها وجسامة مشاقها واهوالها فاقدموا على تلك الاعمال بجراءة قلب وعزم ثابت واقدام لا تلويه الاخطار ولا تثنيه المصاعب التي دون تذليلها شيب الرؤوس وبذل الاموال والنفوس فمن جلائل تلك الاعمال مخازن لوندره وليفربول وفناراتها وقناطرها ونقب نهر التيمس ولنذكر طرفاً منها ليشاهد القارئ بسمعه مالم يره بعينه

مخازن لوندره — من الاثار الغريبة بلوندره التي تنطق بفصيح بيان بتقدم الامة الانكليزية باساليب التجارة المخازن الهائلة التي انشأتها في اواخر القرن الثامن عشر وما اوجدته منها في هذا القرن الحاضر وتلك المخازن المعبر عنها باللغة الانكليزية بلفظ دوك عبارة عن حياض صناعية واسعة الاطراف حفرتها يد الانسان بمهارة وتفنن غريبين واوصلت اليها الماء لنقل السفن والمراكب المشحونة بالبضائع والسلع كالاقطان والاخشاب والاقمشة والفحم وغير ذلك مما يرد اليها

من كافة اقطار المعمورة على اختلافها وعلى حافة تلك الحياض يوجد بناء متسع معد لقبول تلك البضائع والخيرات والسبب في انشاءها انما هو ضيق نهر التيمس عن قبول كل مايرد اليه من السفائن . نعم ان عرض هذا النهر يبلغ ٢٠٠ قدم (وهو ضعف عرض نهر السين بباريز) وان المسافة التي بين لوندن ومصبه تبلغ ٩٦ كيلومترا الا ان السفن التي تقبل على لوندره وترداليها من سحيق الاقطار وقريبه بعضها كافٍ لافعام تلك المساحة الرحيبة فمنعاً لايقاف مجرى التجارة بلوندن وعدم ضياع نفيس اوقاتها وتسهيلاً لتفريغ البضائع وصيانتها من التلف والفقدان اضطر الانكليز ان يحفروا تلك الحياض الواسعة لتدخل السفن بها وتفرغ بضائعها في المخازن المعدة على ضفافها

ومن اشهر تلك المخازن : مخازن سانت كاترينا وسميت بذلك لحفرها محل مستشفى كان شهيرا بهذا الاسم وتبلغ مصاريف بنائها ١٧٠٠٠٠٠٠ ليره انكليزيه وقدلزم لانشائها هدم ١٢٥٠ داراً كان يأوى اليها ١١٣٠٠٠ شخص ويوصل بين نهر التيمس وهذه الحياض قنال طوله ١٩٠ متراً وعرضه ٤٥ مركبة عليه آلة بخارية قوة مائة حصان تجاري لرفع الماء اليه او طرده حسبما تقتضيه حالة الملاحة ويمكن ان يقبل اية سفينه مهما كانت حمولتها فاذا دخلت السفن منه الى الحوض امكن تفريغ البضائع منها الى المخزن المعد لها مباشرة وتقبل حياض سانت كاترين من ١٥٠ الى ١٦٠ سفينة كبيرة عدا ما يكون بها من المراكب والصنادل العديدة .

ثم مخازن لوندرا الاصلية ابتدأ انشائها من غرة يونيه سنة ١٨٠٢ وتمت في غائته سنة ١٨٠٥ وبلغت نفقاتها مائة مليون فرنك اي ٤ ملايين من الجنيهات

الانكليزية ويرد اليها سنوياً مايناف عن ٥٠٫٠٠٠ سفينه تجارية عظيمه ويدفع اربابها الى الحكومة ٣٢٥ مليون فرنك رسماً على مايخرج من مخازنها من البضائع ويمكن لمخازنها العلوية ان تحوى ٢٨٠ الف طن من البضائع ومخازنها السفليه تستطيع ان تقبل اكثر من ٨٧ دن نبيذ (من كبير الدنان التي يسع الواحد منها ٤٠٠ لتر) وبها محال خاصة لوضع التبغ (الدخان) وهي تسع ٢٤ الف برميل ثمنها ١٢٠ مليون فرنك وبالنسبة لاهمية تلك المخازن المسماة بمخازن لوندره الاصليه ترى ان الحركة التجارية بها عظيمة تفوق عن غيرها وهي كثيرة العمال وعدد الشغالين بها فقط ثلاثة آلاف عامل .

ومن اشهرها ايضا المخازن المعروفة باسم مخازن الهند الغربية وتبلغ مساحتها ٠٠٠ ر٩ر١١ متر مربع ويمكنها قبول ٤٠٠ سفينه وقد تصادف ان حوت مرة هذه المخازن ١٤٨٠٠٠ برميل سكر و ٧٨٠٠ دن و٤٣٣٠٠٠ كيس بن و٠٠ ٣٥٠ دن نبيذ و٠٠٠ ٢١ طنولاته خشب و ١٤٠٠٠ قطعة خشب للبناء عدا ما كان بها من الطرود القليلة الحجم .

هذا هو وصف موجز لثلاثة من اشهر مخازن تلك المدينة الكبيرة التي سميت بموسوعات العالم حيث جمعت انواع الخيرات كافة من محصولات ومنسوجات ومصنوعات وبنايات وحيونات وما تلك المخازن الا جزء صغير من كل كبير لا يسع القلم وصفه .

الفنارات . وقد امتازت ايضاً انكلترا عن غيرها من الممالك بوفرة فناراتها التي يدل حسن هندامها وعظيم رصانتها على اهتمام الامة الانكليزية لنشر لواء الامن والطمأنينة حيث تسير السفائن او ترسو المراكب التجارية

والحربيه

وقد كانت شواطىء انكلترا وايقوسيا وايرلانده كثيرة الصخور في سالف الزمن حتى تسبب غرق المراكب المعدة التجارية وهلاك عدد عديد من النفوس وكساد سوق التجارة في كثير من المحلات اما الآن وقد بلغت انكلترا هذا المكان العظيم وتسنمت ذلك الاوج العلى فملأت الامصار بمحصولاتها وبضائعها وافعمت الموانىء والمرافىء بمراكبها وسفائنها ومدّت نفوذها السياسي والتجاري على كثير من اقطار المعمورة فترى ان شواطئها آمن من شواطىء سائر الاقطار .

وقد تألفت لهذه الغاية شركات عظيمة اشهرها شركة ترينتي هوس انشئت في عهد الملك هنري الثامن وكانت غايتها تقوية تجارة انكلترا والعمل على انمائها وانتشارها وتأييدها وتقويم ما يعوج منها وهداية ما يضل والعمل على تدريب الملاحين وتعليمهم وخصوصاً على زيادة تأييد انارة الشواطىء واضاءتها بالفنارات وبمراكب الانارة وبطرق الاضاءة المعروفة عندهم .

وقد دلّ احصاء سنة ١٨٧٩ ان عدد الفنارات الموجوده ببريطانيا العظمى يبلغ ٤٥٩ فناراً وبما ان طول شواطىء انكلترا يبلغ ٥ . ٢٤ ميل بحري وطول شواطىء ايقوسيا يبلغ ٠ ٤٤٦ وايرلاندا ٢٥١٨ فيكون المجموع ٩٣٨٣ ويكون المعدل فناراً واحداً لكل ٢٤ ميلاً وهذا اكبر دليل على مالانكلترا من الاهتمام العظيم ولبث الطمأنينة بين تجارها واولي شؤونها

فاذا كانت تلك المصاريف الباهظة والابنية الغريبة الواسعة والفنارات الكثيرة ما خصصت الا واسطة لتيسير حركة التجارة ولحفظ السلع والبضائع

فما يكون اذاً النفع الذي تستمده المملكة الانكليزية من هذه التجارة . لعمري ان الخبير العاقل لا يشك بان التجارة هي حيوة هذه المملكة وقوتها وسطوتها وان التجارة هي التي جعلتها امة عددها ٤٠ مليوناً تحكم ٤٠٠ مليون .

فكل عمل عند الانكليز تجارة وكل تقدم ونجاح اصابوه كان من التجارة ففتحهم الممالك تجارة وحكمهم الامم الكبيرة والشعوب الكثيرة تجارة .

ولما شاع لدى وضع هذا الكتاب ان للبعض من وزراءهم وعمال الحكومة يداً في ادارة الشركات التجارية لم يظهر الشعب استياءً من عملهم ولا غضب عليهم بل تلقى الامر كما هو ساكن البال رابط الجاش والجرائد ظلت صامتة لا ترى بهذا الامر سبةً ولا بمتاجرة الوزراء خطأً . على أنه لو ظهر مثل ذلك في دوائر دولة اخرى من الدول الاوروبية لا نقلب الوزراء عن كراسيهم وسلقوا بالسنة حداد بل رموا بالخيانة والسفاهة وكل مذمة . اما الانكليز فبخلاف غيرهم يرون ان الرجل المفيد هو الذي ينفع وطنه بكل عمل اي انه يفيد امته بالتجارة كما يفيدها بالسياسة .

وخلاصة الكلام ان الانكليز يتاجر جنديهم بدمه . ويتاجر كاتبهم بقلمه وحاكمهم يتاجر بسياسته كالبائع بسلعته والصانع بحرفته فبالتجارة سادوا وبارباحها ارتفعوا وبمواردها عزوا

عادات واخلاق الانجليز

Manners & Customs

لاريب في أن اعظم شيء يستدل به على تمدن امة وتقدمها هو النظر الى اخلاقها التي رسخت فيها فاصبحت خاضعة لها بلا علاقة عقلية في معظم الاحيان.

وقد ادهشت الامة الانكليزية العالم بأسره لشديد تمسكها بعاداتها والمحافظة على القديم منها رغماً عن تحوُّل الاحوال وتغير الظروف حتى اصبح نظامها مجموع عادات كل عادة منها تقوم مقام سنة مشروعة

— خلق الانكليز —

اما خَلْقهم فالغالب فيه انهم طوال القامة او متوسطوها رشيقو القدود شديدو القوى والاعصاب. رحاب الصدور. لونهم ابيض. زرق العيون. صغار الانوف. رؤوسهم مستطيلة مرتفعة. وجلدهم صاف شفاف وشعرهم اشقر في الغالب ووجوه سكان القرى منهم اصفى لوناً من سكان المدن وهم بالجملة اجمل من نسائهم بخلاف رجال الفرنسيس فان نسائهم اجمل منهم. وقد قسم بعضهم الحسن في رجال الانكليز الى ثلاثة اقسام: الاول في العساكر وهم ينتخبون من ذوي العافة والصحة الحسنة ويلحق بهم الشرطة وضباط الجيش وقواده الثاني في خدام الكبراء والامراء والفنادق الكبيرة. والثالث في الكتاب الذين يستخدمهم التجار المثرون واصحاب الحوانيت العظيمة حيث يكثر تردد الجنس اللطيف فان ذلك ادعى لهن الى الشراء.

الانكليزية

والانكليزية اما ان تجمع بين معاني الحسن الزاهر فتكون فتّانة وآية في الجمال او تكون مجرّده منها . على ان في الانكليزيات الجمال المفرط الذي لا مثيل له في نساء الافرنج . وهنّ ناعمات البشرة لونهن ابيض مشرب بحمرة قرمزية . وعيونهن بين الشهل والزرق . طويلات الاقدام . بخيلات القوام مولعات بالاعمال الرياضية تجارين رجالهن بركوب الخيل واللعب بالاكر والجري في الحقول والحدائق مما يكسبهن قوة في الاعضاء ونمواً في الاجسام . وامتشاقاً في القدود . واحمراراً في الخدود . ويجعلهن اوفر قوى من غيرهن من الاوروبيات . ثم ان اسنانهن احسن ما يظن في نساء البلاد الباردة وهي اول الصفات المستحبة عند رجالهن وهم يشبهونها بالدر المنظم كالعرب ويشبهون العيون بالماس كما يشبهها العرب بالنرجس .

والانكليزية الجامعة لصفات الجمال تكون طويلة القامة ممشوقة القد متجعدة الشعر نجلاء العينين زرقاؤهما شماء الانف صغيرة الاذنين حمراء الوجنتين والشفتين

وقد تفرّدت الانكليزية وهي فتاة بعادات لم يشاركها فيها غيرها من الاوروبيات وهي في الغالب ارق تربية من سائر الاوانس الاوروبيات متى بلغت الاربعة عشر ربيعاً تراها في ريعان صباها اول ما يظهر عليها علائم الشهامة وامائر الشرف والكبرياء فيرى رائيها وهو يخاطبها انها ترفع انفها الدقيق تيهاً وكبراً فيقرأ في جنبيها المشرق بانوار العفاف آيات الكمال والاداب ولذلك كانت حرة باعمالها قبل الزواج لها الحق في الدخول

والخروج وحدها او مع من شاءت فتصاحب من أحبت بدون ممانع ولا منازع وليس لذويها مراقبتها او الضغط على حريتها . تعرف مالها من الحقوق فتتمتع بها وهي آمن الناس على نفسها . لاتكاتب من أحبت على نور المصباح في دياجر الليل خفيةً ولا تقتبل ما يرد لها من الرسائل خلسةً وانما تفعل ما يرشدها اليه عقلها ومبادئ التربية الشريفة التي تلقتها منذ طفوليتها فتوجب الواجب عليها حفظاً لشرفها وشرف اهلها

ومن المقرر ان ليس في تحجب النساء عن العيون كما هو في بعض بلاد الشرق ولا في المراقبة الشديدة وحجر الحرية التامة تمام الفضيلة فالحجر انما يكون على الجسم وتكون نتيجته إماتة تلك الشهامة التي اشتهرت بها الانكليزيات لانه ليس للام او للاب او للعالم باسره ان يعلموا عواطف القلب البشري التي خفيت على عالم التشريح ففي اسرار تركيب الجنس اللطيف وامزجتهن عجائب يحار لديها الفكر ويذهل العقل وامام هذه العجائب يكون القلب معرضاً لتأثيرات تلقيه في نار من العذابات فيضعف وان تقاوى ويذل وان تظاهر بالعزة . وبالجملة فالتضييق لا يجدي نفعاً وانما يضعف بعض عواطف هذا الهيكل حتى يجري المقدر عليه . والفضيلة كما قال بعض علماء الاخلاق شجرة لا تنبت الا في حقل الحرية .

وليس للفتاة الفرنساوية حظ النزهة وحدها او مع شاب او شابة مثلها كالفتاة الانكليزية فهي لاتخرج من بيتها الا اذا كانت امها او ابوها برفقتها وهي تبذل كل العناية في ازيائها وتظهر عليها زيادة الاعتناء والتكلف خلافا للفتاة الانكليزية فانها تختار الزي البسيط في الغالب والمريح لجسمها فتظهر في الصيف بلباس

من الجوخ وبعض الاقمشة الجيدة النسيج وفي الصيف بثوب ابيض من التيل وتهمل شعرها ليسترسل على منكبيها بدون اعتناء وتضع على رأسها قبعة خفيفة وتذهب للخلاء مع رفيقاتها تباري الشبان في الالعاب الرياضية فتخالها وهي تجري والنسيم يعبث بشعرها في ذهابها وايابها كأنها ملك ناشر جناحيه للطيران . وهي تثابر على الاستحمام بالماء البارد صيفاً وشتاءً ولا تحب التبرج والتزين كما قدمنا بل تعلم ان الفتاة التي احرزت الجمال الطبيعي والادبي لم تعد مفتقرة لزينة او لاحجار ثمينة

والانكليزيات لا تتحلى بالحلي والجواهر الا على الموائد في مناولة طعام العشاء او في ليالي الولائم والاحتفالات والمجتمعات الكبيرة والمراقص والتياترات فتظهرن بالديباج والثياب الفاخرة وقد جررن اذيالهن جراً وكشفن عن صدورهن واكتافهن وانصاف اعضادهن وتحلين بالحلي الثمينة مما لا يرى في اعظم الاحتفالات الاوروبية ومما يسحر الالباب ويدهش الانظار . ولا يخفى ان المرأة الجميلة الذات والصفات تكون زينة لبيت زوجها وبهجة لحياته ولذلك كان الزواج شائعاً عند الانكليز اكثر مما هو عند غيرهم وهذا اول داع الى نموهم وتكاثر عددهم ولا تمهر الابنات العائلات الكبيرة الغنية واذا تجرأ شاب على ان يسأل والداً من ارباب البيوتات المتوسطة عن مهر ابنته فليس له على سؤاله من جواب سوى الطرد . ذلك لان الانكليز يعتبرون كغيرهم ان الرجل لا يجب عليه ان يقدم على الزواج الا اذا كانت حالته تسمح له ان يقدم لامرأته كل احتاجاتها .

والشاب الانكليزي اذا احب فتاة يستطيع ان يخطبها لنفسه ولو

كان تلميذاً في المدرسة وقد يستمر عقد الخطبة بين الخطيبين سنين عديدة يتمتعان في غضونها بكل اطايب المعاشرة وينطلق لهما العنان فيسرحان ويمرحان ويأويان الى الحدائق والرياض وهما ذاهلان ببعضهما عن الدنيا ويظل العفاف شعارهما حتى الزواج حينئذٍ لا يمكن لاحدهما العدول عنه لغير موجب شرعي فعلى قدر ما يُرى من الحرية الممنوحة للخطيبين في تلك البلاد ترى الشريعة صارمة بحق من يحنث بوعوده فاذا اراد الشاب القطيعة اقتادته الفتاة واهلها الدى القاضي فتقف امامه موقف المطالب بحق مدني وهناك تقيم الحجة على خطيبها وغريمها فتشرح دعواها وتؤيد حقوقها باثبات عدد القبلات التي التي اقتبلتها والاقسام التي اغلظها لها حبيبها وبابراز صكوك الحب التي كتبها لها بيثها شوقه وغرامه ثم تطلب العطل والاضرار والمصاريف فيحكم لها القاضي بقدر ما يترآى له وقد حكم مرة على شاب غني بدفعه غرامه باهظة لرفضه الاقتران بخطيبته من غير موجب شرعي فلم يمض على الحكم شهر واحد الا كان واياها في معيشة واحدة تحت سقف واحد وقد تجري هذه الاحكام على الفتاة فيما اذا كانت البادئة ولخطيبها حق المطالبة بحقوقه أيضاً .

وقد جعل هذا العقاب في هذه الشدة لان الانكليز يعتبرون ان الفتاة بعد خطبتها صارت كالزهرة التي اقتطفت فزال منها بعض العبق والرائحة والانكليز يؤثرون الزواج في اول الصيف والغالب ان الفتاة الانكليزية تتزوج في الخامسه والعشرين من العمر فتختار من كان يضارعها في العمر أو كان أكبر منها بسنتين أو ثلاث وكان على مرادها وهواها نصرانياً او يهودياً بلا تمييز في الدين على الغالب أما اذا رأيت شيخاً هرماً يأخذ بيد صبية جميلة

في زهرة العمر فاحكم بدون تردد ان الرجل غني كبير وانها مارضيت به بعلاً الا لتشاركه في غناه وشرفه لان الغنى والشرف افضل من كل شيء عند الانكليز .

قال احد علماء الاخلاق من الفرنسيس : ان بلاد الانكليز منبت النساء ومعدن الازواج بمعنى ان الانكليزي يهنأه العيش اكثر من غيره مع زوجته . والانكليزية خلقت لان تكون للبيت اكثر مما هي للبهرجة فالرجل لا يهتم سوى باعماله ولا يعلم من تدبير بيته شيئاً وما عليه الا ان يقدم لامرأته مقداراً معلوماً من المال كل اسبوع او كل شهر او كل عام وهي تنفقه في حاجة المنزل كيف شاءت فاذا عاد ليلاً خفت عنه وطأة مصائب النهار وزالت اتعابه بما تقابله به زوجته من اللطف والجذل والوقار وبما يرى من نظافة منزله واتقانه وما يجد بجوانبه من انواع الهناء مع راحة البال من الاسباب الباعثة على الالفة . والانكليزيات اوفر مودة واعتباراً لازواجهن من غيرهن بعضدنهم في الضراء بما يتوقع منهن في السراء ويصبرن على الوفاء وعلى نوائب الايام صبر الكرائم الا ان جاراتهن الفرنساويات اكثر رقةً ورشاقةً وأخف روحاً واعظم ميلاً الى اللهو والطرب وأقرب الى القلوب وهن ايضاً أوفر عشاقاً بينما ترى الانكليزيات اكثر رزانة ووقاراً وأفضل منهن أزواجاً

وينشأ الفرنساوي بالنظر الى هشاشة والدته وطباعها اكثر لطفاً وتوداً يكثر من المؤانسة والمعاشرة ومن مخالطة النساء ومحبتهن والتهالك في العشق كثيراً والمخاطرة بالنفس في سبيل مرضاتهن بينما ينشا الانكليزي رزيناً وقوراً وأوفر رزانة وبينما ينشا الشاب الشرقي بخلاف الاثنين هيوباً هلوعاً

وفي ذهنه التخيلات والاوهام وترى أيضاً ان لوندرا تاوي كبار التجار اليها ويقصدها اصحاب جلائل الاعمال واماباريس فهي منتجع طلاب الملذات كل ايامها اعياد وافراح .

وقد أحل الانكليز اكثر من سواهم من الاوروبيين هذا الجنس اللطيف في أعلا مقام لانهم عرفوا ان نجاح البلاد يتوقف عليه وان المبادئ القويمة تتولد كما قال بعض علماء الاخلاق في احضان الامهات أوعلى مقاعد المدارس فشيدوا لذلك المدارس في انحاء المملكة بين ابتدائية وكلية فتهافتت عليها البنات تهافت الصبيان وصرن يتعلمن وهن صغيرات حتى يضارعن رجالهن في العلوم العالية كبيرات وهن يسابقنهم فى الاستخدام في كثير من المصالح الاميرية كالبوسطه والتلغراف وعلى الخصوص في المخازن التجارية والمحلات العمومية وترى منهن ايضاً الكاتبات ومحررات الجرائد » وقد دل الاحصاء ان في مدينة لوندن وحدها خمسين الف فتاة كاتبة في المصالح الاميرية والتجارية ونحو ٣٢٠ الف خادمة في الفنادق والبيوت

وليس في العائلة الانكليزية على الغالب رفع الكلفة ولا بين الزوج وزوجته تلك الدالة الزائدة التي بين المتزوجين فالرجل يتبع مع امرأته كل انواع الاكرام كما لو كان مع سيدة غريبة فهو يراعي اصول المحبة دون الغرام والكلف الزائد .

ثم ان الانكليزية التي كانت حرة قبل الزواج تصبح مقيدة بعده باوامر زوجها ونواهيه واذا اتاها زائر رجل كان او امرأة جلس معها دون حضوره ولها الحق مباح في الخروج دون استئذانه انما عليها فقط ان تشعره بقصد خروجها ومع

هذه الحرية التامة ترى العفة عند الانكليزا كثر مماهي عند غيرهم فمقام العرض مصون لديهم كل الصيانة فلا يقبل في مخا لطة العائلات من عرف عنه انه ارتكب المحرمات او عاش متهتكاً فالذي يثبت عليه هذا الامر يضام ضيماً عظيماً ويسقط شرفه ادبياً . والضيف الزائر لسيدة انكليزية يلزمه المحافظة على القواعد المتبعة عندهم كالتجمل باللباس الفاخر وعدم السعل والتدخين .

والانكليزيات بارعات في اصول الحديث وافانين التمدن واساليب الاجتماع والمعاشرة وقد تستطيع السيدة العظيمة لعظمتها وعلو مقامها ان تصير رجلها عظيماً وان تمهد له سبيل الترقي الى ذروة المجد والفخار فسلطانهن كما قيل « سلطان محبة وجمال وتعقل وتأثيرهن يعم الحياة باكملها » ومن الشهود الصادقة على هذا المقال ان بيكو نسفيلد الشهير لم يتدرّج في معارج المجد ولم يصل الى منتهى مراتب السؤدد والعلاء التي وصل اليها الا حين عقد قراناً سعيداً على زوجة وندهام لويس الشهيرة بالبهاء والثراء فمثل بواسطتها في مشاهد السياسة فصولاً عظيمة اطارت صيته في الافاق حتى طبقت الفضاء . ولما اعتزل الاعمال وارادت الحكومة ان تمنحه القاب الشرف جزاء خداماته قال : اعطوا كل الالقاب لامرأتي لان لها اليد الطولى في كل اعمالي ومثله غلادستون فانه كان مقراً بالفضل لامرأته في شهرته فانها كانت ترشده وتعضده في اعماله وبين الانكليز كثيرون يعترفون بفضل المبادىء القويمة التي غرستها امهاتهم في عقولهم فنمت حتى صارت من اقوى العواطف الخاصة .

وتتشرف نساء الانكليز بما نبغ بينهن من نوابغ الملكات اللواتي رأت البلاد في ايامهن سعداً ونجاحاً واتساعاً ما رأت نظيره في ايام الملوك . ولا

غرو فانكلترا تقدّمت تقدماً عجيباً في العلم والصناعة والقوة في حكم الملكة اليصابات واختها ماري واتسع ملكها وعظم شأنها وازدادت ثروتها في حكم جلالة الملكة ڤيكتوريا . وبالجملة فقد قال احد علماء الاخلاق . اذا شئت ان تعرف حالة مملكة سياسياً وادبياً يلزم اولاً ان تعرف ماهي حالة نسائها

فما اجدر الشرقيين المطلعين على هذه الاقوال بادراك فوائد تعليم النساء وانالتهن مالهنّ من الحقوق تدريجاً والنهض بهن من عقال الخمول والذل الى قمة النشاط او تعميم المدارس في ارجاء البلاد فهنّ مدار العمران . وهنّ قوام الهيئة لاجتماعية . وكفى .

بيوت الانكليز

يعجب الداخل الى بيوت الانكليز مما يراه فيها من الزخارف الكثيرة المرتبة على نسق بديع وقد تكون هـذه الزخارف قليلة الثمن والقيمة ولكن النظام الذي وضعته بها ربة البيت يكسبها منظراً يسر الناظر ويشرح الخاطر وهم يزينون حيطان المنازل بالخود والدروع والقسي والرماح والتروس والخناجر والسيوف وبغير ذلك من انواع السلاح والآثار وبصور سباق الخيل او صور الكلاب والارانب او صور رجال الاعمال . ويتنافس أغنيائهم وكبرائهم بفرش بيوتهم بالاثاث الشرقي وبنوع خاص السجاد العجمي

وهم يعدون كل غرفة من البيت لعمل خاص بهـا . فهذه للاكل وتلك للنوم وغيرهـا للتدخين وخلافها للمطالعة الخ . ولهم لكل حركة كرسي خاص : فكرسي طويل يجلسون عليه حين المناجاة السرية او التأملات الفكرية وكراسٍ اخرى درّاجة وامامها ادراج للمطالعة او الكتابة وأخرى

ذات اذرع للتدخين وغيرها للجلوس عليها حين مناولة الشاي . وبالجملة فكل اداة من ادوات البيت او غرفة منه خصصت بشيء لا تتعداه

الاكل والشرب

اما المطبخ الانكليزي فليس في جودة واتقان المطبخ الفرنساوي لان اصناف الاطعمة عند الانكليز قليلة جدا . وقد قال ڤولتير في هذا المعنى . ان الانكليزي يسبح خالقه ويعبده من خمسين وجه ووجه ولا يعرف يصلح خاروفه الا من وجه واحد ولذلك ترى ان طباهة الانكليز هم من الفرنسيس . وهم لا يأكلون بدون شراب ولا يأكلون من الخبز الا القليل ومن اكثر من اكله امامهم عدّ متوحشاً .

وهم ينفقون على المسكرات اضعاف ما ينفقون على التعليم ولكن اقبالهم على شرب الشاي والشوكولاته قلل عدوى المسكرات فيما بينهم والحكومة قادرة ان تفرض الرسوم الباهظة عليها فتجعل الاقبال قليلا

وقد ولعوا بشرب الشاي حتى صارت العائلات تجد باجتماعه لشربه اعظم سرور وهو من اللوازم التي لا بد منها في كل بيت . والانكليزي لا يستطيع ان يعيش يوماً واحداً دون شاي كما لا يمكن للاسكوتلاندي ان يقضي يوماً واحداً بدون وسكي او للشرقي بدون قهوة .

ثم ان الشاي عند الانكليز ضرب من الاكرام فاذا دعا احدهم صديقاً له على شربه كان ذلك دليلاً منه على شدة وداده له واحتفاءه به

الرياضة

لولا قوة العقل الناتجة عن قوة الجسم لما امكن الانكليز ان يسودوا اكثر العالم ولذلك ترى ان شهرة الكثير من رجالهم العظام كانت عقلية وجسدية معاً ولقد ادركوا ما للجسد من الحقوق الواجب اتباعها بعد ان اجهدوه في الاعمال وعرفوا ان لا دواء له سوى الرياضة الجسدية على انواعها فاشبهوا بذلك قدماء اليونان والرومان الذين كانوا يروضون ابدانهم على جميع الالعاب الجسديه ليصيروا اشداء اقوياء قادرين على الجهاد في سبيل الاوطان سواء كان بالعقل او بقوة الجسم. ولا يتيسر للغريب معرفة حقيقة الانكليزي وهو منهمك على الاعمال بل عليه ان يراه وهو في الخلاء في الاماكن البعيدة عن السكن حيث يذهب لاستنشاق الهواء النقي المفيد للصحة ويتمتع بجمال الطبيعة فهناك يخلع عنه ثوب الرزانة ويجلي صدأ هموم المدنيـة ويبدل الكتم والوجوم بالبشر والسرور ويميل الى ما يميل اليه القلب ويطرح ظهرياً اصول التكلف ويندفع باكمله على انواع مختلفة من اللعب تنزه العقل وتكسب الاعضاء تقوية ونمواً وتمنع كثيراً من الامراض المضالة وقد اقاموا لهذه الاعمال الاماكن الفسيحة في مدارسهم لتمرين الطلبه حتى ينموا اشداء اقوياء البنية فيقدر العقل اعلى اتمام وظيفته ويستطيعوا ادمان السعي والى ساحة لعب من هذه الساحات اشار ولنتون القائد الشهير وقال وقد رأى الطلبة يلعبون ويمرنون اجسامهم « ههنا قهرت نابوليون في معركة واترلو »

ومن يرى جنديا انكليزياً يعجب لضخامة جسمه واعتدال قده وغلظ يديه وقوة عضلاته وعرض اكتافه ووسع صدره مما هو نتيجة الاعمال

الجسدية من جمنستيك وسباحة ووثب وحمل وهـذا هو السبب على قدرة الجندي الانكليزي على احتمال الاسفار والاخطار والثبات في المعامع والحروب والمقدرة على احتمال المصاعب الجسيمة .

ومن الانكليز من يعمد الى الجري والركض والمشي السريع مراحل من الارض ومنهم من يلعب بالكرة والصولجان العاباً تنزه العقل وتساعد على التنفس بمرور الهواء النقي للرئة وشعبها ومنهم من يمارس الألعاب الجمبازية او يسافر على اكثر انهار ونهيرات اوروبا فى مركب يجدف فيه اياماً متوالية حتى اذا عاد من سياحته الف عليها كتاباً عنوانه (اون ذي ريفر) على النهر وفي هذه الالعاب أيضاً اكبر مساعد على نمو العضلات وتقوية الساعدين والكتفين ومنهم من يتروَّض على ظهور الصافنات الجياد ويستلب الصحة من نسمات الرياح ومنهم من يعمد الى عزق الحدائق والبساتين كما كان يفعل غلادستون وغيره او يقوم باعمال اخرى تستدعى الى تعبه حتى اذا ما استلقى على فراشه ساعة من الزمن عاد اليه نشاطه الاول وهب الى عمله وهو اقدر عليه من ذي قبل

وإنا لنعجب اذ نرى الشيوخ منهم ذوي صحة كاملة ووجوه ناضرة وقوة غريبة يبلغ احدهم السبعين من عمره ونشاط الشبان لا يزال ينازع بياض المشيب وقد لا يخطه الشيب لافي رأسه ولا في عارضه وما ذلك الا لان اجسامهم تقضي هذه الحياة براحة وهناء عدا عن كونهم لا يعرفون اسباب الشيب وهي الهم والخوف فهم في غبطة حال وامان وفي مركز يحسدهم عليه العالم باسره لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

الرهان

ويتبع الالعاب الرياضية عند الانكليز الرهان على الجياد فليس احب اليهم ولا اقرب الى قلوبهم من فارس مراهن حاز قصب السبق ومما يروى ان هذا الحظ قد ساعد اللورد روزبري ففاز جواده في رهان دربي ويقال ان هذا الفوز أثّر في خاطر الأمة فمالت اليه باكملها ونال في بعض الانتخابات من مدة غير بعيدة الفوز الذي ناله جواده في السبق

ولا يخفى ان في الرهان فائدة عظمى للخيل والانكليز يدفعون الاموال الطائلة في سبيل ركوبها وتربيتها والسباق عليها وقد بيع حصان واحد بثلاثين الف جنيه وغيره بعشرين الف وكثير من اكابر الانكليز ولورداتهم لا يلذ لهم غير ركوب الخيل والسباق الا ان هذا الولع العظيم صار يلحق ضرراً جسيماً في الفرسان والمتفرجين فهم يستعملونه كفرصة للمقامرة على من يحوز قصب السبق من الجياد واشهر رهان عندهم هو رهان (دربي) فلا تسابق فيه الا احسن جياد المملكة وقد انشئت شركة هذا الرهان منذ ١٢٠ سنه قام بها ارل دربي ويبلغ عدد اعضاءوها ٢٨٠ عضوا ورأس مالها ١٧ الاف جنيه وجائزة الجواد الاول الفائز خمسة آلاف جنيه وللانكليز ايضاً شغف عظيم بسباق المراكب لا يقل عن شغفهم بسباق الخيل

السياحة

والانكليز اكثر امم الارض ولعاً بالسياحة والاسفار فترى الاغنياء والامراء منهم يجوبون الاقطار ويشاهدون ما فيها من غرائب الآثار ويقفون على احوال الاجانب في بلدانهم المختلفه وترى التجار منهم يركبون

متنى البحر والبر لجلب الثروة من اطراف الارض الى بلادهم العزيزة لديهم او لاستكشاف ارض جديدة تصلح للاستعمار وبخلاف ذلك قلما تجد انكليزياً يرحل من بلاده لتعليم الرسم او الموسيقى كباقي الافرنج

والانكليزي يسافر الى اقصى البلاد بدون ادنى تكلف وانزعاج فيضع في صندوقه ما يحتاج اليه ولا يضن بدر ولا بدينار وقد يشير الطبيب الانكليزي على مريضه بتبديل الهواء في اوستراليا اوفي غيرها من المستعمرات الانكليزية التي يقتضي السفر اليها اياماً طويلة كما يشير طبيب فرنساوي على مريضه بالذهاب لسان جرمان او الى فيشي او كما يشير طبيب مصري على مريضه بالذهاب الى حلوان او الى الرمل ولكن هنالك يبقى سؤال اخر على الانكليزي وهو هل اعود من طريق الصين اومن طريق امريكا

على أنه يعد قبل قيامه من لوندرا للتجول والسفر الملحوظات الواجب عليه اتباعها والسير بمقتضاها فيخط في مذكرته ان في يوم كذا من شهر كذا الساعة كذا مثلاً يجب ان أكون على قمة الجبل الفلاني وقد يتم له ما يريد ويصعد الجبل الى قمته اذا بقي حياً ولم يصادف منيته وما يروي من هذا القبيل ان اللورد ولسلي قال لبعض اصدقائه اثناء حركة الثورة العرابية : اني اخضع الديار المصريه واطيء باقدامي بلاد الفراعنه في خمسة عشر يوماً وقد تمّ له ما تنبأ به ودخل البلاد في الميعاد الذي حدّده

المحافظة على الوقت

وعند الانكليز لكل وقت عمل ولكل عمل وقت فلا يدع الانكليزي عملاً شرع به ليبدأ بغيره قبل ان يتمه ولا يخلون بهذ الترتيب وهو لازم

جداً ولا سيما حين تكاثر الاعمال ولو زارهم احد وكانوا آخذين في عمل يعتذرون له بعدم امكانهم على التكلم معه بالنظر لما امامهم واذا وجه لاحدهم سوآل يجيب عليه بنعم اولا . بكلام مختصر حرصاً على الوقت وضناً بضياعه ضنين البخيل بماله ومن تجاسر ان يوقف انكليزياً وهو شارع في سبيل عمل فقد سلبه من الوقت ما لا يثمن وارتكب ذنباً لا يغتفر وعلى ذلك يرى الداخل لمحال الاعمال عبارة لا تتكلم الا فيما يختص بالعمل مصدَّرة في كل جهة . والخلاصة ان الوقت عندهم هو التبر الثمين لا يبددونه الا فيما يستفيدون به مالاً او يحسنون عملاً ومن اضاع منه شيئاً فقد عبث بالتبر بل سلب العمر .

الحزم والثبات

والانكليز ذوهمم عالية وعزائم ماضية يتحملون مشاق الاعمال ويستطيعون ادمان السعي ويشرعون في اعمال ربما لم تكن تقبل النهاية الا بعد مرور قرون طويلة فالانكليزي يزرع الشجرة في اليوم وان لم يتحقق انه ياكل من اثمارها في الغد وقد يكون افضل الاثمار عنده ابطأها نضجاً فلا الاستعجال يستخفه ولا الاحتمال يقلقه بل يصبر على الغاية المطلوبة صبراً عظيماً . ومتى فكر في امر فقبل ان يأخذ فيه يعجم عوده ويسبر غوره حتى اذا رأى منه نفعاً لا يقف لحظة عين بين جزع وكسل او امل وملل ولا يأخذه في عمله عذل خائف بل يكب عليه باكمله بعزم ثابت وهمة غريبة فيبذل كل نفيس ويخاطر بالنفس فاذا لم ينله تماماً لم يقع في اليأس والقنوط ولم يبطل ما يكون قد بناه في سنين طويله بدقيقة واحدة شأن الكثير وانما يزداد في تطلبه رسوخاً وثباتاً

لانه اتخذ على نفسه العهد باتمامه فيحارب الموانع ويقتحمها ولا يرتد عنها مالم يذللها وينتصر عليها او يقضي الله امراً كان مفعولاً .

فسر نجاح الانكليز الثبات في الاعمال . وهذه الفضيلة الانكليزية مفقودة ولا اثر لها عند الامم الاخرى التي تروم الفوز ونيل المراد دفعة واحدة فان حبطت مرة يئست دواماً بخلاف الانجليز الذين مرت واحاقت بهم متاعب كثيرة لم يجزعوا منها ولا وهت عزائمهم من اثقالها بل حاربوا بما تميزوا به من صفات الحزم والثبات في كل قطر وبلاد

ولعمري لولا هذه الصفات لما نزحوا الى البلاد القاصية واستعمروا الممالك العظيمة واخضعوا القوات القوية واستدروا خيرات الارض فصاروا في مقدمة الامم المتمدنة

التهافت على الاعمال

ومن المبادئ الاصلية المرعية عند الانكليز اعتماد المرء على نفسه فالشاب لاتكاد تنفتح عينا رشده تحت جو تلك البلاد حتى يبدأ يفتكر باصر مستقبله مهتماً شديد الاهتمام بان يحتلب البان ثروته ويساره بنفسه فيتعلم الحرفة التي يميل اليها ذوقه وعقله ويصرف كل قواه الى الغاية الوحيدة التي يسعى لها وبهذه المثابة ترى الانكليز اجمع يهيئون اولادهم من الصغر حسبما يختارون لهم في مستقبل الحياة . ذلك لانهم يعتبرون ان توجيه القوى الى غاية واحدة ادعى الى النجاح من تشتيتها . فالانكليزي لا يترك الحرفة التي اختارها ولا يتطالل الى معرفة غيرها بل يبذل كل جهده في اتقانها ويصم اذنيه عما سواها فالكاتب مثلا يبذل جهده في اتقان فن الكتابة حتى ينال

الشهرة المطلوبة فيصير الدر دون كلامه ومغاص اللؤلؤ دون افكاره والسياسي يهمل العلوم والفنون ويطرح الحب ظهرياً حتى يبلغ في السياسة المقام الأعلى وحتى يتيسر له القيام بعظائم الامور ومثله الصانع والمكتشف والكيماوي والفيلسوف وغيرهم وعلى ذلك لم يكن لنوابغهم الذين نبغوا في افق المعالي في مطالب مختلفة لاند ولا مثيل وقلما احاط بعضهم بالشهرة في كل العلوم مثل باكون وغيره . ومن اخص مبادئهم ان ليس عندهم من الاوهام ما عند الشرقيين من الظن والاعتقاد بان المرء لا يكون شريفاً مالم يكن محامياً او طبيباً او مستخدم حكومة فهم يعتبرون ان شرف الصنعة يقوم بما يبذل فيها من الاتقان والاجتهاد لا بنوعها فالصناعة مكرَّمة عندهم اكراماً يشتغل بها اشرافهم وعظماؤهم . وتجارهم الآن اغنى تجار الارض يتنافسون في التجارة كما كان يتنافس ابناء مصر في الاستخدام

ولا مشاحة بان الاعمال التي ترقي امة وتحسن حالها انما هي الاعمال التي يثبت بنوها على عملها مع الجد والجهد في تحسينها . وليس الانكليز باهل ذكاء وانما اهل سعي وعمل . كلهم يعتبرون ان الشمس ما انارتهم بنورها الا للسعي وان اقدامهم لا يلزم ان تتحرك الا حيث يوجد مكسب وان لسانهم لا يلزم ان يحرك الا للنفع والفائدة ولا يلزم ان يختلج خاطر الا للكسب والعمل .

ولا يتيسر للكاتب استيفاء وصف اعتكافهم على الاعمال الا اذا طرق شوارع رجال الاشغال فيها كشارع الستي عند احتدام لظى الاشغال فيه . فهناك يرى مرسح النزاع الحقيقي الذي يتبارى العالم في مضماره جداً وكداً للحصول

على المكسب . ان الغريب القادم اليه يقف موقف الحائر الدهش اذ يرى كل واحد من اهله فاتحاً فمه وعينيه لاكل الدنيا وما فيها ويرى الشاب في الادارة شيخاً والشيخ في النشاط والاستعداد شاباً ويرى نهم الخلق شاغلا لجمهورهم ويرى الكل يعدون للاعمال ولا يلحق لهم غبار

وهم يغالبون العالم ويبتذون من يديه الثروة والقوة بتأهيل انفسهم لكل عمل والمزاحمة عليه واغتنام الفرص قبل كل مخلوق . يعملون اكثر مما يقولون ولا يهمهم العلم بالشيء ما لم يظهر الى العمل . ولا انقطاع عندهم عن العمل سوى في ايام الاحاد والاعياد ويوم الجمعة الكبيرة بيد ان هذه الايام يسمونها بايام الانقباض والاكتئاب فيستصعبون الخمول والكسل فيها ويقضونها بالتفكر واكثرهم يقضيها بالسكر والراح مفضلين بذلك ان يقضوها باي عمل كان من ان يبقوا بلا عمل على الاطلاق . ولا ترى كبيرهم يقول انني كبرت عن هذا العمل بل يلبث يدأب عليه طلباً للمزيد الى ما لا نهاية وترى غنيهم يرأس تارة الجمعيات وطوراً الاندية . دينهم العمل . ولعمري ليس للانسان راحة الا بالعمل .

التهافت على المال

وما بلغ الكد عند الانكليز هذا الحد الا لما يتغلب عليهم من الطمع بجمع المال فهم يعتبرون ان الفقر عيب وان المال هو ينبوع القوة ودليل الاستحقاق وثمرة الاعمال ومرادف الحرية وان سرّ الشرف هو المال وان من كان شريفاً وجب عليه ان يكون ذا مال

ولا غرو ان ذا المال في تلك البلاد يمكنه ان يكون عضواً في مجلس

الشورى وان يطرق المنتديات العظيمة التي يجتمع فيها عظماء البلاد واشرافها ويخطب منهم احدى بناتهم اذا كان عزباً وان .. وأن . وان يجعل النور ظلاماً والظلام نوراً فظمأهم الشديد للمال جعلهم يتهافتون كالنحل على عبادة العجل الذهبي فلا ترى للانكليزي من الميل ماللفرنساوي او الشرقي الى تحصيل العلم وخزنه في رأسه ولا ما للطلياني والالماني للموسيقي والرسم فلا هو يباهي بما نظم وصوّر ولا بتعلمه اللاتينية بل هو يفتخر برنين الدنيا فانه على سمعه الذمن عزف المثاني او من ضرب الحور على العيدان .

واذا اعطيت مثلاً خمسين الف فرنك لفرنساوي فهو يضعها في بنك اويكتفي بان يعيش من ريعها ولكنك اذا نقدت هذا القدر الى انكليزي فاما ان ينفقها في شهر واحد او يسافر بها الى الكنادا او اوستراليا او حكومة الراس حيث يبتاع بهاارضاً يزرعها او يتاجر بها في الانعام واذا قلت لانكليزي هاك خمسين الف فرنك يجيبك فقط الفان بون اعني الفي جنيه ان وقع هذا العدد على السمع خفيف فهو يلزمه اما الكثير المشبع او العدم .

وقد يفضي بهم احياناً اعتبارهم الشديد للمال الى تقسية القلوب والى الكفر باحكام الخالق لان من فقد عندهم ماله وكان في بحبوحة من العيش لا يرى من وجوب لمتاعب الحياة فينتحر من الغيظ . ولسان حاله يقول الموت خيرٌ من متاعب الفقر .

وهم لا ينفكون عن اختراع الوسائل الى جلب المال فمنهم من ينزح عن بلاده الى اقصى الارض موجهاً كل قواه الى المال ماداً ذراعيه الطويلتين ليقبض على النجوم ومنهم من يسعى في تقصير حياته فداء المال ومما يروي

ان انكليزياً اعتاد ان يبتاع دائماً مع ورقة السفر في السكة الحديد تذكرة تامين على حياته بحيث لو اصيب بعارض لاقى فيه منيته فان الشركة تدفع ٣٠ الف فرنك ديته لاهله ولما لم تصبه المنية التي كان يتعرّض لها كان يأسف على بقائه في قيد الحياة لان عائلته لم تنتفع بمال التأمين

والخلاصه ان اضطرارهم لتحصيل المال جعلهم ملتهبين بنار الجد ولذلك افلحوا وأثروا وصار ما يكسبه الواحد منهم يقدر بنيف عشرة وعشرين جنيهاً في الدقيقه الواحدة فتدفقت عليهم انابيب الثروة وازدانت تجارتهم وكثرت لديهم الاختراعات والاكتشافات ورأى العقل مجالاً فسيحاً للمنافسة والمباراة فصارت بلادهم معهد جلائل الاعمال ومستودع الاموال وسوق العالم باسره وصارت مملكتهم مملكة الدينار كما هي سلطانة البحار

***

ومن اخص صفات الانكليز تمسكهم بالصدق وخصوصاً ضباط الجيش فهم يفتخرون بالصدق في الاقوال اكثر من افتخارهم بالشجاعة في معامع الحروب فاذا قال احدهم نعم اولا كان قوله حجة

*
* *

وهم موصوفون بحسن المعاملة ولذلك تراهم يتحاشون الاخلال بها فالعامل يحسن عمله بما وسعه والتاجر يأتي باحسن البضائع واجودها حذراً من الخداع والغش الذين ينزعان صيته ويوقعان بتجارته .

*
* *

وقلما يسترسل احدهم في محبة انسان الا اذا عرف منه الاستقامة والجد فيثق به اذا تحقق استحقاقه للثقة ويأتمنه على ماله وعرضه ويسمح لزوجته وبناته ان يذهبن معه ليلا ونهاراً بلا مانع ولا حرج

*
* *

واذا تقدم المرء لاحدهم بوصية من احد اصدقائه لا يلبث أن يثق به ثقته بالموصي والثقة سائرة فيما بينهم في الاعمال القضائية ولكن من يكذب مرة واحدة تنحط قيمته ويسقط شرفه ولا يعود يجد على اعادته من سبيل وفي الغالب يحاكم كمن يخون عهداً او يحنث في يمين .

***

ومن اخص صفات الانكليز : المجاهرة بالاقوال والافعال الحرة فقلما ترى الواحد منهم يقتاد لعمل ما اقتياداً ويحكم على شيء لم يعتقده تماماً فهم يجرون في كل اعمالهم ونصب اعينهم المثل المأثور عن الفريد الاعظم الجاري للان فيما بينهم الا وهو يجب ان يكون الانكليز احراراً مثل اعمالهم .

وقد منحتهم حكومتهم من الحرية مالم تفعله غيرها من الحكومات فالسائر مثلاً في بعض شوارع لوندرا او حدائقها كحديقة هيد بارك يقف موقف الدهش الحائر اذ يرى خلقاً كثيراً مجتمعاً حول رجل قام فيهم خطيباً يحث على اتباع الفضيلة والاقتداء بالافاضل واذا قصد آخرين رآهم متألبين

على خطيب غيره صاغين له وهو يحث على اتباع اصول الدين وبجانبه غيره يكفر بالاديان ويطعن بواضعيها وغيره يحض الناس على احراق دور الاغنياء وسلب اموالهم وتوزيعها بالسواء على الفقراء وغيره يطعن بالوزارة والحكام وينتقد اعمالهم الى غير ذلك

*
* *

وهم لا يتشبثون باعقاب الاقاويل ولا يعرفون القال والقيل فقلما ترى بينهم شريفاً ينم على غيره من الاشراف ليعمي الناس عن ان ترى شريفاً سواه وقلما ترى تاجراً او غنياً يسخر بغيره من الاغنياء او التجار لكي يفتك باعتبارهم وقلما ترى فخوراً او فياشاً ينبث بكلمة على انه فتن امرأة بحسنه ولو كان كالبدر جمالاً او يشير الى سعته ورياشه ولو كان كروتشيلد اوسزرند مالاً او يشير الى حسبه ونسبه ولو كان ولي العهد او يفتخر بعلمه ولو كان من اكثر العلماء فضلاً فهم بعيدون عن المباهاة والحسد في كل شيء . وربما كانت كثرة انهماكهم في الاعمال هي التي تضطرهم الى الكتم والعبوث فيظن بهم الكبر وما كبريائهم الا في وجوههم لا في السنتهم وقلوبهم

*
* *

وهم ينظرون في كل مطالبهم الى الجوهر دون العرض فيعتبرون الفائدة الحقيقية مجرّدة عن البهرجة والطلاوة . وقد يعم هذا الحكم كل اعمالهم فان الواقف امام حانوت من حوانيت لندن الزرية المنظر يخيل له ان ليس فيها

من البضاعة ما يساوي ثمناً حتى اذا تبينها رأى ان اثمانها تبلغ الوف الجنيهات .

ومن هذا القبيل الدخول مباشرة في موضوع الكتابة من غير ديباجة والطلب بدون استفتاح مقدمات ومثل ذلك اختصار الصغير في الكلام متى كان يروم حاجة من الكبير .

*
* *

ومن رام ان يكون مع الانكليز على رضىً فعليه ان يظهر لهم ان ليس له من غرض في معاشرتهم وانه مستغنٍ عنهم كذلك من اراد ان يكون مكرَّماً في اعينهم فليترفع عن الدنايا وليظهر الآداب والتهذيب (بما يسمى في عرفهم جنتلمان)

*
* *

والكبار منهم يجتنبون كل معرض يمدحهم فيه الناس ويستخفون بالمخاطب متى سمعوا منه سود التبجيل والاحترام ويستكفون الاكثار من آيات التعظيم والتفخيم التي يلجأ اليها اكثر ابناء هذا العصر .

كذلك يهزأون بالمتملق المتصاغر لهم مهما اظهروا ارتياحهم له ويحبون الخائن لمجرَّد منفعتهم ومتى انقطعت أسباب المنفعة انقطعت ايضاً أسباب المحبة فيصير في اعينهم مثال الشناعة

* * *

وللانكليزي اطمئنان زائد عند وقع المخاطر فمهما اشتدت وطأتها عليه فانه يقابلها طلق المحيا ويقوى على جمع حواسه بلا تردد ولا ابطاء ويخلص منها بكل سرعة وهو يقتحم الاهوال ويتجشم المشاق ليعود عليه الفخر بكونه غيره لقمة جبلٍ سبق . او استنبط اداةً او اخترع آلة قبل غيره

* * *

وقلما ترى بين الانكليز من لا يعرف طرق الاقتصاد ولكنهم لا يعرفون التقتير على نفوسهم ويكرهون البخل والشح سواء كان الواحد منهم فقيراً او موسراً

* * *

وهم لا يهتمون بالحب كثيراً كذلك لا يبالون بالموت الاَّ قليلاً ولا يجودون بالدمع الاَّ فيما ندر فاذا مات الوالد وسئل ابنه احقاً مات ابوك يجيبك بثبات جاش نعم . ولكن ما العمل سنموت كلنا آجلاً او عاجلاً وهم يوارون الميت بالتراب ولا يعودون لذكراه الاَّ اذا كان من رجال الاعمال

* * *

وهم بعيدون بمراحل عن الخفة والطيش لا يكشفون ما هم فيه من الحال لغيرهم وقلما يستقصي احدهم من مخاطبه على احواله فلا الجار يعني بامر

جاره ولا يهمه امرٌ غير نفسه وكل ذي حرفة يقتصر على حرفته وقد يرافق المرء احدهم اياماً واعواماً ولا يكلمه ما لم يعرّف من صديق له

وقد اشتهر الانكليز بالتروي وعدم التهور ولهذا كان خطأهم اقل من غيرهم بكثير .

وكلهم يسمعون اضعاف ما يقولون فخير الكلام عندهم ماقلّ ودل ويصيخون آذانهم جيداً عند الاستفهام ويتمهلون عند الجواب حذراً من الغلط فيجيبون بهدء وسكينة بدون ثرثرة في الكلام او كثرة في الحركات .

وقد يعد الانكليزي الاستفهام من ابسط الامور ولا يستنكف من عدم الفهم ولو كرّر عليه الامر الواحد مراراً وقد عرف عن الانكليز غلظ العقل وقلة الفهم رغماً عما نبغ منهم من الافراد الذين تفرّدوا في ضروب السياسة والحكمة ففعلوا بحذقهم ودهائهم في اكثر المسائل ما عسر فهمه على رجال الكون اجمع وكفى بهؤلاء النوابغ دليلاً على سمو العقل ايضاً في بلادهم بلاد التناقض ومجمع الاضداد .

والانكليزي كما قال احد كتاب الفرنسيس . أبلد الناس في اقواله ولكنه احكمهم في افعاله فافرادهم لايصلحون لأمر ولكن مجموع هؤلاء الافراد كله . قوة . وفهم . وعلم . واقدام . ووطنية .

اعتبار الانكليز لعظمائهم

الانكليز اكثر الناس ادراكاً بالتفاوت الذي اوجدته الطبيعة بين بنيها واعلم الناس باستحقاق المرء لجني ثمار اتعابه فاذا قام منهم رجال من حضيض الفقر وارتقوا الى اسمى المراتب البشرية فلا يتهافتون على حسدهم لما نالوه

بتمدهم واستحقاقهم وانما يفاخرون بكونهم نبغوا منهم وفي بلادهم

وتراهم يجلون قدر اولياء الامر منهم فاذا عرض ذكر الملكة على مسمع الانكليزي في اي زمن ومكان اوعزفت الآلات الموسيقية بلحنها يقفون كلهم كباراً وصغاراً ويرفعون القبعات ويطأطئون الرؤوس ويؤدون كل احترام واكرام .

وهم اطوع خلق الله لاولياء الامر فالشرطي مثلا قادر على تفريق الجم الغفير وتسكين تيار الهياج مهما كان باشارة من عصاه القصيرة التي رسم عليها صورة تاج الحكومة .

وتراهم يقلدون كبارهم في كل امورهم ويتمثلون باطوارهم في كل الاحوال ويجلون مقامهم لدرجة تكاد تكون عبودية فاقاموا لهم التماثيل والانصاب في كنائسهم ومعابدهم تبجيلاً وتخليداً لذكرهم . فمن يدخل احدى كنائسهم الكبيرة ككنيسة ماري بولس او دير وستمنستر في لوندرا يخيل له لاول نظرة ان الانصاب المشيدة في انحاءها هي تماثيل القديسين ولكن اذا تأملها رأى انها تماثيل قواد الحرب كنلسون وغوردون وغيرهم من رجال العزائم والاعمال . ولعمري ان كل نظرة يرمي بها الجاهل نحو هذه التماثيل لجديرة بان تنبه فيه قواه الخامدة كما ان مطالعة تواريخ حياتهم تبعث في القلوب حياة جديدة .

ومن الغريب ان للانكليز ولعاً زائداً بذكر مفاخرهم ومآثرهم وبابتياع اخف آثارهم فمن ذلك اقبالهم على شراء اجزاء البقرة التي نطحت غلادستون باثمان عظيمة وليس اعتبارهم هذا محصوراً في من كان انكليزياً منهم بل هم

يجلون قدر رجال الاعمال الذين قاموا في كل زمان ومكان ويعجبون بهم كما يعجبون برجالهم ويرغبون ايضاً في احراز اثارهم ومصداق ذلك اعتبارهم الشديد لنابوليون بونابرت الذي يكاد يفوق اعتبار امته له فقد عرضت صورته عندهم للبيع فوصل ثمنها الى مائة وخمسة وسبعين الف فرنك وهي الآن لا تكاد تقدر بثمن وبيعت ضفيرة من شعره مفرقة فبلغت قيمتها ٥٢ الفاً وخمسمائة فرنك وبيعت سنة من اسنانه بستمائة وخمسة وعشرين فرنكاً ويقال ان آثار نليسون وذخائره عرضت منذ مدة للبيع فلم تجمع قيمتها قيمة بعض آثار نابوليون الباقيه للآن في خزائن بعض الافراد في انكلترا فتأمل.

فقراء واغنياء الانكليز

High Life & Low Life

وقد اشتهرت انكلترا بموسريها ذوي الاملاك الواسعة والاموال العظيمة والمتاجر البعيدة الصيت الوافرة الثروة غير انه ان كان فيها المثرون الكبار فان فيها فقراء معوزين لايحصى لهم عديد تراهم يقطنون في بعض انحاء المدن الكبيرة كمدينة لوندرا يتراكمون على بعضهم تراكماً غريباً في بيوت حقيرة وشوارع ضيقة يشمئز منها الغريب تتصاعد منها روائح كريهة لا يشك المار انها مصدر وباء ودار بلاء. فانكلترا اذاً بلاد الضدين ومركز النقيضين

ويقال ان ثلثمائة الف عائلة من سكان لوندرا وحدها تعيش الواحدة منها بدخل قدره ثلاثة شلينات كل يوم عدا عن الفقراء الذين يقضون ليلتهم في مدة البرد والجليد يتضورون جوعاً حتى يموت اكثرهم. ويقال ايضاً انه ينام في كل ليلة في شوارع لوندرا ستة آلاف شخص لا غطاء لهم الاّ السماء ولا

فراش الأَّ الارض

وسبب ذينك الثراء المفرط والفقر المدقع ناتج في بعض الاحيان من طريقة توزيع الإرث عندهم فهم يخولون للابن الاكبر حق امتلاك جميع عقار والده وحده دون اخوته . وحجتهم حفظ كرامة بيوتهم ولذا ترى ان الاموال العقارية تجتمع في ملك شخص واحد يعظم ثراؤه دون الآخرين . وقد احصت جمعية لوندرا عدد المثرين فوجدت ان ملاكي اراضي بلاد الانكليز الاوروبية في سنة ١٨٧٧ يبلغ مائتي الف نفس منهم ١٧٠ الفاً في انكلترا و٢٠ الفاً في اسكوتلاندا و١٠ آلاف في ايرلاندا

وبمضاهاة هـذا العدد الا وهو مائتا الف لعدد سكان بلاد الانكليز وهو ٣٩ مليوناً ترى عظم البون بين الفقراء وعدد الاغنياء بخلاف البلاد الأُخر التي تغايرها في طرق الميراث مثل فرنسا فانها تعتبر الاولاد ذكوراً واناثاً سواء في حق الارث فتقسيم الاموال بينهم على السواء يزيد عدد الملاك ويزيد ثراء الشعب وتوزع الثروة وقد وجدوا ان عدد الملاك في فرنسا يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون

ثم إن الاحصاء دل ان في انكلترا ٣١٨٤ شخصاً يمتلكون وحدهم ١٥ مليوناً ونصف مليون هكتار من الاراضي (اي نصف اراضي بلاد الانكليز) منهم ٤٢١ لهم ٩ ملايين و ١٥٠ الف هكتار اي ان معدل ما يخص الواحد منهم ٢١٠٠٠ هكتار اولهم الدوك سوزرلند له ٤٨٢٠٠ هكتار في شمال اسكوتلاندا ثم الدوك اوف بوكليه له ٤٦٠٠٠٠ اكر من الارض ثم السير جمس ماتيزون له ٤٢٦٠٠٠ الخ . ثم احد عشر من ملاكي اسكوتلاندا لهم بين ٢٠٠ الف

و ١٥٠ الف اكر مثل الدوك ديفونشير ونور ثمبرلند وغيرهم .

ولهذه المناسبة يجدر بنا لان نورد اسماء بعض اغنياء الارض فقد دل الاحصاء ان اشهر اغنياء العالم جاي غلد في اميركا وقيمة ما يملكه ٥٥ مليون ليرا ثم ماكي في اميركا ويملك ٥٠ مليون وروتشيلد في انكلترا يملك ٤٠ مليون وفندربلت في اميركا يملك ٢٥ مليون وجونسن في امريكا يملك ٢٠ مليون ودوق اوف وستمنستر في انكلترا يملك ١٦ مليون ويقال ان هذا الديوك سيصير بعد ٢٥ عاماً اغنى خلق الله ويصير ايراده ٧ ملايين جنيه في السنة اذ تصير اليه املاك وستمنستر وهي اغنى اجزاء لوندن ويليه في الغنى في انكلترا الدوق سوزرلند والدوق نور ثمبرلند

اما عن ثروة الممالك فان ثروة الولايات المتحدة اعظم من ثروة بريطانيا العظمى ولكن شعبها اوفر عدداً من شعب بريطانيا فاذا وزعت هذه الثروة على الشعبين لبلغ متوسط ايراد الشخص الواحد في الولايات المتحدة الاميركية ٢٤ جنيهاً في السنة وفي انكلترا ٣٤ جنيهاً . وفي بلاد الانكليز مائتا غني معدودين من الالف غني المشهورين في العالم وقد دل اخيراً الاحصاء بان نصف ثروة البلاد الانكليزية باسرها في يد الف رجل من رجالهم منهم ١٠٠ شخص يبلغ دخل كل منهم في السنة نحو ٥٠ الف جنيه في الاسبوع اي مائة واربعين جنيه في كل يوم . واغلبهم من كبار رجال المملكة .

قلنا ان انكلترا هي بلاد التناقض وادل شيء على ذلك حال اغنياء لوندن المعروفين بالهاي لايف وهم اصحاب الالقاب الشريفة كاللورد والماركيز والسير واصحاب المناصب السامية كالوزراء والامراء والاساقفة الكبار وهم

يسكنون في الجهة الغربية من لوندن وليس بين الجنة والجحيم في الآخرة بين التباين كما هو بين شرقي لوندرا وغربيها فهنا الفقر المدقع والبلاء الموجع وهناك الثروة الضخمة واليسار المتناهي لان اكبر اغنياء الارض كوستمنستر وسوزرلند وروتشيلد وديفونشير وغيرهم ممن يملكون القناطير المقنطرة من الذهب وممن يعد دخلهم بالدقيقة الواحدة مبلغاً طائلاً يسكن شرق لوندرا

اما عن حال معيشتهم فحدث ولا حرج فهم يتمادون في الشرف ومظاهر الابهة والفخر الى حدٍ لا تدركه الاوهام بمستدرك الفكر فلهم الرياض الغناء الانيقة المشيدة فيها القصور الشامخة المفروشة بالاثاث الوثير الفاخر والمتاع النفيس من بضائع اهل المشرق والمغرب وفيها التحف والصور التي تدهش البصائر وتحير الابصار مما لا يوجد عند بعض الملوك . ولهم الخدم والحشم والعواجل النفيسة والخيول المطهمة ولهم في طرق الحديد القطارات الخاصة وفي البحر الذوارق والمراكب وفيها سائر اللوازم يسيرون فيها للمنازه حيث ارادوا ويعدون فيها المآكل والمشارب ما شاؤا الى غير ذلك من ضروب الاستبداد في العظمة والكبر والمباهاة في الشرف والفخر ويليهم في هذا العيش الرغيد الاعيان اصحاب الاملاك والتجار واصحاب الاقلام والمتشرعون

ومن اخلاق هؤلاء العظام حب الشهرة العظيمة والتهافت على ايجاد الصيت الحسن فترى الغني منهم يجود بالالوف لمعاضدة الاعمال الخيرية كالمدارس والجمعيات وفي امور كثيره تعود على الامة بالخير واذا مرَّ به فقير يتضور جوعاً لم ير من داع الى مرحمته والاحسان عليه ببعض الشيء يسد

به رمقه لانه يقدم للجمعيات الخيرية مقداراً من المال فلا يهمه بعد ذلك شيء اخر .

ومن اشهر صفات الهاي لايف الترفع ما امكن عن مخالطة من هم دونهم من عامة بلادهم ولعمر الحق انهم يصيبون فيما يفعلون لان لا شيء في العالم ادل على الاطوار الشنيعة والآداب الحطيطه مثل آداب ادنياء الانكليز فهم يعيشون عيشة الهمجية في اعظم البلاد تمدناً وترى ان اكثرهم يأخذ ما يعمل به ايام الاسبوع في آخره ويهرع الى الحانات فيشرب الجعة والوسكي حتى تجحظ عيناه وينعقد لسانه عن الكلام ثم يثني الى بيته الخالي من القوت الضروري والاثاث فيقابل امرأةً واولاداً يتضورن جوعاً ويحرقون الأرم من البرد القارص فيقوم اذ ذاك الخصام واللكام حتى تصل الحال الى حد يتفطر له كبد الانسانية ويتوجع لمثله الفؤاد وهذا ايضاً اكبر دليل على اجتماع الاضداد وشدة التناقض في تلك البلاد

النسب والشرف والقابه

وللانكليز اهتمام عظيم بالمحافظة على شرف الفروع الفخيمة من بيوتهم الكريمة فللنسب عندهم اجلال يفوق الحد فهو مرعي ولو في الثرى ووزراؤهم وكبراؤهم متأصلون في المجد يرثون الالقاب الشريفة وراثةً او يتحصلون عليها بعد الجهد الجهيد والتعب الوافر في خدمة البلاد ولكن اكثرهم من الفريق المورث لهم اما الالقاب الشريفة عندهم فهي لقب اللوردية وهذا اللقب على اقسام

اولها . الديوك وهذا اللقب عزيز المنال جداً وليس في انكلترا من

الحائزين عليه سوى افراد يعدون على الاصابع ولا يرتقي اليه الاّ من صاهر العائلة المالكة او من افنى العمر في خدمة الاوطان وفاز على سائر الاقران ونال رضا العباد والبلاد

واولاد الديوك يسمون عادةً لوردات ما عدا البكر فانه يسمى ماركيز في حياة ابيه ويخلفه في لقبه بعد مماته حين يصير عضواً في مجلس الاشراف فيصير حينئذ ديوكاً

ويلي الديوك في الرتبة الماركيز وهي ايضاً من الرتب الرفيعة العزيزة التي لا تنال الا بحسن الحظ او فرط الذكاء ثم رتبة الايرل او الكونت ومعظم لوردات انكلترا حائزون هذه الدرجة مثل روزبري وغيره ويسمى بكر الايرل لورداً وتسمى بقية اولاده باسم العائلة مع لفظة الشريف ثم رتبة الفيكونت ثم رتبة بارون كرتبة اللورد كرومر وهي اكثر الرتب شيوعاً بعد رتبة الايرل ومما يستحق ذكره ان الارتقاء الى رتبة اللوردية يوجب عادة تغيير الاسماء ولذلك كانت اسماء اللوردات الآن هي اسماء الاماكن التي كان يحكمها اجدادهم او التي رغبوا في الانتماء اليها عند ترقيتهم مثلاً السير افلن بارنج الذي دعى نفسه باسم بلدته الاصلية (كرومر) فصار اسمه اليوم اللورد كرومر بارون اوف كرومر اعني امير كرومر ومثله غيره واما الذي يمنح لقب ديوك فانه يولى على اماكن معلومة شهيرة وللماركيز اماكن اصغر منها نوعاً فاذا ارتقى الماركيز الى رتبة ديوك سمي باسم امارة كبيرة من اماكن معلومة واما اسم العائلة الاصلي فيحفظ الى الافراد فيها الذين لا لقباً شريفاً رسمياً لهم

مهرجان المحافظ

ومن عوائد الانكليز القديمة العهد المتبعة عندهم المهرجان الذي يقيمه اهالي مدينة لوندن احتفاء بانتخاب محافظ المدينة ويفوّض انتخابه الى اعضاء المجلس البلدي ويكون ذلك اليوم من الاعياد العظيمة فتغص لوندرا بالالوف الذين يخرجون للتفرج ويطاف بالمحافظ الجديد في شوارع المدينة في مركبة مذهبة تجرها ستة من جياد الخيل وهو بملابسه الرسمية الفاخرة وامامه عربة أخرى مزينة وعليها آلات الحرب وما تنبت الارض وتتعطل الاعمال في ذلك اليوم فيسير بمعية المحافظ ارباب المراتب السنية وامامه صفوف شتى من الناس منهم النافخون بالابواق والعازفون بآلات الطرب ويدخل المحافظ الى منزله في (الستي) ويعرف (بمنشن هوش) وهذه السرايا معدة لاستقبال الملوك والامراء فيدعو تلك الليلة الى العشاء عنده الوزراء والامراء والاعيان وقوماً كثيرين ممن اختلفت آراؤهم وتنوعت مشاربهم ما بين محافظين واحرار. وينفق المحافظ على هذه الوليمة اربعة آلاف جنيه واكثرها من جيبه الخاص لان مرتب وظيفته لا يتجاوز العشرة آلاف جنيه وهي لا تكاد تكفيه لما ينفقه في مدة ولايته من النفقات المتنوعة التي تفوق هذا القدر ولكن لجان الطوائف الحرفية والصناعية في لوندرا تساعده على كل ما يلزم. ومن خصائص هذا المحافظ ادارة شؤون المدينة بدون معارضة البتة. وتعد هذه المأدبة عهداً من العهود لا يخلق بالمحافظ نقضها وموعداً للاجتماع لا يجدر بالوزراء الاحجام عنه وقد جلس عليها اللورد بالمرستون واللورد جون رسل واللورد دربي واللورد بيكونسفيلد وكان

اكثرهم يصرح بكلام كان اعظمه وقعاً في نفوس الامة الانكليزية وبالجملة فان جلوس اولئك الوزراء على تلك المأدبة في تلك الليلة صار يعد من الآثار التاريخية لان اجتماعهم حولها لم ينحصر لمحض الطعام ومعاطاة المدام بل لتبادل الآراء والافكار

ومن التقاليد القديمة المرعية للآن عند الانكليز منذ ٦٠٠ سنة تتويج ملوكهم على كرسي قديم من خشب السنديان محفوظ مع كرسي اخر في كنيسة وستمنستر ومعهما أيضاً حجر اخضر من سكوتلاندا يشيرون به رمزاً الى قوتهم ويزعمون انه هو الحجر الذي توسده يعقوب ابو الاسباط

ويوم التتويج يفرشون الكرسين بالذهب ويجلسون الملك على اقدمهما .

حب الذات

وحب الذات من اخص صفات الانكليز تفرّدوا بهذه الصفة فكانت سبباً من اهم اسباب امتداد ملكهم من شرقي الارض الى غربيها وداعياً الى بسط اجنحة سلطتهم من اطراف اليبس الاسيوي حتى اطراف العالم الاميركي. تأصّلت فيهم هذه الصفة حتى اشتدّ فيهم الحرص على منافعهم الخصوصية فصاروا لا يرون غنيمةً الا اغتنموها ولا فرصةً الا اختلسوها ولا باباً الا ولجوه حتى تمّ لهم ما تمنوا ونالوا ما راموا . وصارت الامم على اختلاف اجناسها توآخذهم على هذا الحب وترميهم بالجشع والطمع الاشهبي

على ان من يتأمل في هذا العالم يراه كله في اشتباك ونزاع لا فرق بين عساكر وصناع ومستكشفين وقسيسين وشعراء وعلماء وطبيعيين وسياسيين كلهم يتنازعون ويتسابقون الى استجلاب النفع لهم ودفع الضر عنهم فمن

يسعه ان يغمض الطرف وينام خالي البال في وسط هذا التسابق العام ولا يسرع مع المسرعين يطوي النهار ساعياً ويحيي الليل عاملاً حباً بذاته وسعياً وراء نفعها .

قال احد علماء الاخلاق ما معنى السعي وراء النفع العام او خدمة الانسانية . من يرسل القول جزافاً ويقول انه يعمل عملاً ولا ينظر فيه الى منفعته الخصوصية إمّا بواسطة ظاهرة او مستترة . فهل من الجناح على الام التي تحب اولادها وتراهم بعينيها اكثر جمالاً واوفر ذكاءً من اولاد جارتها . وهل من النزاهة ان يترك المرء منصباً عالياً لقريبه ويحرم نفسه منه . وهل من حسن العقل ان يهمل الانسان غنيمةً باردةً قدّمتها له معارض الصرف اومن العدل ان لا يقتطف ثمرة اجتهاده ام هل تلام الامة التي تسعى لخيرها حتّى تصل الى اوج العظمة الذي تستطيعه فما يصح على الفرد الواحد يصح على الامة باكملها لانها مطبوعة على حب الذات وفيها صفات الاندفاع الى جلب النفع لها ودفع الضر عنها . فياحبّذا لو كلفَ الكل بحب الذات مثل الانكليز فيقوم النفع المطلوب ويسير روح الغيرة والتنافس الذي ينجم عنه من الفوائد الجزيلة ما لا يحصى فينشط حينئذ العموم على الدرس ويهجمون على الاشغال وتتنبه قواهم الى الاسفار والاكتشاف والاختراع وغير ذلك . والخلاصة ان محبة الذات من جملة النواميس الطبيعية التي اوجدها الخالق سبحانه وتعالى وجعلها من الدعائم التي تشيد عليها العمران فقادت الانسان عفواً الى الحضارة والى ترقية الهيئة الاجتماعية

الوطنية الانكليزية

يلبث الانكليزي دائماً أبدا حتى آخر رمق من حياته كلفاً بحب وطنه وأينما يسافر يغالي في مدحها ويذكر (الهوم) اي منزله متلذذاً كأنّ في ذكراها شرب مدام او مغازلة حسان واذا زار بلاداً غريبة او طاف الارض باكملها من اقصاها الى اقصاها يختم كلامه بقوله ولكن لاشيء احسن من انكلترا بلدي وهو يشتري السلعة الانكليزية باغلى الاثمان وان تكن دون غيرها في الجودة لمجرّد كونها انكليزية وان كان تاجراً فهو يفضل ان يبيعك من بضاعة بلاده الانكليزية وهو لا يتكلم بغير الانكليزية الا عند مسيس الحاجة

يقال عنه انه حر وتراه مع ذلك اشد الناس تعصباً في حب بلاده وقد كانت الامثال في حب الوطنية تضرب باهل سبارطه وقدماء اليونان والرومان واما الآن فيحق للانكليز ان يفتخروا بان هم هم مثال يقتدي بهم غيرهم من الامم في حب الوطنية في كل زمان ومكان

ولا يوهن من قوتهم ما عندهم من الاحزاب التي تتنازع الرئاسة على مناصب الدولة بين محافظين واحرار فانما يختلفون على الوجهة السياسية داخلياً لافي خارجية أمورهم والجميع على رأي واحد في تعضيد الحكومة في كل امر من شأنه اعلاء النفوذ وتوسيع النطاق وكلهم على اتفاق في حفظ الوطنية والاستقلال لاتختلف آراؤهم الا في اختيار الوسائل الموصلة لها فقط والوطنية عندهم تظهر منهم في كل الاعمال . تظهر من ارباب الاقلام وأولي العلم والنهي

بما يبثونه في الشعب من المبادئ الصحيحة العائدة عليهم بالنفع ورجالهم العظام الذين نبغوا تحت سماء تلك البلاد قد تهالكوا في خدمتها واتحفوها بثمار عقولهم واعمالهم وحاموا عنها وحافظوا بالذود عن حماها بسلاح الوطنية . كانوا ولا يزالون كلما لاحت لهم فرصة تمكنهم من جلب النفع اليها اقبلوا عليها واعتنقوها حتى رفعوا شأنها وعززوا شرائعها على الشرائع الالهية والبشرية معاً . فترى الانكليزي كبيراً وصغيراً رئيساً او مرؤوساً يجري في كل اعماله ونصب عينيه تلك العبارة البليغة التي لفظ بها نيلسون في واقعة ترافلغار ونقشت على العمود الذي أقيم عليه تمثاله في تلك الساحة وهي : ان انكلترا تؤمل من كل فرد من رجالها ان يقوم بالواجب عليه . والخلاصة ان الوطنية عند الانكليز حقيقة طبيعية لا تحتمل وجهين ولا يتفق فيها اختلاف اثنين . وهي التي دعت الى عظمة مملكتهم وعدم تغيير عاداتهم وتحول احوالهم رغماً عن كرور الازمنة وتقلبات الظروف .

ديانة الانكليز واعمالهم الخيرية

قال ڤولتير : ان بلاد الانكليز هي بلاد المذاهب ذلك لأنه لمّا كان المذهب السائد في البلاد هو المذهب البروتستانتي وكان من اساس هذا المذهب ان يباح لكل انسان التمتع بحرية الفكر في مباشرة فروضه الدينية ترى في بلادهم شيعاً مختلفة كثيرة العدد حتى يصح ان يقال ان كل واحد منهم يعبد الله ويخدمه حسب وحي ضميره .

اما المذهب البروتستانتي فانه اكثر المذاهب عموماً وانتشاراً في جميع المملكة وقد كان امتداده في اوروبا سبباً لحروب كثيرة سالت الدماء في

ارضها كالانهار وحسبك شاهداً مذبحة ماري برثلماوس سنة ١٥٧٢ في فرنسا .

ولا يخفى ان المذهب البروتستاني يختلف عن مذهب الكنيسه الكاثوليكيه في العقائد الدينيه بامور كثيرة اهمها رفض رياسة البابا وعدم الاعتقاد بالاولياء والشهداء ولذلك كانت جميع الرسوم والفرائض ملغاة عندهم فلا يزينون جدران الكنائس بصور القديسين كما يفعل الكاثوليك .

وتنقسم الكنيسة البروتستنتية في انكلترا الى قسمين الكنيسة الاسقفية الانكليزية او الانجليكانية والكنيسة القسيسيه وينطوي تحت هذين القسمين مذاهب كثيرة وفرق متنوعه

اما الكنيسه الاسقفيه فهي كنيسة الحكومة رئيسها الملك او الملكة ولاساقفتها ورؤساء اساقفتها حق الانتظام في مجلس الاشراف وتصرف الرواتب لعمالها من خزينة الحكومة ولها مطرانان احدهما يقيم في كنتربوري ودخله في العام ٢٥ الف جنيه وهو الذي يتوج ملوك الانكليز وملكاتهم ومقامه في الملكة بعد مقام الملك ونفوذه عظيم . والمطران الثاني يقيم في يورك ودخله في العام خمسة عشر الف جنيه

ويقدر دخل الكنيسة السنوي بمبلغ (٧٥٠٠٠٠٠) جنيه

ومن القواعد المرعية في المملكة ان الملك لا يتوّج الا اذا اعتنق المذهب البروتستانتي ولذلك ترى اكثر الاعيان والاشراف من الانكليز على هذا المذهب .

ويبلغ عدد البروتستانت ١٨ مليوناً في انكلترا ومليوناً في ايرلاندا

و٧٣ الفاً في اسكوتلاندا ويبلغ عدد التابعين للكنيسة الرومانيه في المملكة الانكليزية وتوابعها (٩ر٦٨٥٠٠٠) منهم النصف في بريطانيا وايرلندا ولكن الاكثر في ايرلندا ونحو ٢ مليون و٨٥ الف نفس في كنادا التي كانت ملجأً لهم ايام الاضطهادات الدينية والباقون منتشرون في اكثر ممالك اوروبا وفي الهند وسيلان وزيلندا الجديدة

والكنائس والمعابد كثيرة منتشرة في انحاء المملكة ففي لوندرا لوحدها (١٥٠٠) كنيسة اقدمها كنيسة وستمنستر بنيت منذ ستمائة سنه ويبلغ ارتفاعها ٥٥٠ قدماً وعرضها ٢٠٠ قدم كانت قديماً ديراً للرهبان ثمَّ وسعت وجددت وفيها تتوَّج ملوك الانكليز وملكاتهم وفيها دفن الكثير من اعيانهم وملوكهم منهم هنري الثالث وماري ملكة اسكوتلاندا ووليم بيث وشاكسبير الشاعر الشهير وفيها تمثال للورد بيكونسفيلد وآخر للورد بامرستون ولكثير غيرهم ثمَّ كنيسة ماري بولص وهي اكبر كنائس لوندن واعظمها شرع في بنائها سنة ١٦٧٥ فتمت سنة ١٧١٠ وبلغت نفقتها (٧٤٧٩٥٤ جنيه وقد جمع هذا المبلغ من عوائد ضربت على الفحم الحجري وهي مبنية على شكل كنيسة ماري بولص بروميا ويبلغ طولها من الشرق الى الغرب (٥٠٠) قدم وعرضها ١٠٠ قدم . ولها اربعة ابواب في كل باب قبتان متقابلتان ارتفاع الواحدة ٢٢٢ قدماً والداخل لهذه الكنيسة يأخذه العجب اذ لا يرى فيها سوى تماثيل الملوك والمشاهير من الانكليز وابطالهم ويقام فيها في كل سنة احتفالان شائقان يخصص ايراد الاول لمساعدة ارامل القسس وايراد الثاني لمساعدة المدارس المجانية وهذه الكنيسة هي اكبر كنيسة للبروتستانت والثالثة في العالم بعد

كنيسة ماري بطرس برومیا وكنيسة ميلان

والانكليز على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم اشد الناس مراعاة لفروضهم الدينية يتمسكون بها مثل تمسكهم بعوائدهم وذلك ان لم يكن عن تعبد فهو لغرض ومصلحة . وفي لوندرا نحو ثمانية طائفة ولها مالا يحصى من اماكن الوعظ والعبادة ويجتمع الناس فيها للعبادة في الاسواق والحدائق والشوارع ومع ذلك فالذين لا يدخلون كنيسة من اهلها يزيدون على ثلاثة ملايين نفس عداً وبها ايضاً جمعيات كثيرة تسعى في نشر الديانة المسيحية بتوزيعها في البيوت الكتب والرسائل الدينية منها جمعية تسعى لنشر الكتاب المقدس وزّعت منه منذ نشأتها نحو ١٢٠ مليون مجلد بلغات مختلفة وهي تصرف في سبيل ذلك في السنة الواحدة ما يربو على (٢٥٠٠٠٠) جنيه انجليزي وفي لوندن ايضاً نحو الخمسين جريدة للديانة على سائر مذاهبها وتعظ طائفة القسس الناس في المدن الصغيرة ينقاد بعضهم لهم في كثير من الامور انقياداً اعمى

ويجل الانكليز قدر ايام الاحاد وهم يخصصونها للراحة والعبادة فلا يقبل عصاري السبت حتى ترى الازدحام في شوارع لوندن وغيرها اخذا بالنقصان فتبطل قرقعة العجلات ويقوم دوي اجراس الكنائس ولا يجن الليل حتى تعود الحركة بل تزداد عما كانت عليه قبل وتأخذ الشوارع رونقاً ومنظراً لا تراه في اكثر الليالي فتكون اكثر الحوانيت مزدانة وكلها غاصة بالرجال والنساء وبالفعلة الذين يستولون على قيمة اتعابهم مدة الاسبوع فيتدفقون على الحوانيت كالسيل المنهمر ويشترون مؤنة الاحد وايام الاسبوع وتقفل الدكاكين والمخازن في ذلك اليوم وكافة المصالح حتى البوسطة وتبطل

الاعمال وتذهب الناس الى الكنائس ثلاث مرات ولا يعوقهم عن ذلك لا ثلج ولا برد ولا مطر ومن الغريب ان قطارات سكك الحديد تتعطل في اثناء الصلاة ومتى اقبل المساء عادت الحركة كما كانت فتغص المتنزهات والمسالك بازدحام الناس وهم في غدو ورواح وفرح وارتياح .

والانكليز أشد الناس ميلاً الى عمل الخيرات ليس في الارض كلها امة تنفق على عمل البر والاحسان بقدر ما ينفقون فعندهم الجمعيات الجمة في انحاء المملكة لاغاثة من حلت به نكبة او اصابته مصيبة وفي لوندرا وحدها نيف و ٨٠٠ محل بين جمعيات خيرية لاغاثة ذوي الضيق والفاقة ومحال للصدقة على العاجزين وجمعيات كثيرة تسعى بتوزيع الصدقه سراً على طبقات مخصوصة من المعوزين واخرى لمساعدة ذوي الكد والكدح وغيرها للصم والبكم والعمي

وفي لوندرا ايضاً كثير من المستشفيات لتوزيع ادوية مخصوصة مجاناً هذا عدا عن المستشفيات الخيرية المنتشرة في انحاء المملكة ويقدر عدد المستخدمين في مستشفيات لوندن وحدها بستة آلاف مستخدم منهم (١٣٠٠) اطباء شرف يخدمون المرضى مجاناً وفي هذه المستشفيات اجزاخانات تعالج المرضى وتعطي الادوية مجاناً ولهذه المستشفيات الايراد العظيم تأخذه من الوقف وقد قدرت المصاريف المتنوعة التي صرفت سنة ١٨٩٣ بخمسة ملايين من الجنيهات . فتأمل

اللغة الانجليزية وآدابها

اللغة الانجليزية مأخوذة من لغات كثيرة قديمة وحديثة . اشهرها الانجلو ساكسونية والقلطية والنورمندية والفرنساوية والدانيركية واللاتينية

وهي لغة سمع وليست لغة نظر فقواعدها بسيطة ولكن الكتابة الصحيحة فيها صعبة فقد يكتب الانكليزي أحرفا لا يقرأها ويقرأ أحرفاً لا يكتبها ويكتب حرفاً ويقرأ آخر وهذا ما يوجب على المتعلم سمع التلفظ بها من الانكليز انفسهم

وتتألف اللغة الانكليزية من ٤٣٠٠٠ كلمة منها ٢٩ الف من الاصل اللاتيني و ١٤ الفاً من اللغة الجرمانية ويقسم غراماطيق هذه اللغة الى اربعة اقسام . اولا قواعد التهجئة وكلها سماعية . ثانياً الصرف وهو بحث عن اقسام الكلام وتصريف الافعال والاسماء واشتقاقها من اللغات الاجنبية . ثالثا النحو وتركيب الجمل . رابعاً العروض وهو بحث عن وزن الشعر .

اما آداب الانكليز ومعارفهم فيكفي ان يقال عنها انها تشبه مصنوعاتهم من حيث الجودة والمتانة . يعتمد كتابهم وشعراؤهم ومؤلفوهم على حقائق الاشياء اكثر مما يعتمدون على التنميق وزخارف الكلام . ويطرق اكثرهم المواضيع التي يريدون الكتابة فيها بلا استهلال ولا استفتاح مقدمة مع امكانهم على التعبير عن ادق المعاني وعن وصف كل خاطر يمر بالخاطر . وقد نبغ منهم كتاب وشعراء فاقوا من سواهم في قوة التأثير على الاخلاق وتهذيب العادات . وهم يدأبون في نشر لغتهم في العالم لتكون واسطة لانتشار مبادئهم

ومتاجرهم وسطوتهم وقد تقدمت هذه اللغة من بدء القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً وكثر عدد المتكلمين بها حتى صاروا يقدرون بمائة وخمسين مليون من النفوس وهي منتشرة على مساحة اوسع من مساحة الممالك الانجليزية منها الولايات المتحدة الاميركية . وهي لا تزال في تقدم وازدياد وليس ببعيد ان تصير اللغة الرسمية بين المتحدثين وتلي هذه اللغة في الانتشار اللغة الالمانية والروسية ثمّ الفرنساوية

القضاء الانكليزي

الانكليز كما علمت اشد الناس تمسكا بعاداتهم القديمة وقد سرى هذا التمسك الى القضاء فلا ترى لهم قانوناً يتسلط عليه ودليل القاضي الى الحكم عندهم انما هو اجتهاده المبني على العرف والذمة . وهذا بخلاف الامم المتمدنة كالفرنسيس والبلجيكيين والايطاليين وغيرهم الذين لهم القوانين المطولة النصوص المفصلة الابواب . لكن عند الانكليز كما عند غيرهم القانون التجاري لان التجارة تضطرهم طبعا الى السفر والى اكتساب ثقة الامم التي يعاملونها . اما الامور المدنية والعقوبات فلا قوانين لها عندهم سوى بعض اصول عمومية ولذلك كان القاضي عندهم في مقام عظيم وذا راتب كبير لا يحتاج معه الى الرشوة وهم لا يعينون الا ممن اشتهروا بالعلم الواسع والذمة الطاهرة .

وعندهم الجوري (المحلفون) يقضون في اكثر القضايا ويختارون من الشعب وعددهم ١٢ فيجلسون ويسمعون المرافعات ولا يتصلون بالناس الا بعد ان يتداولوا ملياً ويبدوا رأيهم في القضية مجرداً عن الاسباب ويأتي بعد ذلك القاضي ويطبق هذا الرأي على الوقائع والنصوص ويوضح الاسباب

في الحكم .

وقصارى القول ان الانكليز يسيرون في قضائهم حسب ما توحي اليهم الذمة ويرشدهم اليه العقل وتعليلهم في ذلك ان الحوادث والوقائع محتاطة بظروف واحوال مختلفة لا تستطيع القوانين ان تشملها كلها وتضع لكل منها حكماً خاصاً فلذلك ابقوا مرجع الفصل للضمير فانه يستطيع ان يزن كل مشكلة بظروفها ويضع لها الحكم المناسب . ومتى كان الضمير الطاهر متثبتاً من عدالته كان الحكم عادلاً بالطبع

الجرائد

لم تنتشر الجرائد في مملكة من الممالك او في قطر من الاقطار اوروبية كانت او غير اوروبية كانتشارها في بلاد الانجليز وليست تلك هي المزية الوحيدة التي فاقت بها الجرائد الاخرى بل امتازت عليها ايضاً بجودة طبعها وصحة اخبارها وسرعة انتشارها فمن يقلب عددا من اعداد جريدة التيمس مثلا يعجب من اتقان صنعها ودقة ترتيبها ورخص ثمنها وكثرة اخبارها ولا غرو اذا قال انها اعجوبة من عجائب هذا العصر وطرفة من طرائف ذلك القطر وتوخيها الصدق وثبات عزمها اكسباها ثقة الشعب فانه لا يركن الا اليها وكثيراً ما خدمت هذه الجرائد حكومتها بارشادها ولاة الامر الى طرق حل المفصلات السياسيه والاداريه وبهدايتهم سبل الرشاد اذا اشكلت عليهم المسائل الخارجية والداخلية فتشير الى ما يبدو لها من الخلل وتعارض الاقوال والتعليمات والاوامر واختلاف النظر فيما ينبغي ان يعمل او لا يعمل . وقد قال في هذا الصدد اللورد روزبري احد فطاحل وزراء انجلترا مامعناه :

« ان جرائد هذا القطر تهدي رجال الحكومة وترجم افكار الامة فان « خالفت ذلك تصير غير جديرة بثقة الشعب بها ولذا يجب ان تكون قاعدة « اصحاب الجرائد كن صادقاً ولا تخف »

وهاك دليل على ان الجرائد الانجليزيه انما تخدم وطنها بصدق وشرف ليس لهما مثيل عند اصحاب الجرائد الاخرى ما ذكره الكاتب الشهير المسيو دوفارن في احد مؤلفاته قال :

في سنة ١٨٤٥ كثر عدد شركات السكك الحديديه كثرة عظيمة جداً لم يعهد لها نظير من قبل فانهالت الطلبات والاعلانات على جريدة التيمس من هذه الشركات العديدة لنشرها في صحائفها لتدعو الناس الى الاكتتاب او الى الاشتراك او ... الخ . حتى بلغ دخل الجريدة من نشر هذه الطلبات والاعلانات فقط ما ينيف عن ٣٠٠٠٠٠ فرنك في الاسبوع الواحد الا ان مدير جريدة التيمس اذ ذاك آثر تنبيه الامة الى عواقب كثرة هذه الشركات الوخيمه على تلك القناطير المقنطرة التي كانت تنصب في خزينته كالسيل الجارف فكلف بعض مشاهير الاقتصاديين الراسخين في العلم وبعض ذوي البنوك الذين لهم دراية تامة بالاعمال الماليه بتحرير المقالات المؤيدة بالبراهين القوية والحجج الدامغة لرد مؤلفي الشركات الحديثة النشأه اما بالعدول عنها او بالتروي والتأني لتنظر ماذا ستكون عاقبة من قبلها او لتخطيط اقوم المناهج اللازم اتباعها لئلا يلحق بهم الخراب والافلاس . نعم انه عند نشر هذه المقالات في جريدته قلت الواردات ونقص دخله الا انه في مقابل هذا النقص اكسب الجريدة شهرة عظيمة جداً لازدياد ثقة الشعب في صدق خدمتها للامة والوطن وقد

انشأت هذه الجريدة في سنة ١٧٨٨ وكان حجمها صغيراً عارية عن الاخبار وفي السنة الثانية لظهورها سجن صاحبها جون ولتر مدة ١٦ شهراً لطعنه على البرنس دي غال والدوك كلارنس الا ان الجريدة لم تتأخر ساعة واحدة عن ظهورها وظلت بين عواصف الاهواء وظلّ صاحبها يجالد الاخصام ويناضل بعض وزراء وقته مناضلة الابطال حتى كبرت الجريدة وعظم شأنها وكثر قراؤها وصارت تصدر الآن وعدد صفحاتها نحو العشرين صفحة وكل عدد منها يعد مؤلفاً ولكل موضوع صفحة كاملة وهي الآن سيدة الصحف ورئيسة كل من تاجر بالانباء والمقالات السياسية . ومن الادلة على صدق خدمة هذه الجريدة لوطنها عدم مبالاتها بالمئة والخمسين الف جنيه التي صرفتها على تحقيق ما كتبته ضد بارنل وحزب الارلنديين الذين كانوا يتآمرون على الثورة والاستقلال ويشجعون البغاة على ارتكاب المنكرات ودس الدسائس لتقويض اركان الدولة الانجليزية ففضحت امرهم بما كتبته من المقالات الرنانة واوقعتهم في ورطةٍ لم يروا الى الخلاص منها سوى الانكار وطلب التحقيق . فاجابت الحكومة سؤلهم وشرعت ادارة الجريدة تصرف على تحقيق ما كتبته الاموال الطائلة من مثل استدعاء الشهود من اطراف الارض حتى بلغ مجموع ما نفقته ١٥٠ الف جنيه ولم تربح من ذلك سوى تحقيق نبالة غايتها وصدق خطتها . ويدلنا على علو شان هذه الجريدة ما قاله اللورد لينده هورست سنة ١٨٣١ : « ان بارن هو اعظم رجال المملكة سلطة وشوكة » وقد كان بارن وقتئذ مدير جريدة التيمس . ومما يحكي ايضاً انه لما جاء صاحب هذه الجريدة الى الاستانة نزل ضيفاً على جلالة السلطان

في سراي يلدز وكان ملوك الارض من مثل شاه العجم وملك البلجيك وامبراطور المانيا وغيرهم يحسبون مقابلته ومحادثته من اكبر دواعي الحظ والسرور

ولا يشك الخبير ان الجرائد الانجليزية هي صاحبة النهى والامر ليس لقولها راد ولا معارض فهي القوله الفعاله القادره القهارة لا تبيع ذمتها بارخص الاسعار فتدور كيفما دار الدينار مثل فريق من الجرائد في بعض الاقطار بل تراها دوماً ناهجه منهجاً واحداً منذ نشأتها لا تحيد عنه ولو كان دونه الموت فلا تتوخى الا صدق خدمة الشعب والوطن

ولو ان اسعار هذه الجرائد زهيده جداً فضلاً عما هي عليه من دقة الطبع وجودة الورق وكثرة الاخبار الا ان دخلها عظيم جداً فقد روى الكاتب الانجليزي سكوت ان دخل احدى الجرائد الانجليزية التي تنشر في لوندره وتباع بخمسه مليمات بلغ سنة ١٨٨٤ ما يأتي : معدل مصرف السنه من ٦٥٠٠٠٠٠٠ فرنك الى ٦٧٥٠٠٠٠٠ فرنك مكسب صافي من ١٣٧٥٠٠٠٠ فرنك الى ١٥٠٠٠٠٠٠ فرنك فيكون في مدة الثلاث مائة وثلاثة عشر يوماً التي تصدر فيها الجريده في السنه الواحده هكذا مصرف يومي : ٢١٥٠٠ فرنك ومكسب ٥٠٠٠ فرنك فتامل وقد كانت جريدة الدايلي نيوز التي تصدر في لندره فاتحة الجرائد الزهيده الثمن ثم حذت حذوها جرائد اخرى كثيره

ومكاسب هذه الجرائد غير مقصورة على قيم الاشتراك لان هذه القيم قليلة جداً بالنسبه الى المصاريف التي تتحملها . فان جل مكاسبها من درج الاعلانات والطلبات الخاصه بالتياترات واللوكاندات والشركات التجاريه

والمدنيه والاقتصاديه والبنوكه واخبار المواليد والوفيات والمعارض والملاهي والسباق واعلانات الوابورات البحريه والبريه ونشر الاعلانات القضائيه الخاصه بالحجر والبيع وما شاكل ذلك على ان مصاريفها عظيمه وكفانا شاهداً كثرة ما تدفعه جريدة التيمس الى مكاتبيها باريس وڤينا وبرلين واسلامبول وسان بطرسبورج فان رواتبهم تنيف عن رواتب الوزراء . فراتب مكاتب باريس خمسة آلاف ليرا سنوياً مع قصر نفيس يقيم به على نفقة الجريده لا يليق الا بالملوك ولهؤلاء المكاتبين مقام كبير سام لدى الامه الانجليزيه وهم ينتخبون من رجال العلم والسياسه الذين سبكتهم تصاريف الدهور ونجذتهم الامور فعرفوا اساليب الاستشار بالقلوب واسترقاق العقول ببليغ الكلام وعظيم الدهاء وشائق التعبير

وقد امتازت الجرائد الانجليزية بشدة العنايه باستجماع الاخبار من مواطنها وسرعة نشرها ولو كان دون ذلك بذل النفس والنفيس ودليلنا ما كان من امر مكاتب جريدة التيمس المسمى ارشيبالد فوريس في سنة ١٨٧٠ لما استوت لظى الحرب بين الامة الفرنساويه والامة الالمانيه فانه كان يرسل لجريدته اخبار الوقائع الحربيه ساعة بساعة تلغرافياً حتى لجأت الجرائد الفرنساوية الى نقل اخبار تلك الحرب المشومه من الجرائد الانكليزيه ودرجها باعدادها وكان الانجليز في هذه الحرب وفي غيرها يعدون ما مضى عليه اكثر من اربع وعشرين ساعه قديم العهد غير جدير بالالتفات اليه . مع انه ربما يكون الشعب الفرنسوي جاهلا ما مضى عليه يومان او اكثر

ومن ذلك ان جريدة الدايلي تلغراف عرفت بانتصار اللورد كتشنر

سنة ١٨٩٨ على الدراويش قبل ان عرفت الحكومة الانكليزية نفسها

ومنها ايضاً ان المستر غلادستون الخطيب المصقع الانجليزي والوزير الزائع الصيت بعث في سنة ٩٢ الى جريدة امريكيه مقاله خاصه بالمسألة الايرلانديه تلك المسئله التي شغلت افكار السياسيين الانجليز فلم يستطع احد منهم حلها حلاً مرضياً (وهي الآن موضع البحث والنظر والمناقشه في انجلترا) ولما كانت جريدة التيمس من الد خصوم المستر غلادستون لا سيما فيما يتعلق بتلك المسأله رغبت في الحصول على تلك المقاله ونشرها قبل الجرائد الأخرى . ولذلك اتفقت مع مدير الجريده الامريكيه على ان يرسل لها تلغرافياً ٢٥٠ كلمه من مجموع كلمات المقاله البالغ عددها ٤٥٨٣ كلمة . فظهرت المقاله في اعمدة الجريده مفسرة بالقول الجلي الواضح

وليست جرائد لوندره وحدها صاحبة النفوذ فان لكل بلد من المقاطعات والاقسام الانجليزية جرائد خاصه بها ربما تمتاز عن جرائد لوندره في دقة اخبار المقاطعه التي تظهر فيها ولبعضها شأن كبير ومقام رفيع بين الشعب الانكليزي وهي في درجة تستطيع بها منافسة جرائد لوندره ومجاراتها في استجماع شوارد الاخبار من سحيق الاقطار كجريدة مانشستر جواردیان وجريدة دينوبول كوريه . وكثير غيرهما وكلها منتشرة في البلاد الانجليزية وسائر البلاد الاوروباويه والاميركيه ولها من علو الشان ما جعلها ان تضاهي اكبر جرائد عواصم اوروبا وبجريدة مانشستر جواردیان مكاتبون مخصوصون في البلاد الاوروبية الشهيره ولها مكتب خاص في باريس عاصمة فرنسا ووكالة وسلوك تلغرافية خاصة تربطها بلوندره . ولمديري الجرائد الانجليزية عناية غريبة

في صون سمعة جرائدهم تضاهي عناية اصحاب المحلات التجارية في لندن او ليفربول في المحافظه على اسم المحل او السعي في اعلاء شأنه وازدياد قدره فيسمون دائماً في البحث عن صحة الاخبار الوارده لها من غير مكاتبيها ولا ينشرون الا ما وافق مشرب الجريده والذوق الانجليزي فينقحون العبارات ويطلونها بطلاوه تأخذ بلب القارئ خشية ان يمسه ملال او كلال والمقالات السياسية بها تكون غير ممضاة دلالة على ان ذلك كلام الجريدة ورأيها ومشربها ومطلبها. وتتحاشى هذه الجرائد نشر المقالات التي بها طعن شخصي او هجو او سباب او غير ذلك بيد انها ترى وجوب الطعن في الاراء والمناقشة في صحتها او فسادها والمناظرة في المواضيع السياسية والاقتصادية والعلمية والصناعية لان ذلك انما هو من متممات واجبات الجرائد وبها ينتفع القارئ كثيراً فيزداد بسطةً في العلوم بالمسائل الداخليه والخارجيه التي لها عنده شأن كبير

وخلاصة القول إنّ غرض الجرائد الانجليزية انما هو الاحكام والافعال دون الاشخاص وهذا هو عين الصواب فما دامت الجريده لا تتجاوز دائرة الاحكام والافعال في انتقادها بلا تعرض للاشخاص بالذات فلا لوم عليها ولا تثريب ولا خوف ولا تأنيب

والحكومه الانجليزيه اكثر الحكومات كسباً وربحاً من جرائدها لانها اكثر جرائد العالم انتشاراً وعدداً واوفرها مواداً وعدداً فقد دلّ الاحصاء انه في سنة ١٨٩٤ بلغ عدد الرسائل التي تصدرت في داخل البلاد الانجليزية ٢٫٧٨٩٫٥٠٠٫٠٠ (بليونين وسبعمائة وتسعه وثمانون مليوناً ونصف مليون) اي انه يخص منها كل فرد من سكان انجلترا ٧٢ رساله

وارباب هذه الصحف من اعظم الناس ثروة فقد بلغت التركه التي توفى عنها المستر جون ولتر احد اصحاب التيمس اكثر من مئتين وسبعة وسبعين الف جنيه . وتوفى قبله المستر ادورد ليود عن تركة قدرها خمسمائة وثلثة وستون الف جنيه وبلغت تركة المستر ليفى من اصحاب جريدة الدايلي تلغراف نحو اربعمائة وخمسه وسبعين الف جنيه وقس على هذا ثروة اصحاب الجرائد الاخرى الشهيره

ومما هو حرى بالذكر عن جريدة التيمس ان البارون هوش وهو من اغنياء الارض وصاحب جريدة الدايلي تلغراف والبال مال غازت وسان جمس غازت وغيرها حاول ابتياع جريدة التيمس مراراً فعاد عنها لما رأى ان اصحابها لا يبيعونها باقل من خمسه ملايين جنيه فتأمل

ويبلغ عدد صحف الاخبار في بلاد الانجليز نحو ٢٣٠٠ جريده . منها ٥٠٠ في لندن . اشهرها التيمس . الدايلي نيوز . الستاندرد الدايلي كرونيكل . بال مال غازت . وستمنستر غازت . سان جمس غازت . وثمن العدد الواحد من هذه الجرائد بني او نحو نصف غرش ما خلا التيمس فان ثمنه ثلثة اضعاف ثمن غيره وليس في انجلترا جريدة تضاهي جريدة نيويورك هرلد الاميركية في انتشارها وكثرة عدد قرائها فهي تبيع كل يوم ستماية الف نسخه وتصدر الجرائد في اوقات معينه من النهار فاشهر جرائد الصباح التيمس وهو ليس متشيعاً لاحد الاحزاب والديلي نيوز وهى جريدة الاحرار . والستاندرد وهي لسان حال المحافظين والمورنج پوست وهو لسان البلاط الملوكي . ثم الديلي تلغراف وأشهر جرائد المساء بال مال غازت وسان جمس

اما المجلات الاسبوعيه فكثيرة العدد واكثرها يسرد الحوادث المحليه واهم اخبار الاسبوع السياسيه ثم يتبعها بعض نوادر تاريخيه او روايات غراميه وتأتي بعدها المجلات الشهرية والغالب منها لا يبحث الا في المسائل السياسيه والاقتصاديه . ومن المجلات الانجليزية ما يظهر كل ثلاثة اشهر مرة واحدة واكثرها انتشاراً وابعدها صيتاً اثنتان مجلة ادمبورج ومجلة كوارترلي وموضوع بحثهما قاصر على الانتقاد والتاريخ ليس الا وقد مرّ على هاتين الجريدتين ثمانون حولاً حازتا فيها مجداً وفخراً

مبرات انكلترا

ومما هو جدير بالذكر ان انكلترا لم تهرق في سبيل امتلاك الاملاك الواسعة سوى دم القليل من رجالها فالهند مثلا ما امتلكتها الا بمساعي الشركة التجارية اعني بمساعي عدد قليل من تجارها وهي لا ترسل الى المستعمرة متى أتمت فتحها الا نفراً قليلاً من رجالها يعدون على الاصابع يستلمون زمام امور البلاد واحكامها ويتعمدون الحكمه والسداد بين الاهلين وتقرير العدل والمساواة وينشرون لغتهم وآدابهم .

وانكلترا هي البلاد الوحيدة التي تسمح لكل بضاعة اجنبية بالدخول لها ولا تضرب عليها الرسوم ما عدا المواد المهربة

وانكلترا اصبحت الآن كما قال المستر بلفور سنة ١٨٩٠ ملجأً للفقراء والمعوزين الاجانب من كافة النحل والمذاهب والفقراء الاجانب في انكلترا اوفر عدداً منهم في غيرها واكثرهم يفدون ببضائعهم التي لا أثر لها ولكن الانكليز لا يخشون منهم ضرر المباراة ولا يرون من مقتضى اسد ابواب

البلاد دونهم.

وقد اتت انكلترا منذ مائة سنه تقريباً بعمل جليل نشأ عنه تأثيراً بيناً عظيماً في حال الهيئه الاجتماعيه الا وهو نسخ الاسترقاق فقد تألفت منذ مائة سنه في لوندرا جمعيه عنوانها جمعية تحرير الرقيق وكان من دأبها التصدي للاسترقاق فرفعت الى البرلمان مطالب لم يقر عليها خوفاً على الهند فلم تحبط عزائم تلك الجمعية وساعدتهم الاقدار فكان لهم ظهير ونصير خطيبان مصقعان من اعضاء البرلمان وهما فوكس وبورك فكانا يشنعان في الخطابة على تلك التجارة ويلتمسان النهي عن تعاطيها ولم يزالا حتى استمالا القلوب وصدرت الارادة بنسخ الاسترقاق في بعض الجزائر الانكليزية سنة ١٨٠٧ وسيرت السفن الحربية الى بحر الهند تقطع الطريق على المراكب الحاملة للرقيق وانتدبت خطباء اعلام نادوا بالاخاء الانساني وبينوا سوء حال الرقيق وضنكه وجور التجارة عليه وسوء معاملة النخاس له فوقع الخطاب بمجامع القلوب واهتز البرلمان رأفةً وحناناً فنسخ الاسترقاق من جميع المستعمرات وتم اعلان ذلك رسمياً سنة ١٨٣١

ثم تخابرت انكلترا مع باقي الدول الاخرى وحملتها على نسخ الاسترقاق من مستعمراتها ايضاً برسائل تفجع القلوب على الارقاء وسوء حالهم وسوء معاملة الجلابين لهم فهاجت الدول واجابت دعوة انكلترا بالتلبية وعقدت معها المعاهدات في تحريم تلك التجارة وكانت مصر من الدول المعاهدة ايضاً فهذه اعظم حسنة يحفظها التاريخ لانكلترا الى الأبد وهي لا تزال تسعى في نسخ المظالم والشرور التي تحل بالجنس البشري فتنصر كل امة مظلومة

برنس اوف ويلس

Prince of Wales

هو البرنس البرت ادورد امير ويلس ولي عهد الملكة فيكتوريا ملكة المملكة الانكليزية وامبراطورة الهند . ولد في قصر بكنهام بلندن في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٤١ ونشأ في ظل والدته وتربى احسن تربية وتهذب اكمل تهذيب في كلبتي اكسفورد وكمبريدج ونال منهما لقب دكتور في الشرائع المدنية وهو بمثابة دكتور في العلوم كلها ونال أيضاً مثل هذا اللقب من مدرستي دبلين وكلكوتا الجامعتين .

وفي سنة ١٨٦٣ اقترن بالاميرة الكسندرينا كريمة ملك الدانمرك . وقد ولدت هذه الاميرة في سنة ١٨٤٤ وما بلغت السادسة عشرة من سني حياتها الزهراء حتى اشتهرت بهاءها وجمالها كما اشتهرت بحامد صفاتها وسمو آدابها وكانت تسوح مع ابيها في عواصم اوروبا فاتفق ان تقابلت بالبرنس اوف ويلس مراراً فاحبها وخطبها الى ابيها . وقد سر كثيراً الشعب الانكليزي والدانيركي بهذه الخطبة ولما آن اوان الزيجة قوبلت العروس بمزيد الرعاية واللطف ورحب بها الشعب الانكليزي اعظم ترحيب إلا ان الملكه لم تشارك شعبها في افراح الزفاف بل اكتفت بحضور حفلة الاكليل في كنيسة وندزور بثوب بسيط من الحرير الاسود مراعاةً لحدادها

واعترى البرنس في سنة ١٨٧١ حمى تيفوسية فشمل القلق الانكليز كلهم واعتراهم الخوف على حياته التي ظلت مدة بين اليأس والرجاء فاقاموا الصلوات

البرنس دي غال

obeikandl.com

البرنس دي غال وعائلته

في الكنائس والمعابد حتى منّ الله عليه بالشفاء فطبقت البشائر انحاء المملكة في الرابع عشر من شهر دسمبر وهو اليوم الذي توفى فيه والده البرنس البرت وكان يتشاءم منه الانكليز فانقلب الكدر في ذلك اليوم سروراً والتشاؤم تفاؤلاً بالخير وتم الفرح بظهور البرنس للشعب بجانب والدته في عربة ومروره في اكثر شوارع لوندرا التي زينت بزينات نطقت بما كان يخالج افئدة الرعية من الاخلاص والمحبة . ثم توّجه في ختام ذلك الى كنيسة القديس بولس حيث اشترك مع الملكه ١٥ الف نفس من اعاظم المملكه بتقديم الشكر لله وقد كتبت الى شعبها تقول انها تجعل ذاك اليوم تذكاراً ابدياً لتوثيق عري المحبة بينها هي وبين عائلتها وبين شعبها

ورزق البرنس من زوجته بولدين البرنس فكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفى سنة ١٨٩٣ وجورج دوك يورك ولد سنة ١٨٦٥ وهو ولي عهده . وسوف تأول ولاية العهد من بعد هذا الدوك الى ابنه البرنس البرت بن دوك يورك ولد سنة ١٨٩٤

ورزق ايضاً البرنس من زوجته بثلاث بنات بارعات في الجمال كامهن ومحبات للبر والاحسان مثلها

وساح البرنس في الهند والولايات المتحّدة الاميركية وكندا والشام ومصر وهو يتنقل على الدوام في عواصم اوروبا .

وله القاب كثيرة منها « برنس اوف ويلس » « وإل لشستر وكرك ودبلين » « وقهرمان اسكوتلاندا » « ودوك كرنول » « وبارون رنفرو » « ولورد الجزائر » « وشفاليه الكارتر » وقومندان كوكب الهند العظيم ومنعم عليه

بصليب سان ميخائيل وصليب سان جورج وله القاب كثيرة عسكريه

وقد جعل في سنة ١٨٧٤ الاستاذ الاكبر للمحافل الانكليزية فاستعزّت به الماسونية وناب عن ابيه بعد وفاته في رئاسة اكثر الجمعيات العلمية الادبية والصناعية وينوب مع قرينته عن والدته في اكثر الاعمال فيفتح الخطوط الحديدية والجسور الكبيرة ويضع حجر الاساس في كل بناء عظيم . ومعلوم ان في رئاسته هذه اكبر واسطة لترقية الصناعة وتنشيط العلوم وتوسيع نطاق التجارة

وقد جمع احسن الصفات على اجمل ذات وتوفّرت له اسباب الترف واحاطت به دواعي العظمة والكرامة . يتفانى الانكليز في مرضاته وينظرون له كزعيم الشرف وقائد الهيئة الاجتماعية ويتمثلون به في كل اطواره . واشتهر عنه التواضع واللطف وطيب القلب والميل الى المحاضرة والمؤانسه وكان يتتبّع مدارج السياسة خطوة خطوة ويراقب اعمال الحكومة بعين ساهرة لا تنام وهمة امضى من حد الحسام واخذ في هذه السنين الاخيرة يبسط نفوذه ويقول كلمته في كل أمر حتى اصبح الملك الحقيقي . وسيرث بعد أمه اعظم الممالك ويحكم اقدر الامم .

الديوك اوف يورك

ولي عهد البرنس دي غال

مشاهير الانكليز

« Great Men »

ان مشاهير الانكليز رجال نبغوا بين اقرانهم فجازوا حدود المهارة والبراعة فكان نبوغهم سبباً لارتقاء مملكتهم وامتهم فتفرد السياسي منهم بدهائه وبعد نظره واصابة فكره واحكام رأيه وعلو كلمته وجمع القوة في يده فاتخذها نصيراً لحكمته فنال معها مراده وفاز بمبتغاه وترك كل سياسي ينظر الى عمله نظر المتعلم منه المقتبس من طرقه . وتفرد عالمهم بانصبابه على علمه وايغاله في مجاهل كل مكنون محجوب عن العلماء الاخرين فجاء بالحقيقة تنير الافكار وتبهر الابصار وتؤيد العمران وتعلم الانسان . وتفرد اديبهم بالادب الناصع . والفضل اللامع . وكاتبهم بالفصاحة . وخطيبهم بالبلاغة . وسائحهم بالايغال والمباعدة . وبحريهم بركوب الاخطار . وجنديهم بثبوت الجأش والجنان وقائدهم بالمهارة . وصانعهم بالحذق . وتاجرهم بالدقة حتى اجتمع لهم من هؤلاء النوابغ مالم يجتمع للامم الاخر التي اذا عز جنديها ذل عالمها واذا نبغ اديبها بكم خطيبها واذا ضحك لها الدهر يوماً عبس اياماً . فالانكليز اذا مات منهم نابغة قام نابغة يرثه ويتم عمله وهكذا حالف نشاط ابنائهم وثباتهم ايام الدهر والعصور . ولقداتينا على ذكر اعاظم الرجال في خلال حديثنا عن هذه المملكة واشرنا الى مبالهم من الفضل في العالم وعلو المكانة عند امتهم التي اقامت التماثيل تخليداً لذكرهم وعملهم وتذكيراً للسلف بفضل الخلف ونذكر هنا ترجمة حياة بعضهم في فصل على حدة نختتم به الكتاب اتماماً للفائدة واذا فاتتنا الاحاطة

بالجميع اجترأنا على البعض

« كرمويل »

« Cromwell »

هو حامي حمى جمهورية انكلترا واصل الثورة الانكليزية .

ولِدَ في الرابع والعشرين من ابريل سنة ١٥٩٩ في مدينة هانتنجدون وكان ابوه من ذوي اليسار واصحاب الاملاك وامه من العائلة الستيارية الشهيرة فدرس اولاً في مدرسة بلدته واتم في مدرسة كمبريدج

ثمَّ قدر له ان يفتح عيني رشده بين اناس لاهمَّ لهم سوى التعصبات الدينية فأثرت هذه المبادىء في افكاره تأثيراً عظيماً ونشأ متعصباً واخذ يتردَّد على قسس الطائفة الانجيلية حتىَّ اشتهر امره مع حداثة سنه في قريته والبلاد المجاورة لها وانتخب في سنة ١٦٢٧ عضواً في البرلمان فظلَّ فيه حتى حلَّه وقتئذ الملك ثم عين قاضي صلح لبلدته وما يجاورها .

ولما شرع كارلوس الاول يثير الاضطهاد ويكره اكثر الكاثوليك الى هجر الاوطان والتماس حرية الدين في امريكا كان كرمويل مع غيره من اعاظم المملكة على اهبة الرحيل فصدهم الملك عنه فاضمروا له الشر وكان ايضاً النزاع قائماً على قدم وساق في داخلية البلاد والامن مفقوداً منها والملك في خصام مستمر مع اعضاء البرلمان الذين كانوا يحاولون نزع السلطة المطلقة عنه واستمرَّ الحال على هذا المنوال حتىَّ تألفت الاحزاب المختلفة فتمكن كرمويل في ذلك الوقت من اتخاذ الوسائل لبلوغ آمال كثيراً ما هجس بها في

عالم الخيال فعرّض نفسه لشر العواقب والاخطار وانضم الى حزب البرلمان الذي كان مؤلفاً من بعض وجهاء المملكة وغيرهم من عامة الشعب وارباب الحرف والصنائع واخذ يحرك على العصيان ويضرم نار الفتنة حتى ثارت الحرب الاهلية فرأى ان حزب البرلمان لا يستطيع الثبوت امام جيش الملك فترك لوندرا وطار الى اقاليم انكلترا الشرقية التي ربيّ فيها واخذ يسعى بكل جهد وحمية بين فلاحيها حتى جمع منهم رجالاً أشداء اقوياء كون منهم جيشاً فدربهم في اقرب وقت على كل ما تهم معرفته من طرق الحرب وأطاعوه طاعة عمياء وفازبهم على الملك وجيشه في موقعتين عظيمتين احداهما في مارستين مور سنة ١٦٤٤ والاخرى في ناسبي سنة ١٦٤٥ . ثم ضايق الملك حتى اضطره لان يسلم نفسه اذ لم يجد له مناصاً للخلاص ووضعه في قصره تحت الحجر ثم طلب من اعضاء البرلمان الحكم بقتله فقاومه البعض منهم فقهرهم وانتدب غيرهم ممن يوافقونه واقام امامهم محاكمة الملك فظهر لهم انه خائن يستحق الموت فاضطرب الكل من هذا الحكم ولكن لم يستطع احد ان يحرك ساكناً لان هيبة كرمويل وقوة جيشه منعتا كل عصيان وشقاق وهكذا قطع رأس الملك امام قصره ويتهول . فلما ان خلت سدة الملك من ملك تأمب حوالي كرمويل الاشراف واكابر المملكة ونادوا بالجمهورية واقاموه مديراً ورئيساً لها واطلقوا عليه اسم سامي حمي جمهورية انكلترا وكانت الحفلة لارتقائه ذاك المنصب عظيمة تقرب من حفلات تتويج الملوك فقال له احد اصدقائه : ألم ترَ هذا الاحتفال من العامة بك ايها المحامي فقال ان هؤلاء الرعاع لا يلتفت الى تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فهم تبع للغالب فلو اخرجت في مثل هذا اليوم للقتل لكانوا خرجوا

الى التفرج عليّ مثلما خرجوا الى الاحتفاء بي الآن . ولم يثمل كرمويل من هذا الفوز العظيم بل استمر محافظاً على ما كان عليه من اصالة الرأي والحزم يدير زمام الاحكام ورئاسة الجيوش فارتفع قدره وانتشر ذكره ووقعت هيبته في قلوب الشعب وما زالت سطوته تمتد في البلاد حتى استولى على زمام المملكه فآثر اذ ذاك الاستبداد فى الاحكام وساس البلاد كما قال احد المؤرخين بعصا من حديد واخمد الثورة التى اثارها هو بنفسه وكان من اهلها الأَولين والآخرين وروي بعض المؤرخين ان خصومه كانوا وقتئذ عديدين ولذا كان يلبس درعاً من الحديد تحت ثيابه حذراً من غدرهم . وقد اعترضه بداءة بدء على استبداده فى الاحكام اعضاء البرلمان ولكنه لم يصغ الى اعتراضهم بل اقالهم من مناصبهم واقام غيرهم ممن كان يأتمهم ويعول عليهم . ولبث مصراً على عزمه متثبتاً بغايته والسعد والتوفيق يخدمانه حتى مال الى التسلط المطلق وطمح الى التاج الملوكي ليخلفه لذريته من بعده بيد انه تخلى عن هـذا القصد لما كان يحدق به من الاخطار ولعلمه بان اربه انكلترا الذي لابدلها منه ان تكون محكومةً من البرلمان بحسب الطرق والرسوم .

وقال بعض المؤرخين : ان القلوب لم تتعلق بكرمويل بل اعتبره الجميع كواسطة غير مرضية لم يكن لهم خير منها ولو تخلىّ يوماً عن السلطة التي حازها بقوته واقتداره لاضطر ان يعود اليها في الغد لانه لم يوجد اذ ذاك مثله من يصلح لادارة الاحكام ولاجراء النظام والعدالة بين جميع الاحزاب وقد بلغ من التفنن في ضروب السياسة والمكر ما يعجز الواصف عن وصفه وكان آية في اصالة الرأي والعزم والاقتدار في مدة الاربعة اعوام التي

حكم فيها جمهورية انكلترا ومات محموماً سنة ١٦٥٨ وهو في التاسع والخمسين من العمر .

وقد عده المؤرخون في مرتبة رجال الدهر العظام وقال عنه العالم الفرنسوي الشهير جيزو ما معناه : قد قدر لهذا الرجل حظ الرجال العظام نعم انه لم يكن بمقام ميرابو (خطيب الثورة الفرنساوية والمظهر لها بثبات جنانه وطلاقة لسانه سنة ١٧٨٩) ولا اشتهر اسمه في السنين الاولى في البرلمان مع كل ما كان يظهره من الحركة العظيمة في الاعمال ولكنه يشا به في حكمته واقتداره نابليون بونابرت

*
* *

يتعطرّ التاريخ الانكليزي بشذا اعمال والد وابنه نبغا تحت سماء بريطانيا العظمى في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر فكان كلاهما في الذكاء وفي الفصاحة والخطابة غاية وفي بعد الهمة ومحبة الوطنية قدوة بيد أن الابن فاق اباه في امور كثيرة فمثلّ في مشاهد السياسة فصولاً طبق ذكرها الفضاء وبلغت بشهرته حد الانتهاء حتى قيل انه آية من آيات العالم ومعجزة من بدائع معجزاته وكان ايضاً كلاهما شديد الوطأة على فرنسا بذلا كل جد وهمة في سبيل اسعاد الأمة الانكليزية حتى خيل للعالم انهما ما خلقا الا ليكونا دعامة تقدمها وركن سعادتها فاتخذت حياتهما واعمالهما مثالاً يقتدي بهما الانكليز بعدهما ويطربون بذكراهما قرناً بعد قرن

اما الاب فبيت ويعرف في التاريخ باسم اللورد شتام واما الابن فوليم بيت (وبيت هو حفيد توما بيت الذي استحضر من الهند الالماسة الشهيرة وهي اجمل واكمل الماسة في اوروبا وتدعى بالماسة نائب الملك لان توما بيت باعها الى الدوق اورليان بقيمة مائتي الف ريال ولكنها تساوي في الحقيقة مليون ريال وهي الآن بين جواهر الحكومة الفرنساوية النفيسة) وهاك ملخص تاريخهما واعمالهما

« اللورد شتام »

« Lord Chatham »

ولد في الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٧٠٨ من عائلة كريمة وتربي في مدرسة اتون ثم تخرج في كلية اكسفورد الشهيرة وتركها ونفسه تحدثه ان اقتداره الذاتي جدير ان يرشحه لمكان علىّ في العالم الانساني فاتقن فن الانشاء علما ومزاولة وانصب باكمله على مطالعة خطب السياسيين الرنانة ثم زار فرنسا فايتاليا ولدى عوده لبلاده اصيب بفقد والده ولم يترك له من حطام الدنيا شيئاً فاضطر ان يبقى لدى والدته ليعولها وتقلب معها ردحاً على حالتي عسر ويسر وما بلغ السابع والعشرين من العمر حتى استنابته عمالة اولد ساروم نائباً عنها في دار الندوة

وكان طويل القامة اهيف القد بهي الشارة مهيب الطلعة حاد النظر جهوري الصوت بليغ العبارة فصيح اللهجة وجملة القول انه كان جامعاً بين تصورات الرجل السياسي ومزايا الخطيب المصقع ولدى دخوله البرلمان كان على رئاسة الوزارة الانكليزية روبرت ولبول وقد اتي وقتئذ هذا الوزير عملاً كان عليه وصمة عار في تاريخه الى الابد وذلّ ذلة لم يغتفرها له التاريخ الانكليزي فكان نقطةً سوداء بين اعماله البيضاء ذلك لانه كان يهب المال ويجود بالوظائف والالقاب ليسد افواه الراغبين في التنديد بوزارته او المنتقدين لاعماله فحصل هكذا على انصار واحزاب يعززون كلمته ويشددون ازره ولما آنس من بيت اقتداراً غريباً رام ان يدرجه في عداد انصاره وان يبهر نظاره بما يطمح اليه كل من

كان في عمره من النضار والوظائف والالقاب قصدان يصير تحت رايته غير ان بيت رفض بشهامة كل ماعرضه عليه وجاهر بمناواته فشدد عليه ولبول النكير وكاد يذيقه من مرارة التحامل عذاباً اليماً فتهيأ لمكافحته ولبث ثابتاً متجلداً يخطب كلما سنحت له الفرصه الخطب الرنانة التي وطأت له عرنين الشهرة منداداً ومجاهراً بمساوي وزلات تلك الوزارة حتى اثرت سهام اقواله في جسمها فقوضت اركانها وقضت عليها قضاء باتاً

فقام بعدها وزاره اخرى عرضت على بيت منصباً فيها فرفضه وامتنع عن قبوله لانه توفق بدقة ملحوظاته الى كشف اسرار الخطة السياسية التي كانت الوزارة معولة على اتباعها واوضح للشعب الانكليزي ان تلك الوزارة ما وجدت الاَّ لخدمة مصالح جورج الشخصية لا لخدمة الوطن الحقيقية فحفظت له القلوب اذ ذاك ذكراً جميلاً وارتفع شأنه لدى اعضاء البرلمان لما آنسوا فيه من الاخلاص المحض للوطن . واظهاراً لرفعة منزلته في قلوبهم تألبوا حواليه بعد انقضاء اجل الوزارة وقلدوه رئاستها فظلّ فيها مدة اربع سنوات سعى اثناءها في خفض شأن فرنسا التي كانت تعوق انبساط الاستعمار الانكليزي في اكثر بقاع الارض

وقد تكلل مسعاه هذا بالنجاح ففاز به فوزاً عظيماً ثم أيد سطوة انكلترا في اكثر ممالك اوروبا ووطدت دعائم حكمها في مستعمراتها الاميركانية واستخلصت من فرنسا الكنادا ولويزيان وافقدتها مستعمراتها الهندية

وكان له الكلمة النافذة بلا معارض في عهد جورج الثاني فلما توفى هذا الملك وخلفه ابنه جورج الثالث اعتزل الوزارة في سنة ١٧٦١ ورتب له ٧٥

الف فرنك مرتباً سنوياً يستعين به على معاشه ثم عاد اليها في سنة ١٧٦٦ فتولاها حتى اذا انتابت جسمه العلل ولم يعد يستطيع القيام بمهام الاعمال لزم منزله مضطراً ووجه اليه وقتئذ لقب لورد شتام الذي عرف به تميزاً عن اسم ابنه .

وقد عز عليه السكوت في عزلته هذه فاستمر على الحضور في قاعة اللوردة يمد البلاد بارائه السديدة ولا يغادر من وسائط اسعاد الامة كبيرة او صغيرة الا ويعرضها على قومه وجاهر وقتئذ بعدم مداومة الحرب مع الولايات المتحدة وكان يهتف في قاعة البرلمان بصوت جهير رنان قائلاً .

« كيف يحق لنا محاربة اقوام تربطنا بهم علاقة الجنسية اليس الامريكان منا »
« اليس الدم الذي يسير في عروقهم هو من الدم الذى يسير في عروقنا »
« الم نرثه كلانا عن اجدادنا اليس فيهم مثلنا اعصاب تتأثر فتثير فيهم النخوة »
« والحمية وتدعوهم الى محبة الحرية كما نحبها والتهالك في سبيل الحصول عليها »
« كما نتهالك في سبيلها هل تبغون ان نسومهم الخسف والذل ونعبث بحقوقهم »
« ونطلب منهم ان يكونوا حجارة صماء فليس من رأيي اشهار الحرب وانما »
« ارى ان نقف عند هذا الحد وان نمنحهم منة وكرماً منا الحرية والاستقلال »
« لئلا نضطر الى ذلك رغماً عنا »

بيد ان الحكومة الانكليزية لم تسر وقتئذ بمقتضى آراء هذا الشيخ الجليل حتى تفاقم الامر كما هو مشهور ولما علم ان البرلمان يعقد جلسته ليعترف باستقلال البلاد التي حامى عنها وكان وقتئذ قد بلغ السبعين من عمره واستعضل داؤه حتى اعيا اطباءه شعر اذ طار اليه الخبر وهو في برحاء الحمى

ان كريات دمه تجيش في عروق جسمه كما لو كان في ريعان شبابه ولما تم اجتماع اعضاء البرلمان اذا به يلج الباب يسنده ولداه جون ووليم عجيفاً هزيلا شاحب اللون وعليه حلة ثمينة فالقى بدخوله الدهشة على وجوه الحاضرين والرهبة في قلوبهم فقاموا له تعظيما واجلالاً وفتحت له صفوفهم ليصل الى المحل الذي عين له بجانب الرئيس وريثما استراح هنيهة وانتهى الدوق ريشموند من خطابه بدأ هو بالكلام بصوت كان يتهدج في لهاته فقال .

« يسرني ان القبر لم يغفر للآن فاه ليبتلعني فشكراً للموت الذي ابقى »
« عليّ لهذه الساعة لارفع صوتي وادافع على مسمع منكم عن حقوق هذا »
« الملك العظيم فانا كما ترونني والآلام قد احنت ظهري والاوجاع تتناوبني »
« والموت يُدني يده مني ليجتذبني لا قبل لي على نفع بلادي في اوحال هذه »
« الاحوال التي آلت اليها »

« ثم خاض طويلاً في المقال بما يناسب المقام الى ان قال كيف نغض »
« الطرف عن حقوق هذا الملك الهائل الذي قام رغماً عن غزوات »
« الدانيزين وتعديات الاسكوتلانديين وهجمات النورمانديين وخابت امامه »
« ارمادا اسبانيا فلبث ثابتاً على حوادث الزمان ولم يزعزعه تصريف حال »
« من الاحوال اترضون بخفض شأنه والحط من قدره امام بيت بوربون »
« ألستم على ما كنتم عليه منذ سبعة عشر عاماً . اذاً مالي اراكم تضطربون »
« خوفاً لدى عدوّكم الالد وفرائصكم ترتعد من ذكراه ارتياعاً وكلكم »
« على اهبة الاستسلام له والركوع على قدميه والطلب منه ان يأخذ منكم »
« كل ما لكم ويجود عليكم بالصلح فقط

« ياذلنا ان كنا نحني الرؤوس استسلاماً . فبالله استحلفكم ان تبذلوا »
« الجهد بما تصل اليه اليد وان تكونوا كالبناء المرصوص المقام امام عوادي »
« الايام والمشيد لدى حوادث الزمان واذا كان لا بدّ من السقوط فلنسقط »
« كابطال الرجال

وكان قصده من خطابه التعجيل باشهار الحرب على فرنسا لانها تجاوزت الحد بعداوة انكلترا وساعدت الولايات المتحدة على العصيان كما هو معلوم فاجاب وقتئذٍ الدوق ريشموند على ما يحول من الموانع دون الشروع في تلك الحرب واذ رأى الشيخ المريض مجالاً للاعتراض على مقاله تحفز للنهوض لاستئناف المقال ولكنه لم يكد ينطق باول كلمة حتى تلعثم لسانه من الضعف واخذته هزة شديدة فوضع يده على قلبه وسقط مغمياً عليه فنقلوه الى منزله وبعد شهر قضي عليه فاجع الانكليز لموته وواروه التراب بدموع سخينه لما كان له من الايادي البيضاء في خير المملكة وكاد يفرز له التاريخ المقام الاول بين وزراء انكلترا لو لم يفقه ابنه وليم .

ومات عن ولد آخر يدعى جون وهو الاكبر ورثه في القابه وماله فتلقى الفنون الحربيه وصار قائداً ثم حاكماً على جبل طارق واما الثاني وهو وليم فقد ورثه في مقامه وسياسته وفاقه في فصاحته ودهائه وطول خدامانه

« وليم بيت »

« William Pitt »

هو السياسي العظيم ولد في مدينة هاى من مقاطعة كنت في ٢٨ مايو سنة ١٧٥٩ فكان مثل ابيه نحيف البنيه اهيف القامه جذاب الملامح حاد البصر يقرأ في وجهه شدة التصورات الفائقه . ربي في مهد التنعم وتلقى العلوم الابتدائية تحت ظل والديه وكان من صغره مطبوعاً على الاجتهاد وحب الاعمال جامعاً بين حسن البداهه وتوقد الذكاء

ولما ارسل الى كلية كمبريدج اضطرّ مراراً لترك المدرسه لما كان يعتريه من الضعف في صحته ولكنه بلغ مع ذلك بين اقرانه المقام الأعلى . وكان كلفاً بدرس دقائق الفلسفة فلم يدع مؤلفاً لاتينياً ولا يونانياً بليغاً الا قرأه وحفظ خطب ديموستين الشهيره وكان يكررها غيباً وصار من عادته اذا قرأ كتاباً اجنبياً ان يترجم عباراته الى اللغه الانجليزية ويدقق في مطالعة البليغ منها تدقيقاً عظيماً مما جعله قادراً على التعبير عن افكاره منذ حداثة سنه بابلغ عباره وافصح لهجه فسر به والده سروراً لا يوصف ووجه اليه كل أماله دون اخيه الا انه توفى قبل ان يتمكن من اعداده للمناصب الكبيرة ولما توفى الاب ورثه اكبر اولاده حسب الشرائع الانجليزية وكان من نصيب وليم دخل قدره ثلثمائة جنيه انجليزي فقط على ان عزيمته لم تكل عن الاعمال للوصول للغاية التي كانت نفسه تطمح اليها فقراء علم القوانين سنة ١٧٨٠ وما جاء شهر يونيه من تلك السنه الا وكان مقبولاً للمحاماة عن ارباب القضايا وهو في

العشرين من عمره . وعكف ايضاً على مطالعة ما يدور في البرلمان من الخطب واصدار الحكم العادل في نفسه على اقوال المتناظرين . وحدثت في ذلك العام انتخابات عموميه فاخذ يسعى لينال عضوية مدرسة كمبريدج التي تخرج منها ولكن المفوض اليهم أمر الانتخابات رأوه صغيراً عن مثل ذلك المنصب

وبعد شهر من ذلك العهد اتيح له ما كان يطير اليه باجنحة المطامع والأماني بتعيينه في البارلمان نائباً عن احدى المقاطعات وذلك بعد ان اشتهر بقوة العارضه وطول الحجه وطلاقة اللسان في المحاماه وظل من يوم دخوله البرلمان يترقب الفرص للكلام حتى اذا سنحت تسنمّ لاول مرة منبر الخطابة وهو في الواحد والعشرين من العمر فوقف بثبات جنان واقدام منتصراً لمذهب بُرْك بشأن الاصلاح الاقتصادي وتدفق بالكلام البليغ الذي كان ينقاد له مسخراً حسب مقتضيات الاحوال واطال في خطابه واعضاء المجلس يصغون له بانتباه ويستوعبون اقواله باندهاش حتى اذا انتهى من المقال ادميت له الأكف تصفيقاً ومالت اليه اعناق العظماء عجباً وذاع صدى اقواله الرنانه بين قومه وقال وقتئذ اللورد نورث رئيس المجلس « كأن هذا الشاب ولد وزيراً وخطيباً » وقال « فوكس » وهو من اعظم عظماء البرلمان ان خطاب بيت يفضله على كل ما سمع لذلك الوقت . اما بُرْك الذي انتصر له بيت فانه رفع صوته مندهشاً وقال ليس هذا فرعا من تلك الشجرة (يعني بالشجره اللورد شتام) بل هو الشجرة باكملها وقال احد اعضاء البرلمان لفوكس سيصير بيت من اعضاء البرلمان العظام فاجابه فوكس . بل هو الآن منهم وخلاصة

القول ان بيت عُد من تلك الساعة من ابلغ الخطباء وكان خطابه الاول دليلا الى ما وصل اليه فذاع صيته وهو دون الثانية والعشرين من العمر

ولما تغيرت وزارة اللورد نورث في اوائل سنة ١٧٨٢ استدعى الملك جورج الثالث الماركيز روكنغهام وكلفه تأليف وزاره جديده فعرض هذا على بيت منصباً ثانوياً فيها فرفضه بدون تردد وصرح جلياً بانه لا يرضى الا المنصب الذي يمهد له سبيل الانتظام في مصاف الوزراء رغماً عن كونه لم يعرف في البرلمان الا منذ اشهر . ولعمري لو كان غيره في عمره ورفض مثل ذاك المنصب لعد معجباً بنفسه ولكنه بدا من بيت امراً طبيعياً وهكذا فانه طمح الى المعالي بسرعة واعجاب وآثر العزلة في تلك الوزارة ولم ينحزب لاحد الاحزاب وانما جنح الى نهج خطة عظيمة تكسبه ميل العالم الانجليزي ورضاه عنه . فلم يخطب الا قليلا وفي امور مختلفة تلائم مصلحة الامه حتى بدا بها حراً اكثر من الاحرار مع كونه ولد من المحافظين الاشراف

ولما عهد زمام الوزارة الى اللورد شلبورن بعد موت روكنغهام وكان انفصل عنه فوكس اصبح في حاجة الى خطيب مصقع ذي فكر ثاقب وحجة قويه يقاوم به معارضات نواب الامه . فعرض على بيت ذاك المنصب الخطير فقبله الا ان حياة تلك الوزارة لم تطل لما كان ينتابها من المنازعات الشخصية .

ولما احس الملك جورج الرابع بدنو اجلها ظل يستدعي بيت مدة من الزمن ويعرض عليه الرئاسة المقبلة لاعتقاده انه فرد تفرد بالحكمة والذكاء وبعد النظر . فما كان من بيت الا ان اعتذر عن قبولها لاسباب كثيرة ولتيقنه انها لا بد ان تأتيه مجردة اذيالها آجلاً او عاجلاً . واضطر وقتئذ الملك جورج

الى تأليف وزارة اخرى رئيسها الاسمي الدوق بورتلند . ورئيسها الحقيقي فوكس فسعى هذا عبثا لدي بيت ليقنعه بالبقاء في وزارته ولكنه اعتزلها كما فعل في عهد وزارة روكنغهام واخذ يعرض الى البرلمان مشروعات الاصلاحات العديدة وكلها لمصلحة الامة جعلت له مقاماً عظيماً في نفوسها ومكانةً في قلوبها الان بعضها لم يصادف قبولاً لدي البرلمان فخبأها في ضميره لمستقبل الايام

ثم عمد لزيارة فرنسا لدرس احوال تلك المملكة والاطلاع على ما كان تهمه معرفته فتعلم في سياحته لغة البلاد ونزل ضيفاً على ملكها وكان رجال البلاط واعاظم المملكة يتهافتون على التقرب منه والتكلم معه وهو يجيب الجميع بفصاحة وبداهة لا مثيل لهما . وروى احد اصدقائه من اللذين كانوا معه ان كثيراً من ربات الجمال الفرنساويات سعين ليجتذبنه اليهنّ برشاقة حركاتهنّ ولطفهنّ المعتاد ولكنهنّ خبن مسعى

ولما عاد الى انجلترا في شهر نوفمبر سنة ١٧٨٣ كان البرلمان يسعى لنزع سلطة شراكة الهند عن تلك البلاد الواسعة الارجاء وفصلها ايضاً عن سلطة الملك نفسه وجعلها تابعة للبرلمان في كامل شروطها . فآنس بيت ان الملك والشعب متحدان على عدم تسليم تلك السلطة للبرلمان ولكنهما كانا عاجزين عن قضاء لبانتهما . فانبرى معترضاً على ذلك المشروع بفصاحة وحكمة كان يدخرهما لمثل ذلك الحين . ثم اخذ يجتمع بالملك سراً وينصحه على ان يوعز الى بعض المقربين اليه بان يسر لكل وزير او عضو من اعضاء البرلمان أنّ من يقبل بمشروع فوكس يعده الملك عدوه الشخصي . فصادف هذا الطلب اذاناً صاغية وقلوباً واعية ورفض ذلك المشروع ولم ينفذ باغلبية الاصوات .

وهكذا اجبر الملك الوزارة في اليوم الثاني الى الاستعفاء وقلد بيت زمامها وذلك في ١٨ دسمبر سنة ١٧٨٣ وليس له من العمر الا نحو اربعة وعشرين عاما

وهنا نترك للعقل مجالاً فسيحا ليتصور بقوة المخيله اقتدار شاب في زهرة الحيوة ونضارة الشبيبة في صدر محفل حافل كبرلمان لوندره ضم الشيوخ والامراء والحكماء والعلماء والعقلاء والخطباء الذين نبغوا في ايامه . وذاك الشاب في الصدر يعارض ويجادل في اهم المسائل . قيل انه خطب مرةً في استهلاك الدين العام فظل على المنبر نحو ست ساعات متوالية يتدفق بالكلام حتى ادهش السامعين وابكم المعترضين وهكذا انتصر على معارضيه بقوة الذكاء والفصاحة واصبح مقتدراً على استمالة الملك والامة كيف شاء

وكان من الد خصومه في البرلمان برك الخطيب الايرلندي الشهير والفيلسوف السياسي العظيم ولكن اخصمهم كان شارل فوكس ابن اللورد هولاند . وكان اللورد شتام والد بيت واللورد هولاند والد فوكس يرأسان الحزبين المتناظرين في انجلترا قبل وليهما الا ان الاول كان يرأس الاشراف والثاني يرأس الاحرار فورثا عنهما عداوة المناظرة وكأنهما رغبا في ان تدوم الى الأبد بين عائلتيهما غير ان الادوار اختلفت وقتئذ فابن رئيس النبلاء تقلد رئاسة الاحرار وابن رئيس الاحرار تقلد رئاسة الاشراف وقد استمرت المناظره بين هذين البطلين مدة سبع عشرة سنه اي المدة التي تولى فيها بيت رئاسة الوزاره . وقد جمعت اقوالهما وخطبهما في اربعين مجلداً ضخماً هي موضوع اجلال واعتبار الامه الانجليزيه .

الملكة ڤيكتوريا

وشرع يسوس البلاد منذ تولى رئاسة وزارتها بهمة الشبان وحكمة الشيوخ ولبثت وزارته سبعة عشر عاما وهي اطول وزارة قامت في انكلترا ولما اصيب الملك جورج بالبله والجنون ظلّ قابضاً على زمام الاحكام يدير رحى السياسة بما فيه خير الامة حتى قالت وقتئذٍ انها لم تهنأ بالحرية الا في عهد جنون ملكها ووصفها احد مؤرخيها فقال انها كانت عبارة عن صورة بيت وهذا ما يعني به بعض المتشرعين من ان حكومة الشعب تظهر في صورة افراده فاحرِ بتاريخ حياة صاحب الترجمة واعماله ان يكون تاريخ الامة الانكليزية في ذاك العهد .

وكان اول شيء اهتم به اصلاح مالية بلاده لان خزينتها رزحت تحت اثقال الدين بما تحملته من نفقات حروب امريكا

ثم اصدر الاوامر بتخفيض رسوم الشاي فامتنع تهريبه وزاد دخل الحكومة منه واجاز لشركة الهند حق التمتع بحكم املاكها تحت مراقبة الحكومة فوطّد دعائم سلطة الحكومة في تلك الاصقاع البعيدة . واستعمرت في عهده جزيرة سيلان وجزأً من المولوك وحكومة الكاب ثم ضمّ ايرلندا الى انكلترا ضماً وثيقاً والغى المجلس الخاص بالايرلنديين وضمه الى برلمان انكلترا حتى جعل البلاد مملكة واحدة عاصمتها لندن .

وفي عهده ظهرت الثورة الفرنساوية سنة ١٧٨٩ وثملت الحكومة الجمهورية الجديدة من الفوز الذي نالته فنشرت تعرض مساعدتها لكل امة ترغب في ان تنهج خطتها فاوجس بيت ان تصبح بلاده عرضةً لنار الثورة فاتفق مع ملكه على استئصال روحها من البلاد عاجلا ولم يعد له من ذاك

العهد الا قصد واحد وهو محاربة فرنسا . وكان قد رفض ادخال انجلترا في اول معاهدة دولية ضدها فلما اشهر مجلس الكونفسيون الحرب على انكلترا وهولاندا اخذ يجاهر بوجوب المحاربة الى النهاية فالف ضد فرنسا ثلاث معاهدات متتالية حتى اوجدها في مركز حرج وتكللت كل مساعيه باكمل نجاح وعادت باعظم فائدة على بلاده

وقد اشتهر أيضاً بعداوته الشديدة لنابوليون بونابرت اذ كان في أبان مجده واقتداره فكان يهتف دائماً في البرلمان على ان نابوليون يحب الحروب ويسره ان يجري من الدم انهاراً في اواسط اوروبا وان الطمع هو المحرك الاول لكل اعماله ولبث يناوأه حتى أخمد سطوته

وقد رفض ما كان يعرضه عليه الملك من القاب الشرف والمال ومات مديناً بأربعين الف جنيه فاصلح مالية بلاده ولم يهتم باصلاح ماليته ولكن الخزينة الانكليزية دفعت ديونه عن طيبة خاطر وقيل ان احدى السيدات الانجليزيات اعجبت به وباعماله فاوصت له بعشرة آلاف جنيه واوصى له السير وليم بنسن بمال دخله السنوي ثلاثة آلاف جنيه لانه رأى ان بين حياتهما مشابهة شديدة

وقد اختار بيت المزوبية لئلا تصرفه العلائق الزوجية عن خدمة بلاده حتى انه لما عرض عليه بعضهم على ان يقترن بآية عصرها المداموزيل نيكر (التي صارت فيما بعد مدام دوستايل وهي الكاتبة الفرنساوية ذات الثروة الوافرة والجمال المفرط التي بثت روح الحرية في صدور قومها فنددت

بسياسة نابوليون حتى اوجس منها شراً وخاف من سياستها فنفاها الى سويسرا) لم يدع مجالا للمحادثه معه في ذلك الشان واجاب متبسماً كفاني انني مقترن بانجلترا اقتراناً لا انفكاك منه

ومما يروي انه لما وصل الى انكلترا خبر انتصار الدونانمه الانجليزية في واقعة ترافلغار وكان هو الذي اشار بها وقتل الاميرال نيلسون قيادة الاسطول فانتصر ذلك الانتصار العظيم سرّ الشعب الانجليزي سروراً لا يوصف واولم له المحافظ وليمة دعا اليها اكابر المملكه ولوردانها وعظماءها . ولما جاء الوقت المحدد ونزل ليركب المركبه المعده له على الباب اخذه الذهول اذ رأى جماهير الانجليز الغفيرة محتشدين صفوفاً والوفاً فحيوه بالهتاف مسرورين ليحيي بيت . ليحيي مخلص انجلترا العجيب وقد جر العربه رغماً عنه جياد القوم بدلاً من جياد الخيل ووصلوا به الى سراي المحافظ باحتفاء واجلال يذكر احتفالات الرومانيين بابطالهم .

ولمّا استقرّ به المقام قدّم له المحافظ كأساً من الخمر وشرب نخبه قائلاً : ادعوك بلسان حال الامه الانجليزيه بأسرها بمخلص انجلترا العجيب لان نجاة الامه كان بك واليك يرجع أمر استتباب راحة اوروبا بل العالم بأسره وبحسن سياستك كملت سعادتنا فشكراً لك ثم شكرا

فاجاب بيت : بل الشكر لكم على ما تحبوني به من الاخلاص والشرف العظيم على انه لا فضل لى في ما فعلت بل الفضل انما هو لانجلترا بلادى التي انقذت نفسها من آفة الحرب فاقتدى بها العالم اجمع

ولم يهنأ بيت كثيراً بهذا النصر لان العلة كانت ألفت جسمه الرطيب

ولما شعر بدنو الأجل انتقل الى بيته القروي بقرب لوندرا فحضره وهو على فراش الموت المطران الذي كان استاذه في صغره وعرض عليه ان يشترك معه في الصلوة فقال اخاف ان اكون مثل الكثيرين الذين يهملون الواجب عليهم في حياتهم ولا يذكروه الا عند آخر ساعة فهاانا استسلم الى رحمة ربي وهو يفعل ما يريد واشترك بالصلوة مع الكاهن بكل خضوع وخشوع ثم قال : اذا كانت بلادي تعتقد انني خدمتها فلتهتم من بعدي بالنيابة عني بشأن بنات خالي بنات اللورد ستانهوب وطلب ان يعين لهن مرتباً سنوياً من الف الى الف وخمسماية جنيه واسلم الروح وهو يذكرهن ويذكر بلاده في ٢٣ يناير سنة ١٨٠٦

واقيم مأتمه على نفقة الحكومة وشيد له ضريح في وستمبستر ثم تسابق خصومه في احيائه الى المجاهرة بعظيم امتنانهم لاعماله منهم فوكس فانه قال عنه . انه مع صغر سنه كان كاعظم عظيم حنكته تجارب الايام وقال انه ليندر وجود رجل يضارعه في عفته ونزاهته وانه كان بامكانه لو رنا بعينه يمنةً او شمالا او لفظ لفظةً ان يصبح من اكبر اغنياء الارض لانه كان قابضاً على مفاتيح ثروة المملكة وكنوزها لكنه اهتم باصلاح مالية بلاده واسعاد امته ولم يهتم بشأن نفسه بل مات وهو مدين . فوا أسف القلب عليه وارحمة ربي على ضريحه .

وقد كتب الكتاب عن غرائب اعماله ما يملأ مجلدات كبيرة واتخذت حياته مثالاً يقتدي بها اعاظم الانكليز مدى الدهر

« فوكس »

« Fox »

أحد مشاهير خطباء المملكة الانكليزية ورجالها العظام

ولد في لوندرا سنة ١٧٤٨ وتوفى سنة ١٨٠٦ . وهو ثالث اولاد اللورد هولاند عدوّ اللورد شتام السياسي والد البيت . وقد ورث الولدان كما ذكرنا العداوة السياسية عن والديهما الا ان فوكس لم يبد منه في صغره ما بدا لخصمه بيت من الادلة على ما وصل اليه في كبره . لكنه كان ممن سالمهم الدهر فاحرزوا من المكارم ما تنزع اليه النفوس الابية وتتمناه : النبالة . والجمال والمال .

وكان يسر والده بحسن طلعته فجعله موضع حبه وأمل ان يجعله وريثه في مقامه من بعده فأوصى به معلميه ومرشديه بان لا يقتضوا منه طاعةً عمياء ولذلك كانوا كثيراً ما يضطرون الى اطاعته اكثر مما كان يطيعهم فنشأ صبياً وهو لا يخاف زجراً ولا يحذر غضباً وشاباً مال مع نزق الصبا وغضارة الشبوبية فكان يتأنق في ملابسه تأنقاً يخرج به الى حد الزهو والبذخ حتى لم يستطع احد من ابناء البيوتات الكبيرة مجاراته وقتئذ في ملبسه وركوبه الجياد ولعبه وملاهيه . ولما استصحبه معه ابوه الى باريس وكان حراً في غدوه ورواحه تمكن منه الميل الى اللعب وتعذر عليه الانقطاع عنه طول حياته

واشتهر في آخر سنة اقامها في اكسفورد بالميل الى الخطابة وفصاحة اللسان ثم زايل هذه المدرسة بعد امتحان باهر لم يكن ينتظر ممن قضى اكثر

اوقاته في اللهو واللعب .

ثم ساح في عواصم اوروبا بناءً على رغبة والده فانفق في سياحته كاعظم الاغنياء حتى اضطر والده ان يستقدمه اليه اذ بلغه انه انفق وهو في نابولي كل ما كان معه وبلغ دينه ستة عشر الف جنيه .

ولما عاد الى انكلترا في سنة ١٧٦٨ استنابته بعض المقاطعات نائباً عنها وظلّ من ذلك العهد يتقلب في المناصب الكبيرة حتى توفي والده وكان قد دفع ديونه التي بلغت (١٤٠٠٠٠) جنيه فاضاع نصف الميراث الذي تركه له في اقرب وقت في اللعب واقتناء الخيول وكل انواع الترف

وبدأت شهرته في الخطابة منذ تصدى لمعارضة اللورد نورث رئيس الوزارة فحرم من المنصب السامي الذي كان يتولاه فاشتدت فيه الاميال الى مقاومته واقدم على مصادرته بقلب من حديد وشهّر اعماله وبيّن ما كان في خطته السياسيه من الخطأ والخلط وقال مرة في حرب المستعمرات الاميركية عبارة لا تزال مأثورة عنه الى الآن . وهي : « ان الاسكندر الاكبر لم يفتح من البلاد في حروبه كلها بقدر ما اضاع نورث في حرب واحد »

وما زال يرشق باسهم بلاغته تلك الوزارة حتى قوّض اركانها وقضى عليها في ١٧٨٢ وتلتها وزارة اللورد بكنغهام فتولى فيها فوكس زمام الامور الخارجية واكتسب ميل الشعب وحبه بما اتاه وقتئذ من ضروب الاصلاح وتوفي بكنغهام بعد وقت قريب فأسندت الوزارة من بعده الى بيت

فقام الخصام بينه وبين فوكس وظلا على طرفي نقيض في اكثر المسائل سيما فيما يتعلق بعداوة فرنسا ومحاربة نابوليون واستمرّ بينهما النضال مدة

السبعة عشر عاماً التي تولى فيها بيت الوزارة حتى توفى سنة ١٨٠٦ فخلفه فيها وكانت اول مساعيه تحسين العلائق بين انكلترا وفرنسا ولكنه توفى وهو آخذ في ذلك.

وكانت بلاغة خطبه وفصاحته تختلب الالباب لم يقدر أحد سواه على مناضلة بيت والاخذ معه في اساليب الجدل وقد جمعت هذه المناظرات في اربعين مجلداً كبيراً كما ذكرنا في ترجمة بيت

وقد اسف نابوليون على موته كثيراً وقال: ان بيوت فوكس كانت من طوالع النحس عليّ. وقد شبهه المؤرخون بدموستين انكلترا كما شبهوا بيت شيشرون

بامرستون

Palmerston

هو من مشاهير وزراء الانكليز وكبار رجال السياسة

ولد في العشرين من شهر اكتوبر سنة ١٧٨٤ في بيت قديم عريق في المجد يتصل نسبه بوليم الظافر وتلقى دروسه الابتدائيه في مدرسة هارو مع كثير من نوابغ الرجال مثل بيرون وابردين وروبرت بيل : الخ ثمَّ اتمَّ دروسه العاليه في كلية كمبريدج الشهيرة وتركها وله من العمر احدى وعشرون سنه واخذ يسعى لينال عضوية مجلس النواب ولكنه خاب اولاً في سعيه ونال فقط العضوية في مجلس العموم فوقف خطيباً مراراً واعجب السامعين بفصاحته وطلاقة لسانه حتى اشتهر امره ونال العضوية التي كان يتطلبها في وقت قريب وظل نائباً عن مدرسة كمبريدج الى سنة ١٨٣٠

ودخل لاول مرة في خدمات الحكومة سنة ١٨٠٧ وعين في منصب عال في وزارة اللورد بورتلند ثمَّ عين سنة ١٨٠٩ كاتم اسرار نظارة الحربيه وظلَّ في هذا المنصب الى سنة ١٨٢٨ وكان يخطب في هذه الاثناء في البرلمان الخطب الرنانة معضداً اعتاق الكاثوليك ومجاهراً بمبادئه الحرة . ولما توفي الوزير كانين استعفى من منصبه وعكف على درس السياسة الخارجيه وعلاقة انكلترا مع ممالك الارض عموماً فاستوعب في وقت قريب كل ما يهم معرفته وشرع يوالي الخطب النفيسه مندداً بسياسة الوزير ولنتون الشهير لرغبته في التقرب من الحكومات المطلقة والتباعد عن موالاة الحكومات

الدستورية فقام لمبادئه هذه كثير من المعترضين ولكنها اظهرت فضله العظيم واعدت له رئاسة نظارة الخارجيه في وزارة جري وملبورن وبقي متقلداً زمامها الى سنة ١٨٣٥ وعضد بلجيكا بسمو مداركه وفصاحته وساعدها على استقلالها الذي نالته بمعاهدة ڤينا وهذه حسنه يحفظها له التاريخ الى الابد ويشكره عليها البلجيكيون

وفي مدة وزارته شغلت المسألة الشرقيه ممالك اوروبا حتى كادت تتشب نار الحرب بسببها وعظم وقتئذٍ شأن المغفور له محمد علي باشا حتى شقّ عصا الطاعه على الباب العالي كما هو معلوم وتقرّب من فرنسا مما جعل لهذه المملكه شأناً ونفوذاً في الديار المصرية فعظم قلق بامرستون من ذلك وكان ينظر من وجه اخر بعين الناقد البصير الى نفوذ الروسيا في الاستانه العليه وكان شديد الحزم غير هياب في المسائل الخارجية فبذل جهده لهدم نفوذ هاتين الدولتين في تلك الانحاء فطلبت انكلترا بناءً على الحاحه في مشورته من الحكومة الفرنساوية اتحاد اسطولها ومهاجمة الدردنيل والاستيلاء عليه قبل الروسيا فرفضت فرنسا هذا الطلب واوجس بامرستون من عاقبة هذا الفشل وحذر أن يستمد الباب العالي مساعدة الروسيا في بعض الامور ولذلك اسرع فعرض عليه كل مدد ومعونة لمقاومة محمد علي باشا والى مصر ثمّ اخذ يسعى جهده حتى احيا في ڤينا وسان بطرسبورج العلاقات التي حلت عراها بعض الوزارت قلبه فنجم عن هذا السعي الاتحاد الرباعي الذي تمّ اتفاقه في لوندرا في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انكلترا والروسيا والمانيا وهكذا انتقم بامرستون اشد الانتقام من الحكومة الفرنساوية بعمله على عزلتها عن

اتحاد دول كانت احرى بصداقتهن من انكلترا

ثم سعى بحسن تدبيره واصالة رأيه على تأييد سطوة انكلترا في الشرق بتوسطها في كل الامور وفي قوانين الممالك بما يلائم مصلحتها حتى حصلت على الكلمة الغالبة والسطوة النافذة لدى دول الارض عموماً

وقد اعلت سياسته هذه مقامه لدى الشعب وعظمت مكانته في القلوب وذاعت شهرته في الآفاق وبقي متقلداً زمام الامور الخارجيه حتى استقال سنة ١٨٥١ ثم تعين ناظراً للداخليه فاتمّ اصلاحات شتىّ حتى تقلدّ زمام الاحكام واصبح كبير الوزراء راضياً عن الامة والامة راضية عنه الى ان حدث ما اضطره الى الاستعفاء فرجع الى الوزارة سنة ١٨٥٩ وبقي فيها الى آخر حياته يدير شؤونها بحمية ونشاط لا مثيل لهما

وكانت قواه الجسديه الى ذاك الحين تضاهي قواه العقلية ودفن في دير وستمنستر سنة ١٨٦٥ واقيم له تمثال في رمزي وآخر في لوندن تخليداً لذكره لما كان له من الايادي البيضاء على انكلترا في الداخل والخارج وقد ترك مؤلفات كثيرة من رسائل وخطب نفيسه نشرت بعد وفاته

« دزرائيلي »

« Disraeli »

هو بنيامين دزرائيلي ارل بيكونسفيلد وزير انكلترا الشهير والمؤلف الكبير ولد سنة ١٨٠٥ من اب يهودي كان مشهوراً فنشأ تحت ظله وتلقى العلوم على مدرسين خصوصيين ورشح لفن المحاماة في مكتب محام شهير صديق والده وهو دون التاسعه عشر من العمر . وكان ولوعاً بالأدب كلفاً بالدرس والطلب فغادر المحاماة بعد القليل من الزمن ونشر رواية تعرف بفيفان غراي وصف فيها نفسه وكثيرين ممن اشتهروا في عالم الانكليز في ذلك الحين وقد اودع صفحاتها الرقة والانسجام فأعجب به بنو جلدته وحسن وقع روايته في اوروبا فترجمت الى اكثر لغاتها . وساح سنة ١٨٢٩ في ايتاليا فاليونان فالبانيا فمصر فالحبشة فسوريا وعاد الى انكلترا سنة ١٨٣١ فنشر رواية ضمنها ذكر البلاد التي رآها وعادات اهلها واخلاقهم فعظمت شهرته ونزعت نفسه الى الاستئثار بمنصب في المجلس الأعلى فحاول الوصول اليه كثيراً ولكنه صادف فشلاً فاستأنف تحرير الروايات والف منها عدة احدها رواية « الروى » وهي شرقية الموضوع وغاية في بلاغة عباراتها وانسجام كلامها وصف بها اميرا من بيت داوود ادّعى في القرن الثاني عشر انه المسيح وسافر الى بلاد فارس وقد ظهرت هذه الرواية سنة ١٨٣٣ وتلتها رواية اخرى عنوانها ثورة « اسكندر » قصد بها اسكندر بك السربي الذي عصا الدولة العلية في القرن الخامس عشر . واتبع هذه الرواية برسالة سياسية عنوانها « من هو » اوضح

فيها آرائه السياسية وكان ينشر في ذلك الوقت شذرات في السياسة كان الاقبال عليها عظيماً

وفي سنة ١٨٣٧ نال ما كان يتمنى من تعيينه فى البرلمان نائباً عن مقاطعة ميدستن . ولما رقي منبر الخطابة وخطب في الاعضاء خطبته الاولى باغته اكثرهم بالصفير والاستهجان وضحكوا على كلامه فاسرع باتمام خطبته ونزل عن المنبر وهو يقول : اني لا اعجب من المقابلة التي صادفتها منكم الآن فقد شرعت في امور كثيرة وبالمزاولة نجحت فيها وسوف يأتي زمن تتسآءلون متى اخطب فتصغون لي وكلكم آذان

وقد كانت جملته هذه اشبه بنبوة عن مستقبله ففي سنة ١٨٣٩ خطب خطاباً انيقاً أدميت له الاكف تصفيقاً فأعجب له النواب وتحوّل ضحكهم منه الى احترام له وعقد في تلك السنة قراناً سعيدا على ارملة « وندهام لويس » الشهيرة بثروتها الطائلة وجمالها الفتان

واخذ يترقى الى ذرى المجد ويصعد الى مدارج الرئاسة حتى صار عام سنة ١٨٤٩ زعيم حزب المحافظين وفي وزارة دربي سنة ١٨٥٢ وجهت اليه عضوية المجلس الخاص ونظارة الماليه ولمّا استقال دربي تربع في دست الوزارة الانكليزية ثمّ عرض خلاف بين الوزراء واعضاء المجلس فانحلت وزارته وخلفه المستر غلادستون .

ونشر سنة ١٨٧٠ رواية عنوانها « لوثير » وهي ذات مغاز سياسيه دينيه ضد رهبنة اليسوعيين راجت اعظم رواج وبيع منها في الولايات المتحدة وحدها ٨٠ الف نسخه

وعاد بيكونسفيلد للوزارة سنة ١٨٧٤ بفوز حزب المحافظين وظلّ يتولى الرئاسة الى ١٨٨٠ حيث كان الفوز للاحرار فخلفه المستر غلادستون زعيمهم ومرض في السنة التالية مرضاً عضالاً كان سبب منيته

وكانت حياته من اغرب حياة الرجال العظام في تاريخ المملكة الانكليزية فانه رقي مراقي السؤدد والمجد ومثلّ في مشاهد سياسة مملكة هي اعظم الممالك الحديثه ادواراً اذاعت صيته واعلت شأنه فصار قادراً بكلامه على تحريك الدنيا باسرها فنال ما ناله بجده وحزمه وكان اصحاب المطابع يتقدونه ثمن الكتاب الواحد عشرة آلاف جنيه فيطبعونه على نفقتهم ويربحون منه الاموال الوافرة .

وكان من همه تأييد الدولة العلية وحفظ مصالحها واملاكها . وقد ابتاع اسهم ترعة السويس فعمل بذلك لانكلترا شأناً عظيم في الديار المصرية

« غلادستون »

« Gladestone »

السياسي المحنك الشهير والخطيب المصقع والعالم العامل والكاتب البليغ نصير الحرية والانسانية وزعيم الاحرار والاصلاح واعظم رجال القرن التاسع عشر المستر وليم اوارت غلادستون

ولد في التاسع والعشرين من شهر دسمبر سنة ١٨٠٩ بلفربول من عائلة اسكتلندية عريقة في الثروة والشرف وكان ابوه من مشاهير التجار ومن اعضاء البرلمان فلم ينفطم حتى ظهرت عليه مخائل النجابة واثرت فيه مؤثرات التربية الحسنة ولما ترعرع ارسله ابوه الى مدرسة اكسفورد الشهيرة فتلقى فيها العلوم واشتهر بالذكاء المفرط وقوة العارضة والبلاغة في الخطابة وطلاقة اللسان تلك الوسائط العظيمة التي آلت الى ارتقائه مراقي السودد والمجد ولم يبلغ الثالثة والعشرين من العمر حتى انتخب عضواً من المحافظين واشار في اول خطبة القاها الى وجوب تحرير الارقاء تدريجاً والغاء النخاسة شيئاً فشيئاً ودافع عن والده الذي اتهم بامتهان العبيد لما كان له من الاملاك الواسعة في الهند فلم يترك في خطابه لاحد مقالاً ولا ابقى لناقد مجالاً فظهرت هناك نجابته وعرفت في الخطابة فصاحته واشتهر بتوقد ذهنه وسداد رأيه حتى عرف ذوو النهي قدره فقلدوه منصباً في الخزينة سنة ١٨٣٤ ورقي في السنة التالية الى منصب اعلى منه في وزارة المستعمرات وفي سنة ١٨٤١ عين نائب رئيس لديوان التجارة وهو اول منصب تولاه في حكم الملكة فكتوريا ثم

غلادستون

obeikandl.com

رقي الى منصب الرئاسة ولم يلبث فيه الاّ القليل حتى انتخبته مدرسة اكسفورد الجامعة نائباً عنها في مجلس الاعيان وزار نابولي سنة ١٨٥٠ ورأى الفظائع التي كانت تجري في سجونها فوصفها بعد عوده الى لوندرا بالخطب البليغة التي اهتزت لها اوروبا كلها فطبقت شهرته اطرافها واشتهر من ذلك العهد بالشفقه والرأفة على الانسان ثمّ انعزل عن جماعة المحافظين واخذ يحرر للجرائد الفصول السياسيه الحرة وانضم الى جماعة الاحرار وشرع في الدفاع عنهم بخطب رنانة اطارت شهرته في البلاد حتىّ عُدّ من ابلغ الخطباء وبدأ من ذلك الحين النضال بينه وبين دزرائيلي الشهير ودام اربعاً وعشرين سنه بلا انصرام.

ولما اسندت رئاسة الوزارة الى اللورد بامرستون عين وكيلاً للمالية ثمّ رئيساً لمجلس النواب في وزارة اللورد رسل واهتم بعد تولية هذا المنصب بانقاذ ايرلندا مما كانت فيه من الضيق ولما تغيرت الوزارة ١٨٦٩ واعيدت الانتخابات كان الفوز فيها للاحرار فمالوا اليه بعد رئيسهم المتوفي وانتخبوه زعيماً لهم وجرى على السياسة الحرة التي نوّه بها مراراً وحفظ العهد ورضيت الامة عنه

واتسع في ايام وزارته نطاق الاصلاح في انجلترا عموماً وفي ايرلندا خصوصاً وقد الف الوزارة اربع مرات وحدثت الثورة العرابيه في اثناءها سنة ١٨٨٠ واحتلّ الانكليز مصر وكان هو اول منادٍ بوجوب جلائهم عنها آجلاً او عاجلاً وهو الوحيد الذي اشتهر بميله الى منح ايرلندا حريتها واعطاءها بعض ما تريد من الاستقلال الاداري وقد ساء طلبه هذا بعض اعوانه من مشاهير الاحرار فانفصلوا عنه واتفقوا مع المحافظين على اسقاط

وزارته .

ولو كان غيره نطق بما رغب في تنفيذه لعُدَّ خائناً للمملكة وللمصلحة العمومية بيد ان ثقة الشعب الانكليزي بخلوص نيته واعتبارهم الشديد له جعله يفوز بالعود الى الوزارة سنة ١٨٩٢ وهي المرة الرابعة وفي اول مارس سنة ١٨٩٤ خطب خطبته الاخيرة في مجلس النواب ثمَّ استقال من منصبه الخطير لضعفه وتقدمه في السن ولانه اصيب بعينيه فعملت له فيهما عمليه الكتركتا وقد اهتزَّ الملا لخبر استعفاءه وسيبقى ذكره مخلداً الى الابد

وقد كان واسع الاطلاع بسياسة الممالك المختلفه بصيراً بامور السياسة الداخليه شديد الحب لوطنه انفق العمر في خدمته مقدماً مجتهداً ملتهباً حمية وغيرة وقد اطبق عظماء الارض على انه لم يفقه احد في الخطابة والجدل فهو الخطيب الذي كانت تهتز له المنابر ويذيع البرق صدى اقواله الرنانة فيهتز لها الملا اجمع ويأتيه الخطاب مسخراً وينقاد له القول البليغ مذللاً فيتكلم ساعات بلا تردد

وكان نصير الانسانيه وملاذ كل امة مظلومة ومآثره الغراء على اليونان والبلغار والارمن والارلنديين اشهر من ان تذكر وكلها تشهد جلياً انه لم يقم بين اعاظم رجال الانكليز من هو اشد اشفاقاً منه على الانسان

ومما هو خليق بالذكر انه كان شديد العداوة للدولة العلية خطب ضدها الخطب الرنانة وربى في قلوب الشعب الانكليزي بغضاً شديداً لها وربما كان مبالغاً في بعض اقواله عنها لفرط تأثره بما كان يترامى اليه من اخبار الارمن وغيرهم وكان شديد الاعراض عن مظاهر الفخر والتباهي بالقصور

العظيمه والثروة الطائلة مثل اكابر الانكليز فقد عرضت عليه الملكة فكتوريا عدة رتب عاليه منها لقب لورد اوف ليفربول فاعتذر وامتنع عن قبولها ورغب في ان يكون لقبه فقط مستر تمثلاً بعامة الشعب الذي قام بنصرته

ومن مزاياه انه كان حسن الخلق والخلق اذا كلف الحكم في امر حكم فيه حكماً عادلاً ولو كان مرجع ذلك الحكم على نفسه وقد زاول بعد تركه الوزارة على الاشغال العلمية والكتابات الجدليه في الجرائد الشهيرة مناظراً اكابر العلماء والمشهور عنه انه كان شديد الحرص على حجته كثير التمسك بنظام معيشته لا يخل بها وكان يتنزه بالرياضه في حديقته او بتنظيم الكتب في مكتبته ويبتاع كل مؤلف جديد يظهر في عالم الوجود ولا يضيع لحظة من وقته بغير العمل بها بحكمة الشيوخ ونشاط الشبان واذا استلقى على فراشه ينام على الفور وكان يقرأ دائماً اربعة كتب انتخبها من زمن مديد فصار يرتاح لقرأتها ووافقت ذوقه ومشربه وهي كتاب ارسطاطليس وكتاب القديس اوغسطينوس ودنت والاسقف بكار ويقال ان هذه الكتب أثرت في اخلاقه تأثيراً بيناً حسناً وكان له اطلاع واسع ومعرفة فائقه في اللغة اللاتينية واليونانية القديمة والعبرانية وقد اتقن من اللغات الحديثه الافرنسيه والايطاليه والاسبانية واليونانية الحديثه والالمانية

وتوفي سنة ٩٨ فاحدثت وفاته رنة حزن واسى في قلوب الامة الانكليزيه باسرها واقيم له مشهد فخيم على نفقة الحكومة وارسل جميع ملوك الارض رسائل التعزية الى اسرته . وذكرته جرائد العالم بثناء لم يذكر بمثله رجل في القرن التاسع العشر .

« سلسبري »

« Salisburry »

هو الرجل المظيم القدر الزائع الصيت زعيم حزب الاحرار ومدبر حركة السياسة الانكليزية ورئيس وزارتها عند وضع هذا الكتاب

وهو روبرت ارثر تلبث غسكوين سسل مركيز سلسبري . ولد في الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٨٣٠ في بيت سسل الشهير العريق في المجد والشرف وتلقى العلوم في مدرسة اكسفورد الشهيرة وكان ميالاً من صغره الى العلوم الرياضيه والطبيعيه اكثر من غيرها فبلغ فيها المقام الاعلى ولما خرج من المدرسة وجد نفسه في ضيق من العيش تأبى سمو مداركه البقاء عليه لان والده لم يكن يسمح له بغير القليل من المال فشرع يحرر الى الجرائد المقالات النفيسة ويأخذ اجرته عليها ثم سار على وجهه يطوف البلدان وزار الشرق والغرب وساح في امريكا واوستراليا فلقى مر العيش في سفره ثمَّ عاد الى وطنه وهو شديد الاهتمام بامر مستقبله فانتخبته احدى الولايات نائباً عنها ودخل مجلس النواب سنة ١٨٥٤ وبدأ يشتغل بالسياسة وهو في الرابعة والعشرين من العمر وكان اول خطاب القاه بشأن مدرسة كسفورد التي تخرَّج منها فاختلب الالباب بفصاحته وقوة برهانه واعجب به السامعون ونهض غلادستون من منصبه واقبل عليه وهنأه ومدحه مدحاً جميلاً وبشره بمستقبل عظيم

ولمَّا توفي اخوه الاكبر آل اليه لقب فيكونت كرنبورن وعين سنة ١٨٦٦ وزيراً

سلسبودي

obeikan.com

للهند فاشتهر بمزيد الخبرة وقوة العارضة والاقدام على الامور ولكنه لم يلبث في هذا المنصب حيناً من الزمن حتى وقع الخلاف بينه وبين زملائه على بعض الامور فاستقال منه واتفق ان توفي والده في تلك السنه فانتقل اليه لقب مركيز سلسبوري مع ثروة عظيمة وصار في مصاف الاعيان

ولما تعين دزرائيلي على رئاسة المحافظين سلمه زمام الوزارة الخارجيه فاخذ يدير زمام السياسة بعزم ودراية حتى اذا مات دزرائيلي انتخب بدله زعيماً لحزب المحافظين

ولما خذل الاحرار سنة ١٨٨٥ دعته الملكة ڤيكتوريا لتأليف وزارة المحافظين برئاسته فألفها واستلم هو زمام الامور الخارجيه ولكنّ وزارته هذه لم تطل كثيراً لان الانتخابات العمومية التي حصلت وقتئذ رجحت النصر لجانب الاحرار فعاد غلادستون ثم سقطت وزارته لميلها الى استقلال ايرلندا فدعت الملكة ثانية اللورد سالسبوري لتشكيل الوزارة فشكلها عام ١٨٨٦ وظلت ستة اعوام وحدث في اثنائها عيد الخمسين سنه لجلالة الملكة وزارته في قصره وهذا فخر عند الانكليز قلما يناله احد ثم سقطت وزارته سنة ١٨٩٢ فخلفه غلادستون ثم روزبري وعادت اليه في صيف سنة ١٨٩٠ فنال في هذه الانتخابات ظفراً مبيناً لم يحصل عليه وزير في اوروبا وخرج باكثرية لم يفز بها احد قبله وكان لرجوعه دوي عظيم ووقع حسن عند جميع الدول الاوروبية وذلك لما له من المقام الرفيع والنفوذ الكبير وهو معروف لدى الجميع بانه واسع الاطلاع طويل الباع لا سيما في المسائل الخارجية وهو اول المتعصبين الآن في الشرق واول المساعدين للارمن

والسلافيين واليونان على الاستقلال من حكم الدولة العلية وهو كثير البحث في العلوم الطبيعية سيما فيما يتعلق بالكهربائية وقد حاز فيها شهرة تقرب من شهرته في السياسة وله خطب نفيسة رنانة علمية وسياسية وله مقالات علمية كثيرة يحررها وقت الفراغ

وهو ضخم الجسم عريض الكتفين اسود الشعر كثيف اللحية

ومما يستحق الذكر من اعماله في هذه المدة سياسته مع فرنسا في مسألة فشودة التي قامت بسبب مسألة وادي النيل فانه مال الى الفرنساويين في اول الامر ولكن زملاؤه اضطروه الى التشديد وكادت تشب الحرب بين الدولتين لولا جلاء الفرنساويين عن فشوده . ولكنه بعد ان ضربهم تلك الضربة السياسية عقد اتفاقاً افاد دولته كثيراً وانال الفرنسويين اكثر مما كانوا يؤملون

دوذبري

obeikandl.com

« روزبري »

« Rosebery »

هو نابغة من رجال السياسة في البلاد الانكليزية ومن آيات البلاغة والنباهة والعزم والاقدام

ولد في ٧ مايو سنة ١٨٤٧ بلوندرا في بيت نبالة وشرف وهذب اكمل تهذيب وربي احسن تربية في مدرسة اتون وفي كلية اكسفورد

ودخل مجلس الاعيان بعد موت جده وابيه وكان لا يتجاوز الواحد والعشرين من العمر فعرف بطلاقة اللسان في الخطابة واشتهر بسمو مداركه مع صغر سنه واشتهر عنه انه تمنى وقتئذ لو انقادت له امور ثلاثة اولاً ان يصير غنياً وثانياً ان يفوز جواده في رهان دربي المشهور وثالثا ان يصير رئيساً للوزارة الانكليزية

وبدأ يترقى في مدارج المجد حتى انتخب في شهر اغسطس سنة ١٨٨١ وكيلاً لنظارة الداخلية وبقي متقلداً هذا المنصب الى شهر يونيه سنة ١٨٨٣ ثم انتخب في السنة التالية ناظراً لنظارة الاشغال وكان شديد الميل الى حزب الاحرار فاعتنق مبادئهم واخذ يجاهد في الجدال والنضال معهم حتى اشتهر امره وعين في وزارة المستر غلادستون وزيراً لنظارة الخارجية

ثم اقترن بابنة روتشيلد فاخذ معها الثروة الطائلة وكان مهرها يبلغ ٣ ملايين من الجنيهات الانجليزيه ثم فاز جواده في رهان دربي ولحظه التوفيق فنال من الانتخابات بعد انعزال غلادستون ماناله جواده من الفوز في السباق

وجعل زعيماً لحزب الاحرار ورئيساً للوزارة الحرة مع حداثة سنه لانه لم يتجاوز الواحد والاربعين من عمره . وهكذا قد نال ماتمنى ولم يعد له من بعد هذا المنصب منزع لامنية

وهو موافق حزب المحافظين فيما يختص بالمسائل الخارجية ولكنه شديد الاهتمام لان يضع حداً لسلطتهم وهو يزعم ان مثله في ذلك كمثل بطل يهاجم معقلاً حصينا وانه بقوة غريبة سيصدم ذلك الحصن صدمة تدك اسسه ويسمع دوي سقوطه في انحاء العالم

وهو سمح البديهة قوي العارضة كثير التأمل صعب المراس لا يضحك الا قليلاً شديد الولع بالخيل والسباق نابغة فى الدهاء والذكاء واصالة الرأي ذو فصاحة لا يتكلفها وهو ينوي التدابير العظيمة لمستقبل الايام وقد قال عنه اكبر رجال العالم ان امره سيكون عظيما بين الانام

وقد اظهر الاقتدار الغريب فى الامور الكثيرة التي عرضت في ايامه منها مسائل مصر ومسألة الحرب في الشرق وله حسنات كثيرة يذكرها له التاريخ الى الابد وهو اول من اعطى الرتب الرفيعة والنياشين لرجال العلم وكبار المؤلفين والممثلين

وهو اعظم كبار الانكليز استعدادا لارضاء الاحزاب المختلفة فقد اقنع هذه الاحزاب بان سياسة الانكليز مع غيرهم يلزم ان تكون واحدة مهما كان نوعها .

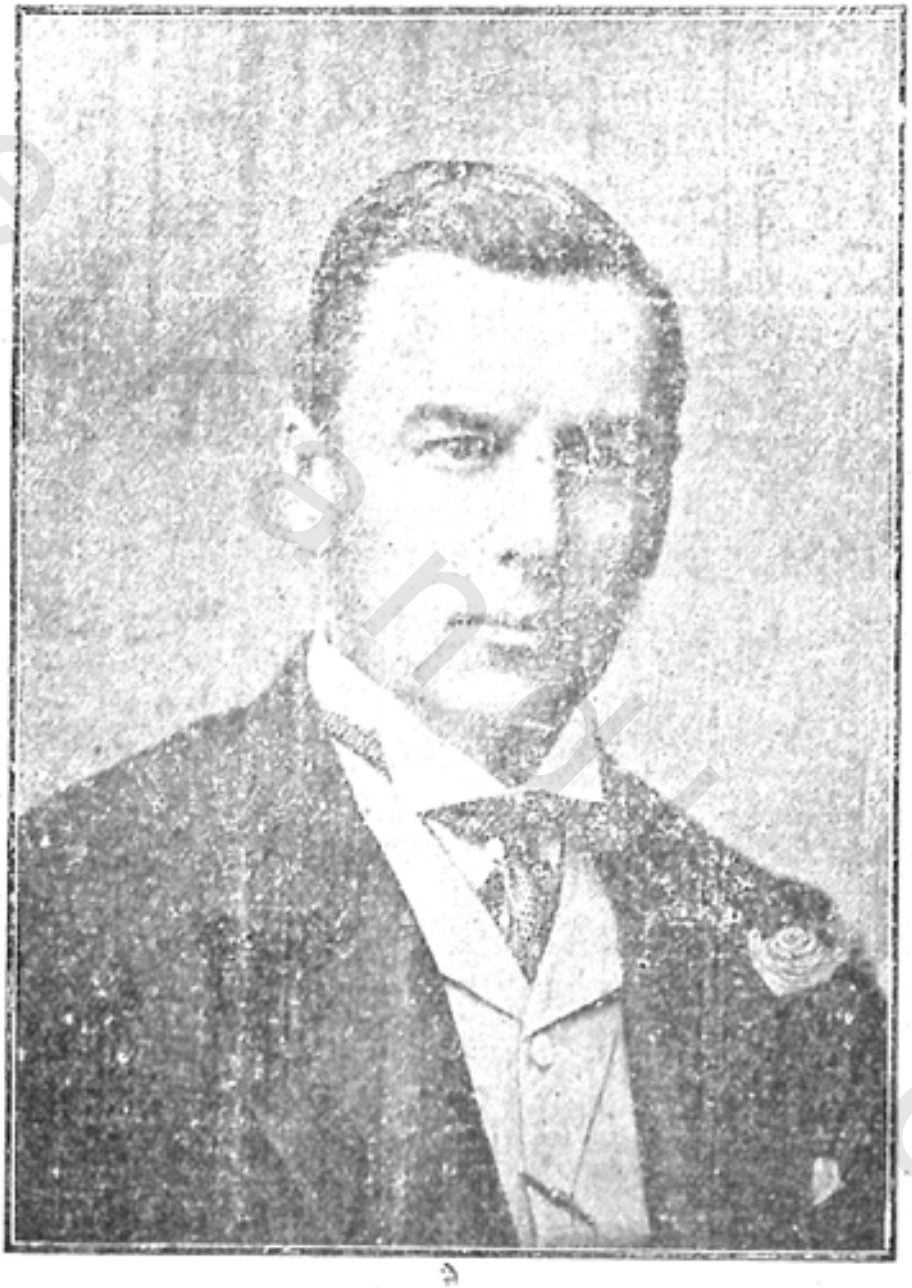

تشمبرلن وزير المستعمرات الانكليزية

*
* *

وقفنا على هذا الحد فى تراجم نوابغ الانكليز الذين بعدت شهرتهم وذاع صيتهم في السياسة والخطابة . ذكرناهم ونحن على يقين بأنه ظهر في البلاد الانكليزية غيرهم ممن يجل الانكليز قدرهم ويفتخرون بهم . وما حملنا على الاكتفاء بمن تقدّم الا اعتقادنا بانهم كافون لان يكونوا عنوان الوطنية الانكليزية وقدوة رجال السياسة والخطابة .

هذا وان من الذين يردد الانكليز ذكرهم بكل تجلة واحترام . ولبول . وكانين . وشريدن . وهيسكيسون . وبروم . وجري . وملبون . وبيل . وابردين . ورسل . ودربي . الخ .

اما كبار الانكليز العصريون الذين ذاعت شهرتهم وعظمت مكانتهم فكثيرون منهم . بلفور وهو خليفة سلسبري على رئاسة المحافظين وقائدهم الآن في مجلس النواب . واللورد روندلف تشرشل . وهو من فحول الخطباء واشهر المحافظين . والمستر تشامبرلين وهو اهم اعضاء الاحرار المعتدلين وقائدهم في مجلس النواب ووزير المستعمرات

« اللورد كليف »

« Lord Clive »

هو البطل الهمام . واضع اساس السلطنة الانكليزية في الهند .

ولد في سنة ١٧٢٥ من عائلة متوسطة الحال وارسل الى مدارس كثيرة كان فيها مثال الشقاوة وعنوان الكسل . يروى عنه نوادر كثيرة منها انه كان ينظم اقرانه كالجيش ويسير بقربهم معجباً بقده وحسن بنيته كالقائد الذاهب الى حومة الوغى فيلزم اصحاب الحوانيت أن يقدموا لهم الهدايا ليأمنوا على ابواب حوانيتهم وشبابيكها من الكسر وقد ادهش معلميه بما كان يأتيه من التفنن في الشقاوة حتى قال عنه بعضهم : إنّ شأنه سيكون عظيماً في مستقبل الايام .

وكان الكل يشكونه الى اهله حتى دفعوهم الى اليأس من نجاحه وفلاحه فارتأوا ان يخلصوا منه بالحاقه بوظيفة كاتب في شركة الهند التجارية الشرقيه .

وهكذا ابعدوه عنهم صبياً الى تلك الاصقاع البعيدة فظل المركب الذي كان مسافراً فيه عدة اشهر في البرازيل تعلم في اثنائها بعض الشئ من اللغة البورتوغالية وانفق المال الذي كان معه ولم يصل الى الهند الا بعد سنة لخروجه من انكلترا وقد رأى فيها اهوالاً كثيرة .

وكان مركز الشركة في مدراس فحصل قبل خروجه من انكلترا على توصية لتاجر فيها ولكنه لما وصلها كان ذلك الرجل قد عاد الى انكلترا فأبت عليه كبرياءه التقرب من غيره فصرف اشهراً ينام في محل حقير ولا يعرف

احداً ولا يتناول الا راتباً قليلاً لم يكن ليكفيه حتى وقع تحت اثقال الدين وأثرّ طقس البلاد في صحته وصار يتقلب على حالة من شظف العيش ولدت فيه الشوق الى بلاده فكتب لاهله وكرر لهم قوله « آه لو رجعت يوماً الى مانشستر حيث منتهى آمالي ورغبتي . »

وما زال يردف اليهم الرسالة بالرسالة ولا ينال جواباً حتى اذا يئس لجأ الى مكتبة الحاكم يصرف فيها ساعات الفراغ بالمطالعة حتى تولد عنده بعض الميل الى العلم والدرس .

على ان الدرس والفقر والشوق الى الاوطان وتأثير الطقس كل هذه الطوارئ الجديدة لم تكن لتخفض من كبريائه او تلطف من عتوه بل ظلّ كما كان يصارع ويبارز ويعامل رؤسائه كما كان يعامل معلميه حتى تهددوه بالطرد .

وقد أدى به الغيظ الى البطش بنفسه ولكن الغدارة خانته مرتين ولما أعدها في المرة الثالثة وصوبها الى صدره لمع امام عينيه بارقة أمل فتأمل هنيهة وقال : اشعر بانني أعددت لاعمال كثيرة فلماذا اعدم نفسي ثم رمى الغدارة ولعبت به الآمال وصار يهجس بها في عالم الخيال .

وحدث وقتئذ ما مهد له سبيلاً للعمل غير فحص الرزم وتقييدها ذلك ان لا بوردونا حاكم الموريتوس حمل بجيشه على مدراس ثم حاصرها ودخلها والقى القبض على حاكمها وعلى نفر من وجوه المدينة ورجال الشركة الانكليزية وضبط مخازنهم دية للمنتصرين فالتجأ كليف بنفسه الى حصن القديس داوود من الاماكن الخاضعة للانكليز . وكان وقتئذ في الحادي والعشرين من عمره فانتظم في العسكرية تحت رئاسة الماجور لورنس

الانكليزي ولما نقلد سيف الجندية وجد لاقدامه مجالاً وبدت منه شجاعة في المناوشات التى كانت تقع بين الافرنسيس والانكليز لم تنتظر ممن كان في سنه حتى دهش به لورنس وقربه منه وظل معه بضع اشهر الى ان تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا وبموجبه اضطر دوبلكس الى اعادة مدراس للقومبانية الانكليزية فعاد اليها كليف وظل يتنقل من الاعمال العسكرية الى الاعمال التجارية حتى عين وهو في الخامسة والعشرين من العمر بوظيفة ضابط ملاحظ في الشركة .

ولما جاءت سنة ١٧٤٨ كانت رايات الفرنسيس تخفق في اكثر انحاء الهند ونفوذ دوبلكس يمتد شيئاً فشيئاً بغياب لورنس في بريطانيا حتي صارت له الكلمة النافذة في تعيين الحكام وعزلهم وكان كليف ينظر الى ذلك ويتميز غيظاً فجمع حواليه زملائه واعوانه وعرض عليهم السعي في اماتة سلطة الفرنسيس وكسر شوكتهم فوافقوه على ذلك واتحدوا مع اعداء الامراء الذين تحالفوا معهم والف اولاً كليف من مائتي انكليزي وثلثمائة هندي جيشاً تولى قيادته مع ثمانية من النجار اعجبوا بنشاطه واقتدوا به . وزحف بهذا الجيش القليل العدد على اركوت قصبة كارناتيك في وقت شديد الزوابع كثير العواصف وافتتح المدينة وهزم المدافعين عنها وبينما كان آخذاً في تحصينها تجمع من الجهات المجاورة عدد لا يقل عن ثلاثة آلاف مقاتل واحاطوا بالمدينة للهجوم عليها إلاّ انه صبر عليهم بعد ان دبر لهم مكيدة عظيمة ذبح فيها عدداً عظيماً منهم وهزم الباقي شرّ هزيمة دون ان يفقد رجلاً واحداً من رجاله

ولما بلغ ذلك شوندا صاحب من الامراء الموالين للافرنسيس ألف جيشاً جراراً ضمّ اليه المهزومين والحق به دوبلكس مائتين من عسكره حتى وصل عدده الى عشرة آلاف مقاتل زحفوا على اركوت وحاصروها لاعتقادهم بعدم مقدرة المحاصرين على الثبات طويلاً دون التسليم ودام هذا الحصار خمسين يوماً كان كليف يراقب في أثنائها الاعمال بعزم غريب وقلب اشدّ من الحديد وقد وثق به اعوانه الهنود ثقة شديدة فاحبوه حباً يقرب من العبادة ولما رأوا ان المؤونة التي كانت مع الانكليز قد نفدت وصار يموت بعضهم من الجوع تقدموا بين يديه بمؤونتهم وقدموها له قائلين : اننا نكتفي نحن الهنود بمشاركة الخيل في غذائها لنقدم هذا الزاد لك وللانكليز . قال ماكولى المؤرخ الشهير . لاريب في أن اخلاصاً كهذا من قوم لم يعرفوا التمدن من اغرب النوادر التاريخية

ولما مل المحاصرون هاجموا المدينة بالافيال فردّهم عنها كليف بمهارة ثم انجد من مدير الشركة الانكليزية بثمانمائة هندي ومائتي انكليزي

وكان دوبلكس قد استولى على ارض في الهند اكثر اتساعاً من ارض فرنسا فطلب كليف النجدات المتواصلة من مدير الشركة الانكليزية فنظمها على احسن ترتيب وهجم بها على ما دوره بشجاعة عظيمة واكره الفرنساويين على رفع الحصار عنها

وقد كان لصدي هذه الهزيمة في اوروبا وقع عظيم حمل الحكومة الفرنساوية على عزل دوبلكس من منصبه واسترجاعه الى وطنه على الفور فزاول كليف على الفتح والنصر حليفه حتى توفى حاكم الهند وبويع من بعده

سراج الدولة وكان الد اعداء الانكليز فشن الغارة على املاكهم واستولى على قلعة وليم واخذ يقاتلهم فصادمه كليف حتى اكرهه على طلب الصلح ثم استولى على ميناء شندرناجور التابعة للشركة الفرنساوية وطرد الفرنسيس من قسم البنغال ولم يكتفِ بذلك بل اصر على ابادة ملك سراج الدوله كي لا تقوم له قائمة بعد فأم ملكه قاصداً محاربته فالتقى الجيشان عند بلاسي ودارت الدائرة على سراج الدولة ومن ذلك الحين صارت للانكليز الكلمة النافذة في بلاد البنغال كلها فعزلوا سراج الدولة وولوا مكانه الامير جعفر وجعلوه تحت حماية الشركة الانكليزية

ولما رأت الحكومة الانكليزية النصر العظيم الذي ناله كليف خولت له السلطة المطلقة في كل اعماله وقد ايدها المغول الاكبر باعترافه بها اعترافاً رسمياً بمعاهدة ابرمها معه في اللهباد فتيسر وقتئذ لكليف اخضاع امراء البنغال واوريسا ورتب لهم مقدراً معلوماً من المال يقبضونه سنوياً وظل في الهند ساعياً باخضاعها لسيطرة الامة الانكليزية

وكانت الاموال تنهال امامه كالسيل ولكنه كان يأباها بنفس عفيفة ولم يقبل هدية الا ممن لم يكن يرجُ منه مساعدة ولو اراد ان يتناول منها شيئاً لفاق روتشيلد في غناه

وقد تيسر له في حروبه الكثيرة انتهاز الفرصة لزيارة بلاده والتزوج فيها فقوبل بالاحتفالات الباهرة ورقي الى مراتب الاشراف

وقد وصفه ماكولي المؤرخ الشهير بقوله : كليف كاكثر الرجال الذين نشأوا من العامة بقوى عقلية عظيمة ابرزتها التجارب واظهرتها الحوادث .

وغب في النجاح وسعى ورائه حتى ركب جناحه وما زال يخضع المصاعب حتى استعبدها وصار يقيدها امامه تزيد انتصاره عزاً وذكره فخراً واشتهاراً فعل لوطنه كما فعل غيره من نوابغ السياسة وقواد الحرب على انه لم يسمع بمن ضم مثله الى بلاده ولايات عظيمة الاتساع كثيرة السكان وافرة الثروة مثل الولايات التي اخضعها لحكومته . فاليه يعزى الفضل في غناء تجار الانكليز واصحاب المصانع والمعامل الذي كانوا يرسلون سلعهم الى الهند فيعودون منها بالاموال الكثيرة .

فالانكليز يذكرون كليف بالشكر ويعدونه بين اعاظم القواد واشدهم ركانةً وفراسةً واقداماً واشرفهم صفاتاً .

« الاميرال نيلسون »

« Nelson »

هو البطل المقدام واشهر قواد البحر على الاطلاق

ولد في التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٧٥٨ في مدينة برمنهام تورب من اب قسيس وبدت عليه مخائل الشجاعة والاقدام صغيرا فتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة نورويش وتركها وله من العمر اثنتا عشرة سنة فاخذه عمه في بارجة حربية كان يقودها الى جزائر الانتيل واخذ يرعاه بعنايته ويدربه على الاصول العسكرية اذ توسم فيه شجاعة لم يعهدها بمن كان في سنه

ولما عاد الى انكلترا بعد سفر زار فيه اكثر مرافئ الهند الشرقية وجزائر الهند الغربية واساكل البحر الابيض المتوسط فاز في الامتحان العسكري ثم رقي الى رتبة ملازم وأرسل في بعض المهام الى الهند وما زال يسافر في البحر يخوض عبابه ويذلل صعابه حتى ازداد خبرة في الفنون الحربية وفي قيادة البوارج . وما جائت سنة ١٨٧٨ حتى عينه اللورد هوْ ناظر الحربية وقتئذ رئيسا لمركب حربي كان مسافراً الى جزائر تحت الماء . وحدث في تلك الجهات ان بعض التجار من الانكليز وفدوا بمراكب مشحونة ببعض الاشياء الممنوع بيعها فمنعهم اولاً فلم يمتثلوا فعرض امرهم على حاكم الجزيرة فاستصغره واجابه مزدريا به . لم تسبق العادة ان جنرالاً وحاكما مثلي يخاطب شاباً في سنك فاجابه وقد تأثر من كلامه . ان رئيس الوزراء عمره

كمري وهو مدير سياسة المملكة الانكليزية فانا قادر مثله على قيادة بارجة (ويعني برئيس الوزارة وليم بيت)

وخرج للحال غضباناً وحجر على بضاعة التجار وضبط مراكبهم فغضب منه حاكم الجزيرة وسكانها ولكنه لم يظهر بهم اقل اهتمام بل سافر الى انكلترا وبرفقته شابة ارملة كانت غاية في الملاحة والجمال علق بهواها فاقترن بها وبرفقته ايضاً المراكب التي ضبطها حتى اذا وصل انكلترا قوبل فيها بالاكرام والترحاب

ولما حدثت الحرب بين فرنسا وانكلترا في سنة ١٧٩٢ عين في نابولي لايصال الاخبار والتلغرافات الى حكومته وعرف في تلك الاثناء اللادي إمَّا هملتون زوجة سفير انكلترا فعلق بهواها واحبها حباً مفرطاً لانها كانت آية في جمالها وغاية في حسنها وكانت ملكة نابولي تودها مودة لامزيد عليها .

وأُرسل الى الكورسيكا في سنة ١٧٩٤ لمساعدة قائد الجيش الانكليزي على ادارة رحى الحرب فاظهر في تلك الواقعة من الشجاعة والاقدام ما حير العقول فعين في السنة التالية رئيساً للاسطول الانكليزي في البحر الابيض المتوسط فانتصر على الاسطول الفرنساوي انتصاراً تاماً ثم ظفر بالاسطول الاسبانيولي سنة ١٧٩٧ فظهر للملا قدره واعطي نيشان الحمام وفي شهر يوليه من تلك السنه كسر ذراعه الايمن في موقعة مع مراكب المكسيك وقد اشير عليه بالرجوع عن الحرب فابى وسحب قطعة من الحرير الابيض كان يلف بها قميصه فلف بها ذراعه ليمنع مجرى الدم ولم يرجع عن الحرب الا بعد ان فاز عليهم فوزاً عظيماً واسرع فكتب الى ناظر البحرية بانكلترا يقول انه اضحى بذراع

واحد آلة غير مفيدة للجيش واستأذنه بالعود الى انكلترا ليتيسر له معالجة نفسه وهناك قوبل باحتفاء عظيم وعينت له الحكومة راتباً سنوياً كبيراً ونفح بلقب امير البحر مع بارون برمنهام تورب (وهي البلدة التي ولد فيها) وثمل من خمرة هذا النصر فحدا به حادي التذكار الى مرأى حبيبته التي اودعها قلبه في نابولى فسار اليها واستسلم لهواها فطلق اكراماً لها امرأته الاولى وانقاد لها انقياد الاسير الى الآسر لا يفعل الا ما به رضاها فجلب عليه هذا الحب عاراً لا يمحى وفي سنة ١٨٠٠ ولدت منه ابنة دعتها هوراسيا تيمناً باسمه الاصلي

وفي سنة ١٨٩٨ ظفر بالعمارة الفرنسوية عند ابي قير عند ما زحف نابوليون بجيوشه الى الديار المصرية لافتتاحها والتقدم منها الى الولايات الانكليزية فوافاه هذا البطل واصطلت نيران الحرب بين الاسطولين وكانت القوة متساوية وفي اقل من ست ساعات انتصر نيلسون بعمارته على العمارة الفرنساوية وضعضع احوالها ولم يسلم من السفن الافرنسية التي كانت سبع عشرة بارجة غير اربع فقط فازت بالفرار واصيب نيلسون برصاصة في جبهته لكنها لم تكن قاتلة وكانت هذه المعركة اشهر معركة انتصر فيها

ولما اتحدت دولة الدانمرك مع دولة اسوج ونروج باتفاق روسيا وفرنسا على محاربة انجلترا بحراً جهزت انجلترا عمارة بحرية وارسلتها الى بحر البلتيك تحت رئاسه السير هيد باركر وكان نلسون متقلداً الرئاسه الثانيه فلما اشرفت المراكب الانكليزية على خليج كوبنهاجن كلفه السير باركر بادارة رحى الحرب فرتب المراكب على نسق منظم ثم أمر بالهجوم فاحتدم القتال بين

الفريقين واضطرمت نيران الحرب حتى كادت السفن الانجليزية تمس قاع البحر . وكان نيلسون يتمشى على ظهر بارجته يحيي همم الجيش ويقابل كرات المدافع التي كانت تمر فوق رأسه وتتساقط حوله وهو رابط الجاش ثابت الجنان وقد اصاب اثناء وقوفه عمود السفينه رصاصة فسقط بجانبه وكاد يقتله الا انه استجمع كل قواه وقام كالاسد ونظر الى الويل المحدق به وقال لعل هذا اليوم من آخر ايامنا فاشار عليه باركر بالابتعاد عن ذلك المكان فأبى قائلا لا ارتضي ان اكون في غيره ولو اعطيت المبالغ الوافرة من الذهب

ولما اشتد القتال لحق ببوارج الدانمرك الفشل فرفع رئيسها راية الرجوع وهي علامة كف الحرب فاشار ايضاً السير باركر على نيلسون بالرجوع واخبره من كان حوله بذلك فاضطرب وصاح باعلى صوته : الموت احب اليّ من ذلك واني اعور فهبوا اني اعمى . ثم انتزع النظارة ووجهها الى عينه الصحيحة ونظر الى الاشارة وقال : لا أرى شيئاً مما تقولون فابقوا راية الحرب وشددوا القتال وهذا هو جوابي ورفع بدل راية الرجوع راية مكتوب عليها (ان انجلترا تتوقع من كل فرد من رجالها ان يقضي الجواب عليه) واستجمع كل قواه وواظب على ماكان عليه من تشديد الحرب بعزم شديد وقلب اقوى من الحديد ولم يرجع الا بعد ان نكس راية الاعداء وضعضع احوالهم ثم عقد معهم الصلح على شروط معلومه

وقد قال لولي العهد عند اجتماعه به انه حضر اكثر من مائة معركة ولم يشاهد معركة اشتد ويلها كمعركة كوبنهاجن ذلك لاضطرار المراكب الى التقدم نحو العدو وعدم وجود عمق كاف في البحر .

وقد عظمت مكانته من ذلك العهد لدي الامة الانكليزية ووقعت محبته في قلوب رجال المملكة فاعطى لقب لورد وقلد رئاسة البحرية وسمي بامير البحر

وآخر انتصاراته واشهرها واقعة ترافغار (او طرف الغار) حين اتحدت فرنسا واسبانيا ضد انجلترا فالتقاهما بسبع وعشرين بارجة حربية بينما كانت عمارتهما تبلغ الاربعين بارجة . وكأنه اوجس شراً من المنيه في تلك الواقعة فدخل غرفته في المركب وكتب وصيته الى خليلته ثم خرج واخذ يصدر لظباط المراكب الاوامر اللازمة ويشدد عزائم الجنود ثم امر باطلاق المدافع فاطلقت في الحال واشتبك القتال بين الفريقين وبعد حرب عنيفه اسر اميرال الفرنسيس بعد ان تلف من بوارجه ١٩ بارجة وفاز الانجليز في تلك الحرب فوزاً مبيناً لم يروا مثله من قبل . وامتلكت انجلترا من ذلك العهد ناصية البحر وصارت السيده عليه لا ينازعها في سيادتها احد وتلاشت قوة نابوليون البحريه ولم يقم لها قائمة من بعد . وكان نيلسون في تلك الحرب لابساً ملابسه الرسميه ومزيناً صدره بالنياشين التي منحها . ويقال انه كان يباشر كل الحروب بفاخر اللباس . فجلب ذلك عليه في تلك الواقعه مراقبة الاعداء واطلق عليه احد الجنود من بارجه فرنساويه رصاصه اصابت ظهره وكسرت العظم فجرحته جرحاً بليغاً ونقلوه الى غرفته فاقد الصواب وبعد قليل افاق على دوي عظيم فاستدعى قبطان المركب وسأله عن نتيجة القتال فاخبره بالنصر التام فانسر وانشرح وسكر بخمرة الانتصار وهو يقاسي سكرات المنون وصاح قائلاً انني اموت الآن مسروراً بعد ان قضيت الواجب عليّ لوطني واوصى باعطاء سيفه لخليلته اللادي هملتون ثم اسلم الروح وهو يذكرها ويذكر وطنه وذلك

في سنة ١٨٠٥

وقد قدرت الحكومه ما ناله الوطن من الفوز على يده فعينت لشقيقه راتباً سنوياً قدره مائة وخمسين الف فرنك ووهبت لشقيقتيه ٥٠٠ الف فرنك

وكذلك نقلت جثته الى اندره ودفنت فيها باحتفال عظيم على نفقة الحكومه وأقيم له في ساحة طرف الغار تمثال فاخر على عمود من المرمر بلغت نفقته خمسة واربعين الف جنيه وكتب على هذا العمود عبارته التي نطق بها في المعركه الاخيره وهي : ان انجلترا تتوقع من كل فرد من رجالها ان يقضي الواجب عليه

« الدوق ولنتون »

« Wellington »

هو البطل الهمام والقائد الشهير وزير انجلترا الكبير

ولد بمدينة دوبلين (عاصمة ايرلندا) في بيت كريم في ٢ مارس سنة ١٧٦٩ وتلقى دروسه الابتدائية في مدينة اتون واتمها على مدرس خصوصي في مدينة بريتون ثم انتقل الى فرنسا وتخرج في مدرستها الحربيه وانتظم في خدمة الجيش الانكليزي وشرع يرتقي فيه رويداً حتى نال سنة ١٧٩٣ منصب مساعد كولونيل . وفي سنة ١٧٩٤ كان يقود فرقة من الجيش الانكليزي المحاصر لمدينة اوستاند فاستفاد في تلك الحرب مما الم بالجيش من المصائب ما يجب على القواد من الاداره واظهر من البساله والاقدام ما اوجب ترقيته الى منصب كولونيل وارسل الى الهند في سنة ١٧٩٧ فانتصر على الامير تيبوصاب من كبار حكام الهند ومن الد اعداء الامه الانكليزيه واجتهد في ترقية شأن الجنود الذين كان يقودهم فنال مدح رؤسائه ورقى الى منصب جنرال .

ولما حدثت في الهند حرب المهرات الشهيرة سنة ١٨٠٣ عين رئيساً للحمله الانجليزيه وكان جيشه لا يتجاوز الثمانية آلاف مقاتل بينما كان جيش المهرات مؤلفاً من خمسين الفاً من نخبة الرجال منهم نحو عشرة آلاف منظمون على نظام الجيوش الاوربية يقودهم ضباط وقواد من الافرنسيس وقد هاجم بجيشه القليل العدد تلك الجيوش الجراره فقاتلوا قتال الابطال وقاموا باعمال

لا يقدر الانسان ان يأتي باعظم منها وطال وقوف ولتتون في تلك الحرب في دائرة المنون فنجا منها وكان يقتحم صفوف جنوده ويشدد عزائمهم ويحيي هممهم متعرضاً لرصاص البنادق خائضاً بحار المنايا ببسالة وثبات خلد له في بطون التاريخ احسن ذكرى حتى انتصر في تلك الحرب انتصاراً عظيماً وقد سكر جنده من خمرة ذلك النصر فتورط البعض منهم في الفحش والمسكرات فجازى المرتكبين اشدّ جزاء . وقلد بعد ذلك امارة بعض الولايات الكبيره فصرف همه لتحسين حالها وترويج حركة الاعمال فيها فبدت في الاداره مهارته كما ظهرت في حومة الوغى ببسالته ثم طلب من حكومته العود الى انجلترا لمعالجة صحته مدعياً ان هواء تلك البلاد يضر به كثيراً . وحقيقة الامر انه كان يرغب في معالجة مطامع نفسه لانه لم يعد يرى في الهند بعد ذلك الفوز العظيم من مجال لبلوغ ذروة المجد التي كان يطمح ببصره اليها فصادف طلبه قبولاً وغادر الهند باحتفال شائق وقدمت له اعيان مدينة كلكوتا هدايا ثمينة منها سيف ثمين قبضته مرصعة بالالماس والاحجار الكريمة . وقد قوبل في انجلترا بالترحيب والتكريم وانعم عليه بنيشان الحمام . ثم عين كاتم اسرار حاكم ايرلاندا وارسل تحت قيادة اللورد كاتكازت لغزو مدينة كوبنهاجن فلم تطأ قدمه تلك البلد بالجيش القليل الذي كان يقوده حتى بدد شمل الدانيزيين وانتصر عليهم انتصاراً مبيناً . ورقي سنة ١٨٠٨ الى رتبة وكيل جنرال وارسل بعشرة آلاف جندي لتحرير اسبانيا والبورتغال فقصدهما وحارب العدو وانتصر في واقعتين عظيمتين وامضى معاهدة سنترا

ومما يروى عنه ان منظار الهجس والتفكر كان يلوح دائماً على وجهه في تلك البلاد

فسأله بعضهم مرةً بماذا انت مفكر . فاجاب بنابوليون الذي دوخ ممالك اوروبا ولم ارهُ للآن . فانا اهجس بأمر تدويخه والظفر عليه لاهداء اوروبا والعالم بأسره الامن والسلام والحرية التي يعبث بها . وقد تم له ما تمنى وتسنى له الفوز عليه في واقعة واطرلو الشهيرة بعد ان عين قائداً عاماً للجيوش الانجليزية في اسبانيا وكان موقفه في تلك الحرب من اصعب المواقف تحيط به الصعوبات من كل جانب فعانى المشقات بهمة هرقلية وقام باعمال تدهش العقول وكان يرفع صوته بين جيشه مع صوت المدافع التي كانت تدوي كالرعود مثبتاً عزائمهم بعد ان كاد يتشتت شملهم مولداً فيهم الحمية والحماسة بقوله اثبتوا يا اولادي . الوطن الوطن ! ماذا يقول عنا الوطن اذا عدنا اليه مغلوبين . وكانت واقعة واطرلو هذه من الوقائع الهائلة لم يرَ العالم اشد منها اذ تغطمت تلك السهول الرحيبة باربعين الف جثة . وبعد قتال ثماني ساعات اخذت جيوش نابوليون تتثني وتهرب باضطراب وخوف حاملة اخبار الانكسار فقاز نابوليون بنفسه مع قليل من حرسه . ولما تم النصر الى ولنتون أمر جيشه جرياً على عادته الكريمة في ساعة الفوز بالانتشار في ميدان القتال حاملين المنعشات للجميع معتنين بجرحى اعداءهم كاعتنائهم بجرحاهم .

وكانت هـذه الواقعه الضربة القاضية على نابوليون والانجليز يجلون قدرها ويطربون باسمها ويحيون تذكارها ويعدونها من سواطع البراهين ودوامغ الحجج على ان فيهم من فطاحل الرجال وصناديد الابطال مايكفي لرغم انوف الملوك الجبابرة والاسود والاكاسرة . قال ولنتون في نهايتها . اني لا اثمل بخمرة النصر الذي تم لبلادي على يدي ولكنني اتمنى ان تكون هذه

الواقعة خاتمة الحروب

ولقد طار صيته في الآفاق واتجهت اليه عواطف الامة وحامت عليه البشائر من ملوك اوروبا وقدمت له هديه مائتي الف فرنك ونفحه اسكندر ملك روسيا بنيشان القديسه حنه من الدرجه الاولى مع مليون فرنك ولقبه ملك هولاندا بامير واطرلو ومنحه ٢٠٠ الف فلورين ونال غير ذلك من الالقاب العظيمه والهدايا الثمينه وعكف بعد تلك الواقعة على السياسة فحول قواه الجسديه الى فكره وتقلد بعد مدة من الزمن منصب الوزارة فظهر ايضاً غايةً في اخلاص وطنه وآية في جلده وثباته وعاش ٨٤ سنة وظل متمتعاً بقواه الجسدية والعقلية الى آخر دقيقة من حياته وكان من نوادر الخلق في الوجود حكمة وشجاعة واقداما لقب بالدوق الحديدي لثباته الذي لم يفارقه قط . وكان مع ذلك عنوان الصداقة والامانة والشفقة وكان مثالاً في علم السلوك قال عن نفسه انه بعد ان ناهز الستين من عمره لم يخاصم احدا في حياته قط . وقد قاسى هذا البطل من كبرياء الاسبانيين وعدم ثقتهم به ومن عادات عساكره السيئه ومن مضادة اعدائه السياسين في بلاده صنوف العذاب . وقد كانت شجاعته ارقى من شجاعة غيره . لانه لم يكن ليتعرض لشر العواقب الا مترويا ولم يكن ليقدم على امر الا قاصداً وعازماً ولذلك قلما اخطأ في اعماله الكثيرة وكان النصر حليفه اينما سار . فهو كما وصفه بعض المؤرخين من طبقة نابوليون خبرةً ونزوعاً الى المعالي وكرمويل حكمةً وخبرةً ودهاءً وواشنطون عفةً ومحبةً لوطنه .

« الجنرال ولسلي »

« General Wolseley »

هو البطل المقدام قائد الجيوش الانكليزية العام (عند وضع هذا الكتاب) ولد في بيت كريم من ايرلندا . وربي صغيراً في مدارس انكلترا الحربية وانتظم في خدمة الجيش الانكليزي في التاسعة عشرة من عمره وأرسل اول مرة الى الهندوهي البلاد التي كانت ميداناً للنشاط الانكليزي فبدا فيها ايضاً نشاط ولسلي وهو في اول العمر ورقي الى رتبة ضابط . ثم اشتهر امره شاباً في حرب القرم وجرح جرحاً بليغاً في حصار سباستبول شفي منه ونال جزاء اقدامه نيشان القرم واللجيون دونور والمجيدية ثم عاد الى الهند وحارب في حصار مدينة لكنوا سنة ١٨٧٥ ورقي بعد الاستيلاء عليها الي رتبة ماجور ولما اشترك في الدفاع عن مدينة الومباغ وحارب بكل بسالة واقدام علا شأنه وذاع صيته فارتقى الى منصب مساعد كولونيل . وفي سنة ١٨٦٠ قاد الجنود الانكليزية التي اشتركت اذ ذاك مع الجنود الفرنساوية في محاربة الصينيين فاستظهروا عليهم حتى وصلوا الى مدينة باكين عاصمة ملكهم وظل هكذا وقوته تعظم بالحروب وشهرته تزيد بها حتى وصل الى منصب كولونيل في سنة ١٨٦٥ وعقد له في ١٨٧٠ على جيش لاخضاع العصاة على ساحل البحر الاحمر في كنادا ومما يستحق العجب في هذه الحملة انه ركب النهر فمر بجنادل صعبة المرتقى وشلالات دافقة شديدة مثل شلالات النيل وذلك في قوارب شراعية ومقذافية وغيرها شحنها على السفاين وسكك الحديد الى

الجنرال ولسلي

obeikan.com

فم النهر وأمر بأن يركب في كل قارب عشرة رجال يتزودون بالمأكول الكافي لثلاثة أشهر وهكذا اجتازوا ستمائة ميل اعترضهم في اثنائها خمسون حاجزاً تغلبوا عليها ووصل ولسلي الى العصاة واخضعهم وكان الظاهر الظافر واستحق بعد هذا النصر العظيم صليب سان ميخائيل وسان جورج ومنصب ادجوتانت جنرال في الجيش

ولما استعرت نار الحرب بين الانكليز والاشنتيين في جنوبي افريقيا تولى قيادة الجنود الانكليزية وسار بها مسافة بعيدة في طرق حرجه كلها مكامن وغابات دغلة ووعور ومضايق ضد اعداء لم يكن يعرف استعدادهم ففرق ضباط الجيش وامرهم ان يحتاطوا بهم وهكذا حمل بجنوده عليهم حملة غريبة الظروف والاحوال واظهر من التفنن في الهجوم والدفاع مالا مزيد عليه وظلّ يحاربهم مدة سنة حتى شتت شملهم وهزم ملكهم كوفي كالكالي عند اكرمبو وحرق هذه المدينة ودخل قوماسيا عاصمة الاشنتي ولم يعد عنها الا بعد ان اوجب الغرامه الحربية على ملكها ولما وصل بجنوده انكلترا قوبل باجل اكرام واستقبل اعظم استقبال واعدت له الحفلات الباهرة ورقي الى منصب ماجور جنرال ونفح بالوسامات والالقاب الشريفة وقرر البرلمان ان تصرف له مكافأة ٦٢٥٠٠٠ فرنك ومنحه مجلس بلدية لوندرا سيفاً عظيماً وانهالت عليه التهاني من كل صقع ومكان

وفي سنة ١٨٧٥ عين حاكماً على جمهورية ناتال في جنوبي افريقيا وكلف باخضاع البويرس ثم عاد الى انكلترا في سنة ١٨٧٧ ورقي الى منصب مارشال وتعين في ١٨٧٨ حاكماً لجزيرة قبرص

ولما ظهرت الثورة العرابية المشهورة في مصر سنة ١٨٨٢ قاد الجنود الانكليزية وانتصر انتصاراً باهراً على الجنود المصرية في واقعة التل الكبير واخضع العصاة وعاد الى انكلترا وصار ينظر اليه الانكليز كما ينظرون لاعظم ابطالهم وقوادهم وشكروه ما استطاعوا الى الشكر سبيلاً وصار لقبه اللورد ولسلي اوف كَيْرُو

ولما شاع امر حصار الخرطوم وكتب غوردون الى حكومته يستغيث بها اعتمدت ارساله ثانياً بسبعة آلاف جندي لخلاصه وخلاص الكولونيل ستوارت واشارت عليه قبل خروجه عدم التوغل في السودان ولكنه وصل اليها متأخراً لان الخرطوم كانت اخذت وقتل غوردون فاخلت انكلترا السودان من عساكرها وفي الحال امر ولسلي الجنود الانكليزية ان تنسحب وبعد عودته الى انكلترا وصل الى ذرى المجد والشرف بتعيينه قائداً عاماً للجنود الانكليزية وهو لا يزال يتولى هذه الرئاسة

وقد اشبه هذا القائد العظيم اعاظم الابطال عزماً واقداماً وهو غاية في الرزانة والفراسة كان يمكنه جمع افكاره وتوجيهها الى اي امر اراده في ميدان الحرب والوغى وقد غلب طالع سعده كل المصاعب التي قامت امامه وسار النصر بركابه اينما سار وانتصر في كل حروبه بلا استثناء .

« اللورد باكون »

« Lord Bacon »

من اعاظم فلاسفة الانكليز ومن اشهر مؤلفيها وقطب الفلسفة الحديثة واب فلسفة العصرية . وجد في ايام الملكه اليصابات وكان ابوه السير نيقولا باكون من ذوي الوجاهة واليسار في بلاده وكانت امه من نوابغ النساء فى الذكاء ولما بلغ الثالثة عشرة ارسله ابوه الى مدرسة كامبريدج الشهيرة فاتم فيها علومه ثم ارسله الى اوروبا فزار اكثر ممالكها وكان في هذه الاثناء ينقب عن احوالها ويبحث عن قوانين الممالك في البر والبحر ويكتب ما يتصل به حتى جمع من هذه الشوارد شيئاً كثيراً ضمها الى كتاب سماه حالة اوروبا وهو وقتئذٍ في التاسعة عشرة من عمره واشتهر امره وهو في فرنسا بحله بعض مسائل الملكة اليصابات على احسن اسلوب فوّض اليه حلها سفير انجلترا ثم عاد الى بلده حين وفاة والده فرأى ان ثروته غير كافية ليلازم على العيش الذي تعوده فانعكف على درس القانون ليلاً ونهاراً ليتخذ صناعة المحاماة وسيلة لكسب المال وسلماً للمراتب العالية فتحصل في اقرب وقت على ما كان يتمنى وامتثل مراراً بحضرة الملكه اليصابات فاعجبها ما كانت ترى في اقواله من البلاغة والفصاحة فعينته في سنة ١٥٨٧ مع صغر سنه مستشاراً خاصاً لها إلا ان ايراد هذه الوظيفة لم يكن ليكفيه . ولولا كرم اللورد اسكس وزير انجلترا الذي حباه وقتئذٍ باراضٍ يعيش من ريعها لوجد نفسه في فقر مدقع

وفي سنة ١٥٩٣ انتخبته مقاطعة مدلسكس نائباً عنها في مجلس الامه

واول خطاب القاه كان في تعضيد ما تتمناه الرعية من اصلاح القوانين وكان في كلامه من الفصاحة وحرية الفكر ما ادهش الحاضرين وبعد ايام قلائل وقف خطيباً يحض على ايقاف بعض الرواتب التي كانت تصرف من الخزينة العمومية وقد اظهر من الجرأة فى المقال ومن التهييج في الخطابة ما ساء اكثر الحاضرين والملكه خصوصاً وكان شديد الولع بالتأليف فنشر في سنة ١٥٩٤ اول تآليفه السياسيه واتبعه بتأليف آخر في مواضيع شتى بين دينية وادبية فصادف المؤلفان اعظم قبول وترجما الى اكثر اللغات وكان مبذرا للاموال فتراكمت عليه الديون وارتبكت احواله كثيراً فسجن مرتين ولبث مدة في فقر مدقع وبلاء موجع يصارع الدهر والدهر يصارعه ولما جلس تشارلس الاول على سرير الملك وكان محباً للعلوم وتعضيد العلماء احيا امال هذا الفيلسوف التعيس وقربه منه وعينه في وظيفة المحامى العمومي وهي الوظيفة التى كان يتطلبها في ايام الصابات ثم اخذ يرقيه الى المناصب العالية حتي جعله حافظاً للاختام . واقترن في تلك السنة بابنة احد اغنياء لوندرا فصار دخله السنوي ثمانية آلاف جنيه ونشر في هذه الاثناء عدة كتب في الفلسفة والتاريخ احدثت تغييراً عظيما في اداب اللغة الانجليزية ونال بها شهرة عظيمة في كل اوروبا ورقي ايضاً في سنة ١٦١٤ الى منصب مستشار خاص للملك وقام باصلاحات جزيلة النفع عظيمة الفائدة وساعد الملك على ضم اسكوتلاندا الى انجلترا ضما وثيقاً فرقاه الى مرتبة اللوردية وصار اللورد باكون فيكونت سان اولبان . ومازال اسمه ينتشر حتى وصل الى ذرى العظمة وصار في مقدمة كبار المملكة فعاد الى الاسراف والاتلاف يتباهى بمظاهر الابهة والفخر ولكنه ما عتم ان عاد الى ما كان عليه

من الحال الاول من الضيق والارتباك فلجأ الى كسب المال بواسطة وظيفته واستعمل خدمه لذلك فكان لا يقضي حاجة احد بدون اجرة وصار يبيع الالقاب والوظائف بيعاً حتى علم هذا الامر وشاع واخذ التنديد يشتد عليه يوماً فيوماً فرفع عليه ٢٤ قضيه امام مجلس النواب حولها كلها الى مجلس الاشراف وطلب محاكمته وكان بعزمه ان يدافع عن هذه القضايا بصدر رحيب وجنان ثابت لكن صحته لم تساعده على الجدال فحكم عليه بغرامة قدرها اربعون الف ليرا انجليزيه وبالحرمان من الوظائف الاميريه ومن النيابه عن الامة في مجلس النواب وبالسجن مدة تتوقف على رغبة الملك فسجن مدة يومين ثم اطلق سبيله وعفى عنه عفواً تاماً لما كان له من الايادي البيضاء في خدمة المملكة وصرف بعد ذلك باقي ايامه في المباحث العلمية وتأليف الكتب الفلسفية العظيمه . وكان غزير المادة متوقد الذهن سريع الخاطر . وكانت الاصول الكنائسية لحين بزوغ آرائه متسلطة وسائدة على العلم لحد ان اخضعت لها العلوم الحسابية والطبيعية . ولم يكن ليراعى في جميع الآراء الفلسفية والسياسية والوقائع التاريخية سوى الوجه اللاهوتي حتى صار روح العلم والعالم اللاهوت فأثر بتعليماته وتآليفه المفرغة في قالب فلسفي تأثيراً حسناً نتج عنها تحويل مجرى الافهام عن السبل اللاهوتيه الى الحقائق الفلسفية وعن النمو بعد الضغط والتوسيع في العلوم بعد التضييق

وبالجملة فان مذهب تعاليمه وارشاداته نشأ عنها حركة عقلية كانت اعظم وافضل ما شوهد في العالم القديم فاجمع العلماء على انه كان استاذ الفلسفة الحديثة .

« نيوتون »

« Newton »

هو الفيلسوف الكبير رئيس جيش العلماء والمكتشفين المحدثين

ولد في مدينة (ولثرب) من مقاطعة لنكولن في انكلترا في الخامس والعشرين من دسمبر (وهو يوم ميلاد المسيح) في سنة ١٦٤٢ (وهي السنة التي توفي فيها غليله الشهير) .

كان ابوه فلاحاً فاصيب بفقده صغيراً وربي في حجر امه يتيما وارسل في السنة الثانية عشرة من عمره الى مدرسة جرانتهام وكان في اول امره متوانياً بليداً خاملاً وقد اتفق ان التلميذ الذي كان يعلوه درجة في الصف عيره بكلام أثار غضبه وانهض همته فدفعه الى الدرس بكامل قواه ولم يمض عليه اليسير من الزمن حتى سما على اقرانه وصار اولهم بعد ان كان آخرهم .

واشتهر عنه وهو في المدرسة الميل الى استعمال القدوم والمنشار والمطرقة فكان يقضي اكثر اوقاته منعزلاً في حجرته يعمل الآلات الميكانيكية فصنع عربة تسير وحدها لمجرد بعض حركات يقوم بها الجالس عليها . ومطحنا هوائياً له تمثال فارة يدير محوره . ومزولة لمدينته وأشياء أخرى كثيرة كان يهديها للتلامذة أصدقائه . وهكذا تمكن منه الميل الى الاليات منذ حداثته حتى أداه ذلك الى أعمال مجيدة واختراعات مفيدة

وانتظم في سنة ١٦٦١ في مدرسة كمبريدج فعكف على درس القواعد التي وضعها الفيلسوف كبلر المشهور في علم الهيئة وتعمق في درس النور

ثم رغب في الفلك فبدأ أولاً في توسيع نطاق معارفه بالعلوم الرياضية وشرع في البحث والتنقيب حتى ابتدع أوجز طريقة لترقية الكميات الثنائية في الجبر وأوجد طريقة التربيع الفلكي وبحث عن طفاوات القمر وهالاته ونال في سنة ١٦٦٥ شهادة بكلوريوس في الفنون وسقطت امامه في السنة التالية تفاحة سقوطاً منحرفاً فانتبه لهذا السقوط وافتكر فيه ملياً ولكن أشكل عليه الامر فتركه ليعاود البحث فيه . ثم عين في مدرسة كمبريدج استاذاً للفنون فقضى فيها ستة وعشرين عاماً مواظباً على التدريس وقد درس الكيمياء وعين في سنة ١٦٧٢ عضواً في المجمع الملوكي في لوندرا واشتهر بالمنظار العاكس المسمى باسمه وبعلم السوائل الذي وضعه وبما جرى بينه وبين بعض العلماء من المناظرة على طبيعة النور وما زال يواصل التفكر والبحث بشأن التفاحة حتى ظهر له في سنة ١٦٨٠ ان الارض كرة مسطحة القطبين ولكنها ليست تامة الكروية وحسب مقدار تسطيحها عند قطبيها وانتفاخها عند خط الاستواء بدورانها على المحور الوهمي وتجاذب دقائق حجمها وتكلم عن المد والجزر وقال انهما مسببان عن جاذبية القمر . واوضح المد الاعظم والمد الاصغر . وتعمق في البحث عن النور الشمسي فحلله الى الوانه السبعة المعروفة ثم ركبها واستخرج الثقل النوعي للسيارات . وابان سبب دورانها حول الشمس . وكانت اعظم الاسباب لشهرته اكتشافه قوانين الجاذبية العامة وكتابه المعروف بالفلسفة الطبيعية والاصول وهو يشمل معظم ما افاد به العلم . ولما طار صيته وعظمت شهرته عين عضواً في البرلمان غير ان السياسة لم تثنه عن مواصلة البحث والاكتشاف ولم يتكلم كل الزمن الذي جلسه في البرلمان سوى مرة

واحدة اشار فيها على الحاجب بان يغلق شباكا كان يدخل منه هواء يمكن ان يضر بالخطيب

ولما استلم اللورد هاليفكس زمام الوزارة وكان من تلامذته عينه مراقباً في مضرب النقود براتب سنوي قدره ٣٠٠٠٠ فرنك . وفي سنة ١٦٩٣ رمى كلبه شمعة متقدة سقطت على ورق احرقته وكان شديد الحرص على هذا الورق لاشتماله على عمليات طويلة من الحساب قضى في استخراجها الايام الطويله وقد حزن من جراء ذلك حزناً شديداً أثر في صحته تأثيرا بليغاً حتى ضعف فهمه وكاد يختل رشده ولكنه شفى ولاذ بالصبر وعاد الى ما كان عليه من الجدال والنضال مع معاصريه من العلماء ونشر مؤلفه الشهير المعروف بالبصريات . ومؤلفاً اخر على الحساب العام واربع رسائل اثبت فيها وجود اله حكيم . وما زال يتدرج في معارج الشهرة والفخر وتواصل أفكاره السامية طي الاكتشاف والتأليف بالنشر حتى منح من الملكة حنه بلقب كافليير وتوفي في كنسنتون في ٢٠ مارث وله من العمر ٨٥ عاماً فماج الانكليز لموته ونقلت جثته الى لوندرا وحمل نعشه الامراء ومشى في مشهده اكابر المملكة وعلماءها ووارده في ضريح رخامي في اعظم موقع من كنيسة وستمنستر وقد شيد ضريحه هذا على نفقة ورثته ونفقة الخزينة العمومية فبلغت نفقاته خمسمايه جنيه وقد نقش عليه رسمه وصورة اطفال يحملون اشكالاً مختلفة عليها اكتشافاته بعبارة لاتينيه واقيمت له تماثيل في بعض انحاء المملكة وخلف ٣٢٠٠٠ جنيه انكليزي رغماً عما كان يجمعه في عيشه من مظاهر الابهة والترف

ويروى عنه انه لم يفقد سوى سناً واحدة ولم يستعمل النظارة قط وكان متوسط القامة مليح الجملة حاد النظر قليل الكلام في مجتمعاته ولم يكن في كلامه ولا في كتابته ادنى عذوبة وطلاوة شأن الفيلسوف السامي التصور

وكان كغيره من العلماء كثير التفكر شديد التذكر يروي عنه انه كان ينفق عند استيقاظه صباحاً من النوم بضع ساعات جالساً على سريره شارداً عن وجوده وغائصاً في لجج افكاره بكل قوى عقله فيذهل عن الاكل اذا لم يجد من ينبهه لذلك وقد سئل يوماً بماذا اكتشفت كل هذه الاكتشافات فأجاب بالتأمل المستمر فيها ويروى انه لم يخضع لنير اية عادة كانت وكان كريماً محسناً شديد المواظبه على اعماله لم يتزوج خوفاً من ان تصرفه العلائق الزوجية عن اتمام مباحثه وتآليفه وقد وصفه بعض المؤلفين بانه كان كثير الانفة شديد الوطأة على العلماء يعاملهم بالعجب والخيلاء . بيد انه كان يقول دوماً انني لا ادري لماذا يثري علي المدح لهذا الحد فلا فضل لي في كل اعمالي لانني اشبه نفسي بطفل يلعب على شاطئ البحر فيلتقط من وقت لآخر صدفة جميلة او قوقعة يلفظها بحر الحقيقة بينما يظل غامضاً عن الابصار ماحواه من جواهر الحقائق

ووصفه مؤلف بقوله : ان الطبيعة ونواميسها كانت محتجبة في ليل دامس حتى قال الله ليكن نيوتون فاستنارت كلها

« هربرت سبنسر »

« Herbert Spencer »

هو الفيلسوف الكبير من مشاهير فلاسفة العصر الحديث .

ولد سنة ١٨١٠ في مدينة دربي وربي في حجر والده وعكف منذ نعومة اظفاره على درس العلوم الرياضية فلم يبلغ السابعة عشر من عمره حتى اتقن فن المساحه وفي الثانية والعشرين تجلت بنات افكاره الفلسفيه والاقتصاديه في رسائل شتى موضوعها « مدار الحكومه » ثم لما رأى ان اقتداره الذاتى جدير بان يرشحه لتبواء مكاناً عالياً بين علماء عصره ترك المساحه واقتصر في بيته على المطالعه والتأليف فصنف كثيراً من المؤلفات الجليله الشامله لكل معارف البشر في علم الحياه والاحياء والعمران والفلسفه العقليه والآداب والسياسة والاخلاق عدا عن الشذرات التي كان يتحف بها الجرائد العلميه فجمعت وطبعت في ثلاثة مجلدات

واشتهر كثيراً بمذهبه الفلسفي الذي ايده بالحقائق والبراهين العليه وقد شار فيه الى ان الارتقاء يعم كل ما في الكون فاتتح بسببه ميدان الجدال والمناظرة بين العلماء ثم شهد له بصحته معظم أضداده وسلموا به

وهكذا اشتهر سبنسر بين العلماء حتى طبق صيته الآفاق وناظره بعض المعاصرين له اخصهم هريس زعيم حزب كونت في جريدة القرن التاسع عشر وكانت اشهر الجرائد الشهيرة تلتقط اقوالهما وتزين بها صفحاتها

وزار هذا الفيلسوف في اواخر سنة ١٨٨٢ الولايات المتحدة الاميركية

سبنسر

وقد تقاطر عليه العلماء من كل مكان لالتقاط درر اقواله ونشرها في جرائدهم ولما عزم على الشخوص لبلاده اعدوا له مأدبة فاخره فخطب فيهم خطاباً انيقاً على حالة بلادهم كان له اعظم وقع في نفوسهم واعتبروه اعظم دليل على الدرجة التي وصلوا اليها من العمران وقد سار سبنسر بمباديه العلميه وارائه الفلسفيه على مذهب ابن خلدون (الفيلسوف العربي الشهير) فطرق كل المواضيع العلميه والطبيعيه والرياضيه التي طرقها ابن خلدون معتمداً كل منهما على ماعرف في عصره محاولاً اتباع تاريخ العمران

« اللورد كلفن »

« Lord Kelvin »

هو وليم طمسن اكبر فلاسفة هذا العصر واعظم علماء الكيمياوالكهربائية .

ولد في سنة ١٨٢٤ في مدينة بلفاست من اعمال ايرلندا وتلقى علومه في مدارس اسكوتلاندا واتمها في مدرسة كمبريدج وقد اولع صغيراً بالعلوم الطبيعية فبرع فيها كبيراً ولما ترك المدرسة ذهب الى باريس وزاول العلم والعمل بها على احد علماءها المشهورين حتى اشتهر امره فاستقدمته مدرسة كمبريدج ليكون استاذاً للعلوم الكيماوية والطبيعية ومنذ ذلك الحين اوقف كل اوقاته بالتأليف والتدريس والبحث والاختراع حتى صارت مؤلفاته واكتشافاته واختراعاته لاتعد ولا تحصى على ان اعظمها مد الاسلاك البرقية تحت الاوقيانوس الاطلانطيقي لايصال امريكا بانكلترا وتبادل الاشارات بينهما بسرعة البرق بعد ان كانت تستغرق الساعات وقد صرف في هذا العمل الايام والاعوام يستنهض الهمم ويحث ذوي الثروة على المساعدة والاكتتاب حتى توفق لنوال مراده ونجاح مسعاه واقيم الاحتفال العظيم بمد هذه الاسلاك وكانت اول اشارة ارسلت عليها هي : « اتصلت انكلترا وامريكا بالتلغراف فالمجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرة » وانعم عليه عقب ذلك برتبة « سير » وانهالت عليه التهاني والانعامات من اكثر ممالك اوروبا .

ومن اختراعاته الشهيره الابرة المغنطيسية واجود انواع البطاريات

الكهربائية وغيرها كثيراً ويؤكد الخبيرون ان كل مشتغل بطب او بصنعة دقيقة لايقدر على العمل بحرفته من غير استعمال ادوات هذا الفيلسوف فهو لحين وضع هذا الكتاب لم ينقطع عن الاختراع والاكتشاف اسبوعاً واحداً حتى صار مرجع ثقات العارفين في كل امر يتعلق بهذه العلوم .

وقد رقي في سنة ١٧٩٢ الى رتبة الاشراف واعطي لقب لورد وصار يعرف بلورد كلفن وانتخب لرئاسة جمعية العلوم الانجليزية . وقد احتفل في هذه السنين الاخيرة بلوندرا احتفالاً باهراً بمرور خمسين عاماً على اشتغاله بالتدريس والتأليف فحضر الاحتفال العلماء ومندوبو الجمعيات العالية من كل انحاء انكلترا وبلدان اوروبا واميركا

« شكسبير »

« Shakespeare »

اشعر شعراء الغربيين على الاطلاق وامام شعراء الانكليز ونسيج وحده في الروايات التمثيلية

ولد سنة ١٥٦٤ في مدينة ستراتفورد من مقاطعة وارويك . وهو اكبر اولاد جون شكسبير الذي على مايقال كان فلاحاً يعيش من ريع ارضه وقد اختلف المؤرخون في شهرة ابيه وحرفته لان شهرة ابنه حملتهم على ان يبحثوا مدققين عنه فمن قائل انه كان جزاراً ومن قائل انه كان راعياً وقصاباً وكان ابنه يساعده في حرفته ومما لاخلاف فيه انه نشأ من اصل دنيء وتعلم مجاناً في مدرسة صغيرة في بلدته فاخذ عنها اللغة اللاتينية وقليلاً من اليونانية ولما أتى لوندرا تعلم الافرنسية والايطالية والاسبانيولية ثم وقع بابيه فقر مدقع اضطره ان يخرجه من المدرسة ويبقيه عنده ليكون عوناً له في صناعته فعلق في ٢٨ نوفمبر سنة ١٥٨٢ بحب حنه هاتوى من أحسن عائلات بلدته وكانت تكبره بثماني سنوات فاقترن بها وعمره نحو التسعة عشر سنة ورزق منها ابنتين وولداً

وقد مال شكسبير منذ نعومة اظفاره الى نظم الشعر فلما استقدمه اليه ابوه نظم قصيدتين شهيرتين ضمنهما شرح حاله والفقر الذي آل اليه والده وكيف ترك المدرسة غير متمم دروسه فطبعتا في لوندرا مراراً وانتشرتا في انحائها انتشاراً نال به بعض الشهرة بعدة وجيزة

وقد تقلب بعد ذلك ردحاً على حالة عسر وكان يزاول على حضور

التمثيل في بلدته فتاقت نفسه الى الاهتمام بهذا الفن لما كان له من الميل الى النثر والنظام ورأى بالتمثيل اشرف صنعة لتحصيل عيشه وعيش عائلته فاندمج في سلك مشخصي جوق البلدة ونال شهرة عظيمة بما بدا منه بحسن التوقيع فاستبشر به مدير الجوق وعزم ان ينتقل برجاله الى لوندرا فاجمع الممثلون ان لا يرحلوا اليها الا وشكسبير معهم فعزَّ عليه اولاً فراق قريته واهله ولكن ضيق حاله اضطره الي اجابة طلبهم فترك ستراتفورد وهو دون الثالثة والعشرين من العمر ونزل لوندرا وقام فيها على التمثيل بلسان فصيح مبين وكان يمثل على الخصوص ادوار الملوك لتناسب هيئته وجمال طلعته فكان يؤثر على السامعين بحركاته ونظراته وصوته تأثيراً عظيماً وتوج ملك التشخيص بوقت قريب وظلَّ يمارس هذا الفن الى سنة ١٦٨٩ فألف في اثناء هذه المدة اجواقاً عدة كان يرأسها بنفسه وروايات كثيرة كان يمثل اهم ادوارها وقد دهش بوقائعها بنو جلدته وانتشر امرها في اوروبا فترجمت الى اكثر لغاتها .

وهكذا فقد احيا شكسبير فن التمثيل وذاع صيته حتى طبق الفضاء وزادت شهرته حتى بلغت حدَّ الانتهاء وانبث يتدرج في معارج المجد والفخر حتى رأى ان المنزلة التي نالها بين الشعب لا تخول له البقاء بين الممثلين فانعزل عنهم سنة ١٥٩٠ وعكف على التأليف واخذت بنات افكاره الفتانة تواصل تمثيل كل ما يلم من الحوادث بالانسان فوضع روايات كثيرة لا يسعنا حصره لان اكثرها لم تطبع في حياته ولانه لم يكن يقصد بها سوى تحصيل ما يساعده على القيام بشؤون عائلته بيد انه ربح منها مالاً وافراً بمدة قصيرة حتى قدر دخله بمائة وعشرين الف فرنك سنوياً . واكثر الروايات التي كانت تظهر في حياته

كان يهتم بنشرها اصحاب المطابع دون التصريح منه بطبعها كما انهم كانوا يطبعون روايات كثيرة باسمه وهي ليست له فكانت تروج اتم رواج

وكان يذهب سنوياً لزيارة بلدته ويشتري فيها الاملاك الكثيرة حتى صار معظمها له ونزعت نفسه فيما بعد الى الولوج في زمرة الاشراف الا انه توفي في اليوم الذي ولد فيه من شهر مايو سنة ١٦١٦ ولا يزال بيته الى الآن موضع اعتبار كبير عند الانكليز

ومهما بالغ الكاتب في وصف ذكاء هذا الشاعر واقتداره على ابتكار الحوادث والمعاني فانه لا يبلغ الحقيقه ذلك لما بدا من مهارته الفائقة في تمثيل احوال بني البشر احسن تمثيل فسبر غور القلوب وابصر ما ثوى فيها واستقر ومثل الانسان على اختلاف اهوائه واطواره وكشف النقاب عن اسرار طبيعته واكتشف غوامضها . فمثل الاطوار الدنيئة والاميال المنحرفة : مثل الضغينة والمكر في روايته المسماه (بدوي ولا شيء يعني جعجعة ولا طحن) والحسد باشد احواله في رواية « اوتللو » والطمع باجلى مظاهره في رواية « مكبة » ثم المجنون في رواية الملك لير والعظمة والرزانة بشخص يوليوس قيصر . وغير ذلك .

وقد بلغت به (التراجيدي) الروايات المحزنة حداً لم يتجاوزه الآن ولا خلاف بان اعظم الروايات التي تمثل على المراسح الآن هما هملة وروميو وجوليت اما في هملة فقد مثل بمظهر يلين له قلب الجماد ويتفتت لمثله الفؤاد ثورة الابن وقلق باله واضطراب افكاره بعد موت والده فجعله يرى ضياء الدنيا ظلاماً ونور الشمس قتاماً اذ عرف من طيف والده الذي ظهر له من بين الاموات

ان امه وعمه تواطئا على قتله بالسم ثم نفخ فيه روح العزم لاخذ الثار فجازف لذلك بحياته ومثل ادوار المعتوهين ووصف عبث الدنيا وباطلها بوصف بلغ به منتهى الابداع واقوال حماسية تصلب قلب الجبان وتثير ثائر الشجاعة في قلب الضعيف .

ولا غلو اذا قلنا بان رواية روميو وجوليت تفوق ما مثل للآن عن الحب من الروايات في لغات العالم اجمع وقد ترجمت الى كل اللغات ومثلت على مراسح الارض طراً . مثل فيها مؤلفها شاباً وفتاة في سن الصبا وزهرة العمر كلاهما في الحسن آية وفي الجمال غاية واوجد العداوة بين اهلهما وذويهما ثم سلط عليهما عشقاً عنيفاً قوياً ختم على عقلهما وبصرهما واوقفهما مواقف حرجة تبادلا فيها الوجد والهيام بمنتهى ما يكنه فوآد الشاب بكلام جرى بين العشاق مجرى الامثال ثم جعل حبهما سبباً لهلاكهما فانقض عليهما كالصاعقة انقضاضاً سريعاً فلم يفترق قلباهما في الحياة كما ان البين لم يقدر على التفريق بينهما في الممات بل ذهبا بعد وقائع فظيعة يقشعر لها الانسان شهداء الغرام وقتلى المحبة الخالصة وساد عليهما سلطان الحب في الدارين .

وقد أجاد هذا الشاعر بتمثيله النساء تمثيلاً حسناً فجعلهن بشخص حوليات وكورديليا واوفليا وميراندا ودسدومنا ملايكة هبطت من الجنان وانسلت الي أماكن البشر .

وجملة القول ان شكسبير نهج في رواياته منهجاً جديداً لم يسبقه اليه أحد من الكتبة والمؤلفين جعل به شأناً عظيما للغة الانكليزية وجاء لقومه معلماً يهذبهم وراوية يحدثهم بما اتوه من الاعمال من عهد

الملك يوحنا الى هنري الثامن . واظهر لهم على منصة المشاهدة من تياترو بلا كفريارس صورهم الماضية والحاضرة وحالة التوحش والهمجية التي كانوا عليها والكبرياء والاناءة المتصفين بها وكثيراً من الاحوال التي لا تستقيم معها احوالهم ولا تثبت جزائرهم في ثبوتها فاودع بذلك من اقواله الظاهرة في عقولهم نوراً وأثر عليهم تأثيراً فعل في نفوسهم فعل السحر فعرفوا للحال حقيقة أنفسهم وادركوا قدر الشاعر الذي نبغ بينهم وترنحت باقواله اعطافهم عجباً فاخذوا يتناشدون معانيها في كل سفر وحضر وسارت بها الركبان مسير الشمس والقمر ودعوا عصره بالعصر الذهبي للشعر الانكليزي وامتاز على غيره من الاعصر كما امتاز عصر الجاهلية عند العرب وعصر هوميروس عند اليونان وعصر فرجيل عند اللاتين .

ومن الغريب عند الانكليز ان الشاب لا يصير في عرفهم جنتلمان اي أديباً ولا يظهر في العالم ظهوراً تاماً ولا ينال ما تطمح اليه نفسه الا اذا قرأ أشعار هذا الشاعر وعرف استعمال ضروب الاستعارات والكنايات التي اشتملت عليها . ولذلك ترى كتاب الانكليز تعمد في كتاباتهم واقوالهم لتزيدها رونقا وبهاءً بتحليتها بما جاء من المعاني المتبكرة البديعة في رواية هملة او رواية روميو وجوليت او غيرهما من الروايات . فآدابهم كما قال احد المؤلفين تحيا مع اقواله وبها ولاجلها وهم يفاخرون به ولا تراهم في اية بقعة من بقاع الارض الا وهم يقولون لبعضهم بعضاً « شكسبير لنا نبت في ارضنا ونما تحت جو بلادنا فدمه من دمنا نقول اقواله ونفاخر به الارض ولا نرضى عنه بديلاً من شعراء العالم اجمع »

وقد وصفه اسكندر دوماس القصصى الفرنساوي الشهير بقوله : ان شكسبير هو الرجل الفرد الذي أبدع في الكون بعد الله .

« جون ملتن »

« Milton »

هو الشاعر المشهور « صاحب الشعر المعروف بالفردوس المفقود »

ولد بمدينة لندره في ٩ يناير سنة ١٦٠٨ وتلقى مبادىء العلوم في بيت ابيه ثم تخرج في كليه كمبريدج الجامعه وكان ميالاً من صغره الى الشعر فنظمه وهو في الخامسه عشره من العمر . ولما عاد الى بيت ابيه بعد ان اتم دروسه عكف على البحث والاستقراء في كتب الآداب فصنف روايه شعريه اودعها آيات البلاغه ودرر المعاني حتى صار الناس يتداولون عباراتها كما تتداول الامثال فاعيد طبعها وكرر تمثيلها وترجمت الى اللغات الاوروبيه وجعلت له شهره عظيمه ثم اتبعها باربع قصائد كان ايضاً الاقبال عليها عظيماً

وعمد في سنة ١٦٣٨ الى السياحه في أوروبا وبعض مدن ايطاليا وقابل في روميا غليل الطيبى الشهير وكثيراً من علماء عصره وشعرائهم وفلاسفتهم واذاع هناك أراءه الدينيه الحره واطلع على الكتب النفيسه التي اشتملت عليها مكتبة الفاتيكان . ولما بلغه حدوث الثوره العظيمه في بلاده آب اليها ليخدمها بارآئه فاشتهر قلمه ضد خدمة الدين المتطرفين في التعصب . ولما تشيدت دعائم الجمهورية عين كاتباً لها في اللغه اللاتينيه لانه كان الوحيد القادر على الانشاء بها . وصنف مؤلفاً على سلوك الملوك والحكام كان غرضه منه تسكين ثورة الخواطر

التي عمت طبقات الشعب

ولما تولى تشارلز الثاني على انكلترا رغب في الاقتصاص من الذين عملوا على قتل ابيه فكلف احد علماء مدرسة ليون ويدعى سلماسيوس بتأليف كتاب يدافع عنه . فانبرى ملتن للاعتراض عليه فمزق حجته بادلة قاطعه في كتاب سماه دفاع الانكليز تنبهت له الافكار وكان له الوقع الشديد في كل اوروبا وذهب دفاع سلماسيوس كان لم يكن شيئاً مذكورا وقيل انه قضى كمداً وهو يحاول الرد عليه . فاقبل سفراء الدول على ملتن يهنئونه بما ناله من النصر المجيد والمكانة العليا وقد عمى وهو يؤلف هذا الكتاب من كثرة الدرس والسهر ولكنه ظل على التأليف يملي الكتاب وهو متكأ على مقعده . فالف على هذا الكيفيه ثلاثة تآليف كبيره وهي قاموس في اللغه الانكليزيه وتاريخ عام لبلاد الانكليز وبارادیس لوست أي « الفردوس المفقود »

ولما شرع الملك تشارلز الثاني في قتل زعماء الجمهوريه خاف على ملتون بعد اصدقائه فاشاعوا موته واعدوا جنازة حافله ساروا بها الى القبر ووارروها في التراب . ثم بلغ الملك امر تلك الحيله فضحك منها وعفا عن دمه بشفاعة الكثير ولكنه أمر بحرق كتبه التي حامى بها عن حرية الانجليز . ولا ريب في ان اعظم قصائده وابلغها واطولها هي قصيدة الفردوس المفقود المشتملة على عشرة آلاف وخمسمئة واربعة وستين بيتاً . وقد مكث على نظمها مدة خمس سنوات كان ينظم اكثرها في فصول الشتاء حيث كان يهب من نومه ويبرز عرائس افكاره لامرأته وهي تكتبها . ولما فرغ من تدبيجها بالعبارات البليغه والحكم البديعه عرضها على احد اصدقائه فاجابه بعد مطالعتها . لقد

ملتن

اسهبت في وصف الفردوس المفقود ولم تذكر الفردوس المردود فاستصوب ملتون رأيه وعكف على نظم قصيده ثانيه وسلمها له بعد قليل من الزمن قائلاً اني مدين لك بها . ويروى انه بينما كانت القصيدة الاولى تطبع حمل (السرجون دسمر) بعض ملازم منها ودخل مجلس العموم قائلاً « هاكم ابلغ شعر نظم للآن »

وقد أمَّه في عزلته كثير من العلماء والشعراء منهم اخو الملك كارلوس وقال له : الا تظن ان فقدك بصرك هو قضاء من الله بسبب الكتابات والرسائل المديده التي اذعتها ضد المرحوم والدي الملك . فاجابه اذا كان كل مصاب يعتبر قصاصاً الهياً فاعتبر اذاً ان قطع رأس والدك المرحوم هو من هذا القبيل . فارعى اخو الملك ساعتئذٍ وازبد وخرج تواً ولاقى اخاه الملك وطلب منه قتل ملتون فقال له الملك : او رأيته . قال نعم . قال وكيف رأيته . قال في فقر مدقع وبلاء موجع هرماً ضريراً . فقال الملك اذ اقتلناه ارحناه من هذه البلايا . غير انه توفى بعد قليل بعد ان لاقى اشد الآلام فتأثر الشعب الانكليزي لموته ومشي عظماءهم واكابرهم في حفلة جنازته

ومن غريب الاتفاق ان هذا الشاعر العظيم اشبه ابا العلاء المعري الشاعر العربي المشهور في عمى بصره وتوقد بصيرته وحرية فكره وسرعة خاطره وليس بين شعرهما اختلاف يذكر بل قد تواترت خواطرهما في امور كثيره .

وقد ضمن ملتون قصيدة الفردوس المفقود الطويله المعاني البديعه عن معارف القدماء المحدثين الحقيقيه والوهميه واودعها الخطب الحماسيه والمساجلات

الحيه ووصف الحروب والخطوب والسهول والاوعار والجبال والرياض والملائكه والابالسه بابدع وصف وأبلغ عباره

« اللورد بيرون »

« Byron »

هو احد مشاهير شعراء الانكليز وآية عصره في فن القريض ومهبط اسرار خيال الطبيعة ومخرج ابكار المعاني من خدورها

ولد في مدينة دوفر في الثاني والعشرين من شهر يناير سنة ١٧٨٦ من بيت قديم عريق في المجد يتصل نسب ابيه بالنورمنديين ونسب امه بجمس الاول ملك ايقوسيا . ولم يكن بين ابويه ائتلاف فهجر الرجل امرأته بعد ان ولدت منه هذا الشاعر وذهب الى فرنسا وبدد ماله ومالها في الخلاعة ومات غير مأسوف عليه . فانتقلت الام بطفلها لفقر حالها الى مدينة ابردين حتى اذا ترعرع وبلغ الخمس سنوات من العمر ادخلته مدرسة صغيرة وقدّر ان مات عمه ووريثه فآل اليه لقب اللوردية مع ميراث عظيم وانتقل الى مدرسة هارو .

وكان من صغره شديد التأثر كثير التفكر سريع التذكر تلوح على وجهه دلائل النباهة والذكاء وتنبعث من عينيه تصورات الشاعر وتبرق اسرته بانوار الجمال . وما بلغ من العمر اشده حتى اولع بالنظر الى جمال الطبيعة كما صبا الى جمال الخليقة . فكان يقضي فصل الاجازة المدرسية بين جبال اسكوتلاندا ومناظرها الطبيعية . فرأى مرةً في مدينة اناندال بالقرب من نيوكاسل فتاة

حسناء كالبدر سناءً تدعى (ميس ماري شاورت) فمال اليها بكل عواطفه وحواسه وعمد الى الوصول اليها والتقرب منها وكانت تكبره سناً فكان يرمقها بنظرات الحب الاولية الصادرة من القلب ومن كل الحواس. واما هي فكانت ترمقه بنظرات الاستئناس بنباهته والاعجاب بجماله لا بنظرات حب وعشق كما كان يرغب. حتى اذا تزوجت خامره بلال البال وانقباض النفس فعمد الى الخلوة بنفسه في اكثر اوقاته بين المشاهد المتنوعة والمناظر المختلفة ليطلب من عرائس الطبيعة ان تمحي صورتها من ذهنه لكنها ما كانت الا لتزيدها تمكنا فهاج فيه التذكار والشوق مرةً حتى ترنحت قريحته بالشعر فنظم فيها قصيدته الاولى بين الوهاد والجبال وعنوانها « الفسكر » وكان وقتئذٍ دون الخامسة عشرة من العمر.

وانتقل سنة ١٨٠٥ الى مدرسة كامبريدج الشهيرة فاشتهر فيها بالنباهة والذكاء وبشدة الميل الى الانشاء ونظم الشعر ولم يخضع لقانون او لنظام بل كان يسرق ويتلف ويأتي بكل ضرب من ضروب الهزل واللعب. وكان مع ذلك منظر الهجس والتفكر مبرقعاً وجهه على الدوام فكان اذا نظر الى شيءٍ يثبت عليه نظر المتعجب المنتقد وكان يتوقع زوال الانقباض الذي كان يشعر به في اكثر اوقاته بنظمه بعض القصائد الرنانة التي جمعها في كتاب سماه « ساعات الفراغ » وطبع سنة ١٨٠٧ بخروجه من المدرسة. فاطنبت الجرائد في مدحه وتواردت عليه التقاريظ من ارباب الصحف والاقلام الا ان جريدة ادنبورج صوّبت عليه اسنة الانتقاد فكان ذلك داعياً الى الاخذ بثاره ومحركاً اجهد قواه الى نظم درر المعاني واستخراجها من بحار البلاغة والبيان حتى نشر

قصائد هجاء بعنوان شعراء الانكليز والمنتقدون الاسكوتلانديون . فكان لهذا الهجاء رنة واهتمام في كافة انحاء لوندن وهكذا نال بيرون اربه وأخذ بثاره ولم يترك لهجاء تلك الجريدة ادنى اثر في النفوس

ومما ينكر عليه انه مع ما كان عليه من سمو العقل وغزارة المعارف وكثرة التصورات السامية لم يكن قادراً على لجم شهواته ومطامعه فانه ولم يبلغ سن الرشد الا وكان مديوناً بنحو عشرة الاف ليرا رغماً عما كان يتولى عليه من دخل تركة عمه .

وبالجملة فانه كان يتدرج من صغره مدارج الخلاعة ويترقى مراقي النباهة حتى بلغ فيهما الغاية القصوى

وما جاءت سنة ١٨٠٩ الا وكان يمضي اكثر اوقاته وهو غائب عن وجوده وشارد عن حاله حتى اشتدت به تلك الازمة واخذ الضيق بصدره كل مأخذ . فهم لان يتنفس من بلاد غير بلاده وان يرى عجائب حقائق الخليقه فطاف في جنوبي اوروبا ومرّ بمالطه ووصل الى القسطنطنيه ومنها الى ازمير ثم عاد الى انكلترا بعد سياحة عامين والقى في البرلمان خطابا انيقاً اطنب الكل على مدحه والاعجاب به . ثم نشر القصائد الرنانة التي نظمها في سياحته بعنوان تشيلد هارولد (اخبار قاصر) فانتشر انتشاراً غريباً وتواردت عليه التهاني من الرجال العظام ومن حسان النساء فقال في ذلك قوله المأثور وهو ! « ما طلع عليّ الصباح الا وانا من اشهر شعراء الانكليز » واعقب وقتئذٍ تلك القصائد باربع روايات كان انتشارها مزيداً في شهرته .

ثم طلب ان يتزوج بفتاة جميلة ذات ثروة وافرة وابنة عائلة كريمة

فرفضته بادئ بدء ولكنه مابرح عن مكاتبتها حتى اختلب لبها بسحر معانيه فاظهرت له الرضاء والطاعة واقترن بها سنة ١٨١٥ وعمره ٢٧ سنة وعمرها ٢٣ سنة . ولم يمض عام وبضع اشهر من زواجه حتى نفدت ثروته وثروة زوجته معاً فهجرته الى بيت ابيها بعد ان رزقت منه ابنة . فكتب اليها ان تعود اليه فابى ابوها وطلب انفصاله عنها انفصالاً شرعياً فرفض اولاً ثم قبل مكرهاً اذ تهدده بالشكوى الى الحكومة وشرعت بعض الجرائد تسلقه بالسنة حداد لاسباب زواجه فلم يفتها في ذلك من وجوه الانتقاد مافاتها منه شاعراً كبيراً . وهكذا بدأت الامور تتعسر في وجهه حتى كادت روحه تزهق فباع لبعض المطابع رواية الباريسية ومجموعة قصائد من غرر اشعاره نظمها مدفوعاً لها بعوامل اليأس اذ وجه بها الخطاب مودعاً زوجته وابنته ثم طاف على وجهه نازحاً الى الابد عن بلاده

فاختار اولاً قضاء فصل الصيف على ساحل بحيرة جنيوه فأمه في تلك العزله بعض شعراء اوروبا وهنالك نظم القسم الثالث من تشيلد هارولد في ٤٨ ساعة بين الخضرة والجبال والماء . ويروي انه بينما كان يسير في تلك الانحاء مع صديق له ترويحاً لكربه اوغلا في المسير حتي وصلا الى غاب ملتف الاشجار غصونها يابسة واوراقها ناشفة عارية عن الحياة فتلبث في سيره وقال لصديقه . انظر الى هذا الغاب فهو يمثل حال عائلتي وهيئتي . وبقي في سويسرا الى سنة ١٨١٦ ثم نزع عنها الى البندقية وهنالك تهافتت عليه زمرة من حسان البلاد اللواتي سمعن بشهرته فاجتمعن عليه واخذ يسحب معهن مطارف الافراح وينظم القصائد البديعة مع اجتلاء الراح وقد انتهز من مخالب

تلك المعيشة بعض الوقت لتأليف رواياته الشهيرة مانفريد ، بيبو ، مازيبا وبدأ بالرواية الشيطانية الشهيرة بدون جيان .

وما زال يتمادى في تلك البلدة بالتهتك والخلاعة حتى تقابل في سنة ١٨١٩ بفتاة رومانية الاصل ذات جمال بارع باهر لم تتجاوز التاسعة عشر من العمر كانت ترافق شيخاً هرماً اقترنت به طمعاً بماله . فلما رأت بيرون لاول مرة افتتنت بطلعته وعلق هويها ايضاً وجنح الى مغازلتها فناغاتها وترك محظياته لاجلها وصار يحتلي بها ما استطاعا الى ذلك سبيلاً حتى افتضح امرهما فهرب الشيخ بزوجته من وجه فاتنها الى راڤين بايتاليا . ولكن لم يزدها البعاد الا ميلا اليه وتمادياً في الكلف والتفكر به حتى اعتراها النحول والهزال فكتبت لبيرون تستدعيه اليها فلبى طلبها مسرعاً ولما تماثلت الى الصحة هربت معه فاقتفى اثرها زوجها واهلها ولما كلموها في تركه لم تعد تعقل ولا تع ولا تصغ لقول ولا لنصح فاخذوها عنوة ثم مرضت من جراء ذلك حتى دنت من حياض الموت ولكن لم يخف على اهلها الدواء الناجع لها فاضطروا هم والزوج ان يلجأوا الى بيرون يستعطفونه بعيادة المريضة فما رأته حتى انبعث لها نور الحياة من انوار بهاءه وبقي تحت سماء بيتها بين ذويها . حتى اذا شفيت تماما هجرت الشيخ زوجها وانفردت بحبيبها يتنقلان من مكان الى مكان وقد اشتهر حبهما حتى صار مثلاً . وكان يرى بيرون من جمال وجهها وميض برق يهديه الى استكشاف حقائق كانت غامضة عليه الى ذلك الوقت فنظم فيها قصائده العجيبه الرنانه البالغة اسمى درجات الابداع والتصور . وألف اثناء انعزاله بها روايات عدة منها مارينو مها فالوريو ما الفوسكاري وقابين واسرار السماء والارض

ثم اتم رواية دون جيان الشهيرة (وهذه الرواية تمثل حالته ومعيشته)

ولما ثارت اليونان تطلب استقلالها عمد الى تغيير المنهج الذي سار فيه الى ذلك الحين فاتحد مع الجمعية اليونانيه بلوندرا وامد اليونان بالذخائر والنفقات التي كانت ترسل له ووعدهم بالزيادة. وروي بعضهم انه كان يسعى ليجعل نفسه ملكاً عليهم. ولكن المنية عاجلته في مدينة مسيولنجي من بلاد اليونان وهو في السابع والثلاثين من عمره. فحزنت عليه تلك البلاد حزناً عظيماً لما كان له من الايدي البيضاء عليها ولما بذله من المساعدة في سبيل استقلالها وحنط جسده وحفظ مدة ١٢ يوماً في كنيسة القديس نيقولا بين ضريحي البطلين اليونانيين العظيمين نورمان ومارك بواتزاريس. ثم ارسل الى لوندرا ودفن بجانب والدته. وقد بكته معشوقته بعد وفاته وذرفت عليه دمعه الثكلى ونشرت مؤلفاً عنوانه (تذكراتي الى اللورد بيرون) اسهبت فيه الشرح عن الايام التي قضتها معه واوضحت لاي حد كان كلامه مهيجاً مؤثراً في القلوب وخصوصاً في قلوب النساء والشبان وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية فكان الاقبال عليه عظيماً

وقال عنه بعض المؤلفين انه يندر ان يوجد شاب استوفى حظ الشباب مثله. او شاعراً جاهد في الفكر وفي الخلاعة جهاداً عظيماً مثله. وهو معروف بالشاعر المتهتك. نمت فيه قوة الذكاء لحد ان كاد يكشف حجب الضمائر ويهتك اسرار السرائر. فمال الى استبدال مرثيات الاعصر الخاليه بعجائب عصره. وكانت اشعاره وكتاباته واقواله درر وغرر مرقصه مطربه محزنه مبكيه ذات معان مبتكرة مؤثرة بنوع اخص في قلوب الشبان والنساء. وقد

ترجمت اكثرها الى اللغات الاوروبيه :

« والتر سكوت »

« Walter Scott »

هو الروائي الكبير والشاعر الاسكوتلاندي الشهير ولد سنة ١٧٧١ في بيت كريم من مدينة ايدنبرج . وكان في صغره مثل نيوتون لم يمتز بشيء من الذكاء والنباهة . وكان ضعيف البنية نحيف الجسم حتى خيف عليه من السل الرئوي فأرسل وهو في السنة الثانية عشرة من عمره الى الخلاء فلازم الفراش مدة في بيت احد اقاربه ثم عكف على قتل الوقت بمطالعة ما حوته مكتبة البيت من نفيس الروايات والكتب التاريخية فاخذ يدقق ويحقق في درس عوائد واخلاق الفلاحين وينظر الى المناظر الطبيعية نظرات ناقد بصير أثرت في مخيلته تأثيراً حسناً .

ولما تعافى ونما جسمه عاد الى المدرسة ففاز على اقرانه في مزية الانشاء ورغب بنوع خاص في مطالعة التاريخ ووقائعه الغريبة . ويروي عنه وقتئذ انه اشتهر بين اقرانه بالقصصي . فكان اذا تعب وتعبوا من شدة الدرس انتظموا حواليه وقت اللعب على شكل دائرة يجلس هو في منتصفها فيروي لهم احسن الفكاهات والنوادر . ثم رغب في اتخاذ صناعة المحاماة وسيلة للمعاش فقبل محامياً لدى المحاكم في سنة ١٧٩٢ وكان يبتاع بمعظم ربحه منها الكتب الادبية فيطالعها بلذة واهتمام ويقضي اكثر وقته في معاشرة الاصحاب في النوادي العلمية باحثاً مستقرياً نوادر عصره وعوائد بلاده . وللاحاطة علماً بعوائد

ونوادر البلاد الاجنبية انكب باكمله الى درس لغاتها فتعلم الفرنساوية والالمانية . ثم مال الى التجول بين الاراضي الواطئة والعالية في اسكوتلاندا ليقرأ من خلال الوهاد والجبال ما خطته يد الطبيعة ويستزيد من طباع الاهالي معرفة وفائدة لغاية في نفسه محدودة .

ورأى في تجوله عند شاطىء بحيرة كمبرلند فتاةً فرنساوية كانت تقطن مع عائلتها في تلك الجهة فمال اليها ثم اقترن بها ورزق منها ولدين وابنتين . وصار وقتئذ دخله من المحاماة غير واف بنفقاته الطائلة فجنح الى نهج خطة التأليف وشرع اولاً في نظم الشعر . فنشر عدة منظومات صادفت من الجمهور اقبالاً عظيماً فعد في وقت قريب ثاني شعراء المملكة بعد اللوردبيرون .

وادرك وقتئذ ان اعظم اسباب هذه الشهرة اجادته في محاسن الوصف والتشبيه مما استفاده من المناظر والمشاهد المتنوعة التي رسخت في مخيلته منذ صباه . وكان اعظم قصائده التي ضمنها التفنن في الوصف والتشبيه والغزل والحماسة هي قصيدة سيدة البحيرة وقد اتبعها بقصائد اخرى لم ينشرها باسمه فلم يرَ من القراء ادنى ميل اليها وآنس بعد التأمل طويلاً بعوائد بني جلدته ودرسه اطوارهم ان معظم اقبالهم انما هو بين التفكهة بقراءة الروايات المدبجة والمحلاة بالوقائع التاريخية . فاستقر عزمه وقتئذ على التأليف ونشر في سنة ١٨١٤ اول رواية وعنوانها (واڤرلي) فصادف لها نجاحاً لم يكن يؤمله لانه لم يضع اسمه عليها . لكن الانكليز عرفوا انها تأليفه فدهشوا بمبناها ومعناها وسموها الرواية السحرية واصبح لقب مؤلف واڤرلي عنواناً له . واتبعها في تلك السنه بنشر ديوان الشاعر سوفت بتسعة عشر مجلداً مع ما وضع

فيه من الشرح الطويل . ثم كتاب آخر عنوانه آثار الحدود ثم روايتين فقصيدة بديعة وصف بها واقعة واترلو الشهيرة

وانطلق بعد ذلك الى تأليف سلسلة روايات ظل في تأليفها مدة ستة عشرة سنة كاملة . ولما انتشرت استحسنها الرأي العام واجمع علماء الارض انها تحفة من تحف العصر وطرفة من طرائف القطر الذي نشأ تحت سمائه . ذلك لانها مثلت عوائد البلاد المختلفة واطوار مسندة الى الوقائع الحقيقية التاريخية أحسن تمثيل فكرر طبعها مراراً بالانكليزية وترجمت الى اللغات الاوروبية (ولخص منها الى اللغة العربية رواية قلب الاسد) وشرع مصور والعصر يصورون اكثر وقائعها ويبيعونها واقتضب منها روايات تمثيلية والف منها الموسيقيون ادواراً للغناء بها على الآلات الموسيقية حتى غدت مستودع الادب والنوادر والملح والحكم والامثال . وربح من تآليفه ربحاً وافراً حتى قدر ايراده السنوي بعشرة آلاف جنيه كان ينفق معظمها في مظاهر الابهة . فاقتنى قصراً فخيماً في ابوتسفورد وزينه بالآثار القديمة وغالي الرياش وفاخر الاساس مما لا يوجد الا في المتاحف او في قصور الملوك . وفي سنة ١٨٢٠ انعم عليه الملك جورج الرابع بلقب بارون . ونشر من سنة ١٨٢١ الى سنة ١٨٢٤ عدة روايات زادته ثروة وشهرة . وكان لسوء حظه مشتركاً في شراء القراطيس المالية مع رجل يدعى بالتين فآل حاله الى الدمار فلبث صاحب الترجمة يعامله بكرم لا يوصف حتى افتقر وشاع خبر عوزه فأخذ من قومه العجب وقال عنه الكونت دوزلى (احد عظماء المملكة) من العجب ان مؤلفاً مثل ولتر سكوت توؤل امره لهذه الحالة من العوز والاحتياج ولكنني اضمن انه اذا دفع كل فرد قراء رواياته

فارتاح لها قيمة لاتزيد عن السته بنس . فلا يصبح عليه الصباح الا وهو اغنى من روتشيلد

واقبلت عليه المصائب من ذاك العهد تترى من كل الجوانب حتي كادت تنقيه في شر المعاطب فاصيب اولاً بفقد زوجته وتبعها فقد احد اولاده غير ان صروف الحوادث لم تخمد همته عن مثابرة التأليف والعمل . بل نشر في سنة ١٨٢٧ تاريخ نابوليون الاول في تسعة مجلدات وكرر طبع رواياته بعد ان اصلح فيها كثيراً فنال من المال مبلغاً وافراً وفى منه جانباً عظيماً من ديونه مما جعله مثالاً للنزاهة وشرف النفس

وانكف عن الاعمال مضطراً في سنة ١٨٣١ حيث اصيب بفالج في جسمه فانحطت قواه الجسدية واشتدت عليه العلة فاشار عليه الاطباء بتبديل الهواء في الاماكن الحارة فخصصت له الحكومة مركباً يقله الى مالطه فنابولي فروما . واشتدعليه في البحر الداء فعاد به المركب الى انجلترا وهو غائب عن الرشد فنقلوه الى قصره وذلك في الحادي عشر من شهر يوليو سنة ١٨٣٢ وهناك تنبهت كل حواسه تنبهاً زائدا برؤية قصره العزيز واشجاره التي غرسها بيده وكتبه وتأليفه فهتف بكل قواه هتاف الفرح . وظل طريح الفراش حتي اهتصرته المنون وهو بين اولاده وذويه في اليوم الثاني من سبتمبر سنة ١٨٣٢ ودفن بكل تجله واكرام في مدفن والدته في كنيسة دريبرج وقد اقيم له في مدينة ايدمبرج قبه جليله عليها تمثاله . وكان لنعاه رنة حزن واسف في اوروبا قاطبة وفي قلب كل من قراء رواياته وارتشف من بحار ادابه

ومما يروي عنه انه كان اكثر الناس حرصاً على الوقت يفتخر بكونه كثير

العمل ويقول ان القوى العقلية تقوي بتعاطي الاعمال وان افضل معارف الانسان ما اكتسبه بنفسه . وقد اتخذت حياته ومؤلفاته العديدة المتباينة المطالب مثالاً للمواظبة .

« اللورد الفرد تنسون »

« Lord Tennyson »

نابغة من شعراء الانكليز المحدثين ولد سنة ١٨١٠ في مدينة سومرسباي من مقاطعة لنكولن . من بيت كريم ولما بدأ يتلقى مبادئ العلوم أولع بالشعر فنظمه حديثا وحاز فيه قصب السبق على اقرانه في مدرسة كمبريدج ونشر في سنة ١٨٢٩ قصيدة تمبكتوا وقد اشتهرت كثيراً . ثم زاول بعد تركه المدرسة نظم الشعر فنشر في سنه ١٨٣٠ مجموعة اقتطفها من قصائده الكثيرة الا انها لم تكسبه الشهرة التي كان يتمناها فاوجس وقتئذ ان تحط من قدره او تحول دون مرامه فاخذ يفرغ جهده ويقدح فكره لاستخراج درر المعاني النفيسة من بحار البلاغة وجمع في مجلدين كبيرين اقواله ونشرهما سنة ١٨٤٢ فنال بهما ما كان يتمناه من الشهرة وبعد الصيت . وكان يلتهب بالتصور والفكر فزاول النظم حتى صار شعره طبيعياً في لفظه ومعانيه وكانت اكثر قصائده التغزل بالطبيعة ومناظرها وقد عظمت هذه القصائد قدره ورفعت شأنه ونال بعد زيارة الملكة له في سنة ١٨٥١ لقب شاعر المملكة وهكذا احرز من شعره الشهرة فصار يعد من مشاهير رجال الارض وذوي الثروة وقد بلغ ايراده من بيع قصائده نحو عشرة آلاف جنيه في السنة ونال معاشاً من الحكومه الانكليزية حتى توفي في ١٨٩٢

ومما يروي عنه انه كان يميل جهده الى العزلة والانفراد حيث تتجلى بنات افكاره فيزفها لقومه

ويحكى انه هرب يوما من غوغاء المدينة وزحامها الى قرية واخذ يسير في عرض الفلوات بين المناظر الطبيعيه لا سمير له سوى فكره وظل على ذلك زمنا حتى حير امره سكان القرية . فقال بعضهم انه تنسون الشاعر فرغب الكل وقتئذ ان يتأكدوا ذلك واغروا فتاة في العاشرة من عمرها واطمعوها في شلن اذا تعرضت لسؤاله عن اسمه فوعدتهم بذلك ولما رأته لاول مرة سألته هل انت الشاعر تنسون فسألها عن سبب سؤالها فاوضحت له سر الامر من رغبتها في الشلن فضمها الى صدره وقبلها واخرج شلناً واعطاه لها قائلا هو انا ذا فاسرعي وخذي الشلن الذي وعدت به وقد نظم في عزلته هذه قصيدته الشهيرة التي رثا بها ولتون وقصيدة الاميره وهي من ابدع قصائده وابعدها شهرة

« ماكولي »

« Macaulay »

اشهر مؤرخي الانكليز ولد سنة ١٨٠٠ من عائلة كريمة وربي في بيت والده احسن تربية ونشأ من صغره ميالا الى التاريخ والروايات ونال في الثامنة عشرة من عمره شهادة الدراسة النهائية من مدرسة كمبريدج ولما غادر المدرسة شرع يفتح المجلات العلمية بالمقالات التاريخية التي اذاعت شهرته ثمَّ عكف على درس الحقوق وزاول فن المحاماة فاشتهر بطلاقة لسانه وقوة حجته وبرهانه وعلى ذلك استنابته مدينة ايدنبورج نائباً عنها في البرلمان فكان يخطب من وقت لآخر الخطب البليغة

وارسل في سنة ١٨٣٤ الى الهند براتبٍ كبير وكلف أن يضع قانوناً وافياً للاحكام فدبج يراعه في اقرب وقت اشتات قانون غير انه لم يطلع عليه الانكليز في الهند حتى نبذوه لان اكثر مواده كانت تقضي عليهم بان يكونوا على قدم المساواة مع الهنود وغيرهم من الاجناس المختلفة التي كانت تقدم تلك البلاد على ان هذا القانون وان لم يعمل به فقد كان مثالاً للانشاء البليغ واكبر دليل على فضل واضعه واجتهاده

ومن ثمَّ وجد امامه ماكولي مجالاً رحباً للشهرة فنشر عند عودته من الهند مجموعة اخبار منسوقة عن تاريخ تلك البلاد تضمنت سيرة ابطال الانكليز الذين وطّدوا دعائم حكومتهم فيها .

واتخذه اللورد ملبورن في سنة ١٨٤٠ كاتماً لاسراره . وزاول من ذلك العهد

الانشاء وظلت بنات افكاره الفتانة تواصل طي التأليف بنشر الحوادث التاريخية حتى نشر في سنة ١٨٤٨ اعظم مؤلف عن تاريخ انكلترا صادف قبولاً عظيماً واحله الانكليز محلاً رفيعاً فعين عضواً للتاريخ في الجمعية الملوكية وذلك في سنة ١٨٥٠ وكانت العلة قد الفت جسمه فاعادت مع ذلك مدينة ايدنبورج انتخابه للنيابة عنها في البرلمان فزاول على الحضور حتى رقته الملكة في سنة ١٨٥٨ الى رتبة الاشراف وتحته بلقب لورد لكنه لم يهنأ بهذا الانعام اذ توفي في السنه الثانيه ودفن في وستمنستر مدفن العظماء .

ومن صفاته انه كان حلو الفكاهة والحديث سريع البادرة اشتهر بما كان له من المواظبة والتجلد على الاشغال وكان كثير النقد في كل اعماله واقواله وكتاباته فما كان يكتب شيئاً الا بعد تروٍ وتحقيق وقد قال اللوود ملبورن بهذا الصدد . اريد ان اكون واثقاً من شيءٍ واحد ثقة ما كولي بكل الاشياء . وفي تصفح تآليفه دليل كافٍ على منزلته وقيل لم ينشرها الا بعد ان احيا الليالي الطويلة بالدرس والمطالعة . وكان اذا اراد ان يستشهد ببعض المؤرخين قبله يبدأ بان يعرف قدر ذلك المؤلف ومقامه من العلم وما يمكن ان يكون ارتكبه في اقواله من الغلط عن اهمال او عن غرض .

وله ايضاً شهرة بطلاوة الكتابة والانشا وفي نسق الحوادث وسردها وقد يرتاح المطالع لمؤلفاته بما تتضمن من كثرة الشواهد والنوادر بحيث لا يبدأ في اولها الا وهو يرغب في الوصول الى نهايتها وتاريخه لا يزال يرجع اليه المؤرخون وقد ترجم الى اكثر اللغات

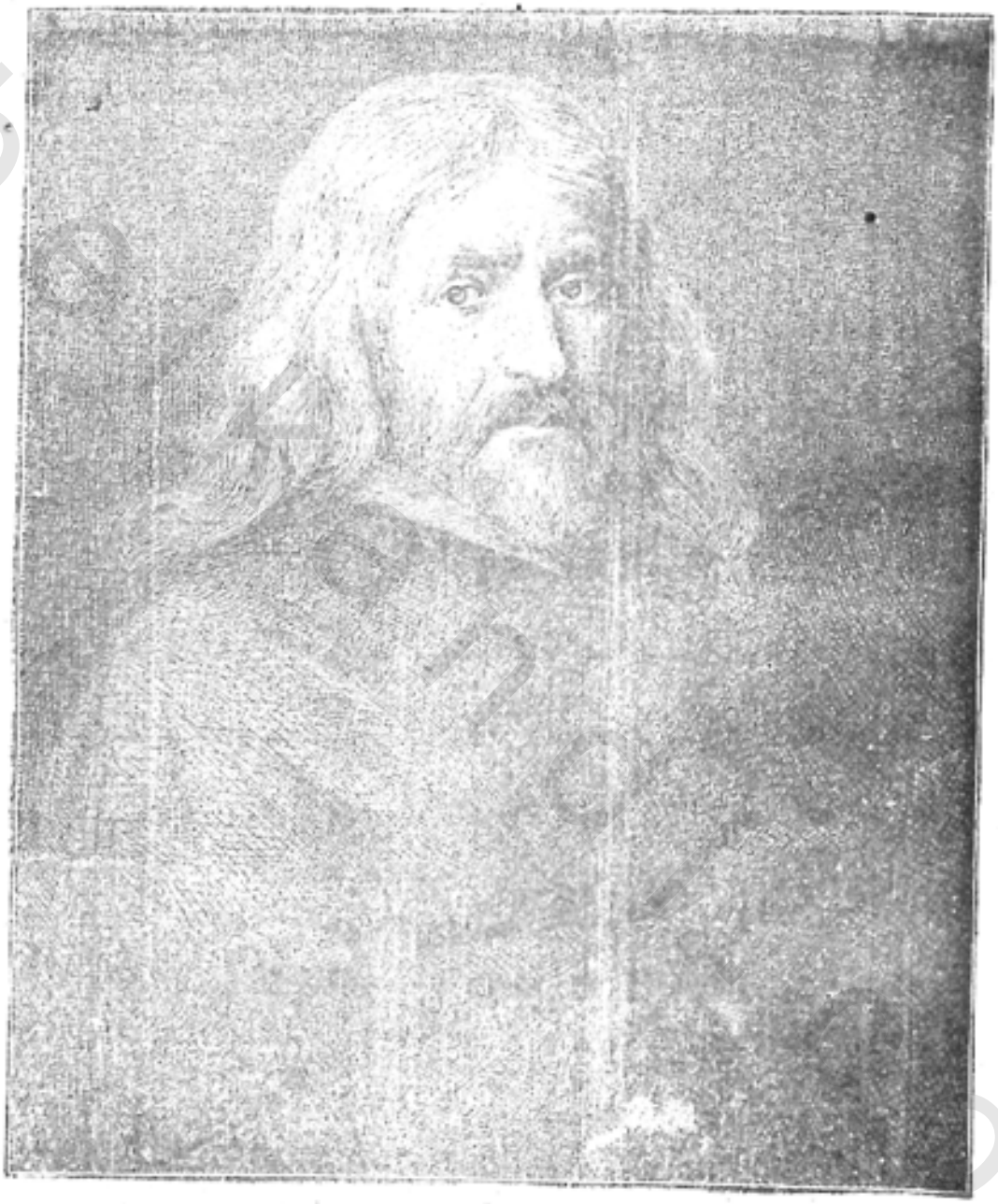

وليم هرڤي

« الطبيب وليم هارفي »

« Doctor Harvy »

من نطس اطباء الانكليز الذين كشفوا القناع عن الغوامض الفسيولوجية

ولد سنة ١٥٧٨ في عمالة كنت ودرس في اشهر مدارس ايطاليا وتخرج في المنطق والفلسفة الطبيعية من مدرسة كمبريدج الطبية ثم تعاطى صناعة الطب في لندن واشتهر امره فعين طبيباً لمستشفى ماري برثلماوس ثم مدرساً في مدرسة الاطباء . وعكف بعد ذلك على درس الحقائق الطبيعية بالتجربة والامتحان فزاول على البحث والتنقيب ولم يكتف بالاعتماد على الاراء وقد أدى به ذلك الى اكتشاف الدورة الدموية في الانسان والحيوان الا انه لم يذع امر هذا الاكتشاف العظيم حتى قام الجدال بسببه بين الاطباء على قدم وساق فتابعه البعض وخالفه البعض الاخر واخيراً سلم بارائه الذين كانوا يخطئونه واعتمدت عليها ايضامدارس اوروبا الطبية . وبني عليها علم الفسيولوجيا وهو من اعظم العلوم واهمها

وقد طبقت شهرته الآفاق فعين طبيبا لجمس الاول ولخلفه تشارلز الاول وحضر الحرب الاهلية التي شبت وقتئذ وانحاز الى حزب الملك .

ولما انطفأت نار الحرب آوى الى بيته فى سرى وعكف على البحث والتنقيب عن الحقائق الطبيعية وقد امه في عزلته هذه صديقه الدكتور رانت ونال منه بعد الالحاح الشديد الاذن بطبع كتابه الكبير في تولد الحيوان وقد انتشر هذا المؤلف انتشاراً عظيما وعده العلماء اعظم ماظهر في بابه بالنسبة لزمانه .

وقد بحث هذا الطبيب كثيراً في طبائع الحيوانات فاثبت ان كل حيّ تولد من بيضة . وكان كريما يمد المدارس الطبية بالمال توفي في سنة ١٦٥٧ بعد ان اوصى بماله للارامل والايتام ولبيوت العلم والمستشفيات . فاتخذت حياته قدوة لغيره وتحدث الكل بفضله ومآثره

« الطبيب ادوارد جانر »

« Edward Jenner »

هو الطبيب الشهير مكتشف تطعيم الجدري . ولد في السابع عشر من شهر مايو سنة ١٧٤٩ في مدينة بركلي بانكلترا . ونشأ من صغره ميالا للطب فلما اتم دروسه دخل المدارس الطبيه ثم رغب في اتقان الجراحة فزاول درسها على الاستاذ هنتر الفسيولوجي الشهير الى سنة ١٧٧٢ ومارس بعد ذلك صناعته في بلدته الى سنة ١٧٧٥

وقد عنَّ له لمجرَّد سمعه بان الذي يصاب بجدري البقر يسلم من الجدري العادي ان يراقب هذا الامر ويبحث بحثاً مدققاً عن علاجٍ واقٍ من الجدري وقد كثرت به الاصابات وقتئذ ففتك بالعباد فتكا ذريعا فقضى لذلك عشرين عاماً في الابحاث والتجارب حتى تيسر له الوصول الى طريقة التطعيم فطعم ابنه اولا ثم اذاع اكتشافه هذا في رسالة ذكر فيها انه طعم عشرين شخصاً بجدري البقر فلم يعد ممكناً للجدري العادي ان يصيبهم لا بالمخالطه ولا بالتلقيح ورغب بعد ذلك تعميم التطعيم ولكنه لاقي كغيره من المكتشفين المصاعب الكثيرة وقام ضده خصوم كثيرون نسبوا اليه اموراً كثيرة لم تكن لتثني عزمه بل ظلَّ يقاوم الاضداد ويمارس التطعيم ويجربه حتى ادركت الحكومة الانكليزية الفوائد العظيمة التي افاد بها هذا الطبيب النوع الانساني وقدرته حق قدره فكافأته بنحو ثلاثين الف جنيه ثم احتفلت بدفنه في سنة ١٨٢٣ ونصبت تمثاله في ساحة ترافلغار تخليداً لذكره

« دارون »

« Darwin »

هو النطاسي الطبيعي صاحب مذهب النشوء والارتقاء . وهو الدكتور تشارلز روبرت دارون ابن الطبيب روبرت وليم دارون . ولد في مدينة شروزبري سنة ١٨٠٩ وتلقى مبادئ العلوم في مدرستها . ولما يقع انتقل الى مدرسة ادنبرو ومنها الى كلية كمبريدج الشهيرة فربي أحسن تربية . وكان ميالا الى العلوم الطبيعية فنبغ فيها وعُدَّ من علماء التاريخ الطبيعي قبل ان يناهز الثانية والعشرين من العمر ومنح في سنة ١٨٣١ شهادة الطب وطلب في في خريف تلك السنة من القبطان فيتزوري ان يستصحبه معه في سياحته حول الكرة الارضية فاجابه لسؤله وعرَّجا في سفرهما فاحصين اكثر شواطئ امريكا الجنوبية والجزائر الاقيانوسية واوستراليا ولبثا في هذه السياحة خمس سنوات قاسى فيها دارون من هول البحار ومشاق الاسفار ما انهك قواه وعبث بصحته .

وكان قبل سفره ساذجاً بسيطاً يسلم كغيره بامور كثيرة فعاد يتوقد بالاراء الاصيلة ولكنه حذر من اذاعتها فخبأها في صدره لمستقبل الايام . ثم نشر تاريخ سياحته ودوَّن في الجزء الثالث الاكتشافات الجيولوجية وما يتعلق بالتاريخ الطبيعي . وعكف بعد ذلك على التأليف فنشر في سنة ١٨٤٢ مؤلفه في تركيب الصخور المرجانية واتبعه بغيره عن جيولوجيا الجزائر البركانية ثم أعقب هذين المؤلفين بثالث عن جيولوجيا امريكا الجنوبية فرفعت هذه

داروِن

التآليف شأنه بين اهل العلم ونفحته الجمعية الجيولوجيه سنة ١٨٥٩ بنيشان ولاستن وكافأته الجمعيه الملوكية بنيشان الامتياز وصادق كثيرين من العلماء الاعلام الذين نبغوا وقتئذٍ ثمَّ اقترن باحدى نسيباته وهجر لوندن اذ رأى ان هواءها يضر بصحته وآوى الى قرية دون من مقاطعة كنت حيث انقطع فيها عن العالم الى المطالعة والتأليف

وشرع منذ سنة ١٨٣٧ يعلّق ما يعن له من الافكار والملاحظات بشأن مذهبه في « اصل الانواع » وكان في عزلته لا يألو جهداً ولا يفتر عن اتخاذ الوسائل اللازمة للتوصل الى حقائق الامور وادراك كنهها فقضى نحواً من اثنين وعشرين سنة يتعهد تأليفه في اصل الانواع وقد حاول ان ينسب فيه بالاختبار اختلاف معيشة الجنس البشري على سطح الكرة الارضية الى الترقي الدائم بدون اسباب خلقية نظراً لما بين الكائنات الحية من العلائق الفسيولوجية .

ولما نشر هذا التأليف نفدت الطبعة الاولى كلها حال خروجها من المطبعة فأعيد طبعه مراراً وترجم حالاً الى اللغات الاوروبية ولكنه اثار غضب اهل الدين فقاموا عليه يداً واحدة وتجردت اكثر الجرائد لمناصبته ومعارضته وكان الاستاذ هكسلي الشهير اكبر المتصرين له بيد أن ثورة هذا الجدال لم تطل حتى سكن كل ثائر ضده وتابعه على رأيه كثير من علماء المشرق والمغرب

وفي سنة ١٨٧١ اذاع تماماً مذهبه في تسلسل الانسان فجاء متمماً لمذهبه في اصل الانواع وقد قرَّر فيه بان الانسان نشأ مترقياً من نوع من أنواع

القرود لا وجود له الان وظلّ يتدرج في الترقي حتى وصل الى حالته الحاضرة فثار عليه عند اذاعته له علماء الدين وقام الجدال بسببه على قدم وساق ودافع عنه الاستاذ هكسلي برسالة سماها « قبول اصل الانواع » فأيّد فيها هذا المذهب تأييداً سلم به الكثير وصار الطبيعيون يتخذونه دليلاً لهم في الابحاث والمطالب ونبراساً يبدد امامهم جيوش الغياهب عن محيّا الحقائق العلمية والمشاكل الطبيعية على ان حرب الجدال في تأييده ونفيه لا تزال الى يومنا هذا تخمد نارها حيناً وتحتدم احيانا . وقد قالت سيدة انكليزية لداروين ان اليوم الذي يتأيد فيه مذهبك هذا ينقض بنيان الفضيلة في العالم .

وقد احرز داروين بمؤلفاته وآرائه شهرة عظيمة فنال الوسامات العلمية وانتخب عضواً لاكثر الجمعيات الانكليزية وقد كان قدوة في الجلد والصبر لم يأخذه الملل من التأليف مع اعتلال صحته وتحامل الاخصام عليه فوضع عشرين كتاباً بحث فيها عن مسائل علمية ذات شان خلا ما اتحف به الجرائد العلمية من المقالات الرنانة التي يستغرق فهرسها وحده نحواً من خمسة عشر صفحة ...

وقد وضعت الحكومة الانكليزية في سنة ١٨٩١ تخليداً لذكره نيشاناً باسمه رسمت على وجه من وجهيه رسمه وعلى الوجه الآخر رسم اكليل مضفور من أشهر النباتات التي بحث فيها وفي وسط الاكليل اسمه وسنة وفاته

والحكومة تزين بهذا النيشان صدور العلماء الذين يمتازون بعلم او اكتشاف .

سفراء انكلترا

وقد اشتهرت انكلترا بسفرائها الذين تنتدبهم للنيابة عنها في العواصم الاوروبية وبمندوبيها في المؤتمرات الدولية الكبيرة . وهم لا ينتخبون لهذه المناصب الا بعد ان يتقلبوا في المراتب الادارية والسياسية فيتميزوا بسعة الاطلاع وسمو المدارك والدهاء السياسي ولا تكتفي حكومتهم بانتخابهم من اعاظم رجالها بل توسع عليهم الرزق حتى يتمكنوا من صرف همتهم الى خدمة بلادهم ولذلك تراهم اينما حلوا حاولوا جرّ المغنم لها . وهذا سر النجاح في السياسة الانكليزية الخارجية والسبب الاعظم في بسطة نفوذها في انحاء العالم

وقد اشتهر من هؤلاء السفراء :

« اللورد دوفرن »

« Lord Dufferin »

وهو سفير انكلترا في باريس واعلا سفراء الارض مقاما واشهرهم ذكرا وأكثرهم خبرة . ناب عن حكومته في عواصم كثيرة اهمها الاستانة وروما وتقلب في المناصب الادارية فحكم الهند وكندا باصالة رأي وخبرة لامثيل لهما . واشتهر ايضاً بحل المشاكل السياسية الكثيرة في عدة مؤتمرات دولية انتدبته لها حكومته منها مؤتمر سنة ١٨٦٠ الذي التأم للنظر في احوال سوريا وكان وقتئذ اكبر رجاله فقرر عزلة جبل لبنان واختط نظامه السياسي وحال دون مطامع فرنسا ومنعها من الاستيلاء على تلك البلاد بلا حرب ولا تعب.

وانتدب بعد الثورة العرابية للنظر في شؤون القطر المصري فارتأى أمورا كثيرة تقررت كلها لخير مصر . وانتدب ايضاً للنظر في احوال بعض المستعمرات الانكليزية فاجاد في كل ما ارتأى وعملت الحكومة بارائه ومشورته وقد اشتهر بصدقه في السياسة كما اشتهر بالنظر البعيد والعزم الشديد .

« اللورد كرومر »

« Lord Cromer »

هو افلن بارنغ معتمد انكلترا السياسي ووكيلها بالقطر المصري من سلالة عائلة بارنغ العريقه بالشرف والقدمية وصاحبة البنك الشهير باسمها

ولد بمدينة لوندرا في سنة ١٨٤٠ ونشأ منذ نعومة اظفاره في مهد العلم والادب وربي في المدارس الابتدائية احسن تربية وتهذّب اكمل تهذيب وبدا منه الميل الى الجندية صغيراً فارسله ابوه الى مدرسة ووليش الحربية وهو في الثالثة عشرة من عمره فظلّ يتلقى علومها بنشاط واجتهاد حتى الثامنة عشرة فالحق بالجيش وخدم في المدفعية اثنتي عشرة سنة ببسالة واقدام استحق عليهما الحمد والثناء .

وفي اوائل سنة ١٨٦٠ عين مساعداً للسير ستوركس والي جزيرة كورفو اذ كانت يومئذٍ تحت ولاية انكلترا ثم تبعه الى جزيرة جمايكا (في جنوب امريكا) لفصل مشكل سياسي واخماد فتنةٍ كانت ثارت وقتئذٍ وتفرّغ عند عودته من هذه البلاد لدرس الفنون العسكرية ليعد نفسه الى مايؤهله الى الحروب الكبيرة

ولما انتشبت نيران الحرب في سنة ١٨٧٠ بين المانيا وفرنسا انتظم في خدمة الجيش الالماني وترجم كتاب « لعب الحرب » من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية وهو يشمل وصف الوقائع والحوادث التي اتاها وقتئذٍ الالمانيون .

وفي سنة ١٨٧٣ انتدبت حكومة انكلترا عمه اللورد جورج اوف نرثبرك حاكماً للهند فاستصحبه معه سكرتيراً له واخذ يدربه على السياسة ويثقفه بطرقها واعمالها حتى اصبح يركن اليه في اهم الاعمال ويستشيره في اكثر المسائل ولذلك اعده في وقت قريب الى المناصب السياسية الكبرى .

ومن ذلك العهد اخذ يترقى الى ذرى المجد ويصعد الى مدارج الرئاسة فعين في سنة ١٨٧٦ مندوباً من حكومته للنظر في الدين المصري ثم عين عضواً في صندوق الدين وقد اظهر اثناء تبوئه هذا المنصب الخبرة التامة واصالة الرأي ثم انتدب للنظر في مالية الهند وكانت احوالها وقتئذ مختلة فاخذ باصلاحها واظهر من التفنن في الادارة والاقتصاد مدة ثلاث سنوات ما حول اليه انظار حكومته فادّخرته في مصاف ذوي العزائم الكبيرة لمستقبل الايام .

ولما احتلت انكلترا مصر بعد واقعة التل الكبير وبدأت في اصلاحها عينت صاحب الترجمة والمسيو ادجار فنسان والكولونيل مونكريف والسير افلن وود كل واحد منهم لاصلاح عمل من فروع الادارة ولا يخفى ان مصر ظلت بعد الثورة العرابية بضع سنين على حالة عظمى من الضنك فلما رأت انكلترا ذلك استقدمت اليها مندوبيها الثلاثة وابقت صاحب الترجمة وجعلته معتمدها السياسي واطلقت يده لتصريف الاحوال في الديار المصرية كما يستصوب فاخذ يعين في المناصب الخطيرة من يعهد بهم الكفاءة والاهلية من كبار الانكليز وباشر العظائم باشد العزائم . وقد مضى على احتلال الانكليز لمصر مدة سبعة عشر عاماً اتوا فيها من امور الاصلاح ما يعجز عنها سواهم

فالغوا النخاسة والعونة واصلحوا الري في انحاء البلاد ونظموا السجون واكثروا من السكك الحديدية واصلحوا شؤون الجيش وخففوا الضرائب ونظموا المالية واصلحوا ادارات الحكومة وبثوا الامن والطمأنينة فصارت مصر تسير في مضمار الحضارة يوماً فيوماً حتى ان من زارها منذ سنين وعاد اليها في هذه الايام لايكاد يتبينها ويعجب بسرعة تقدمها اذ يراها والعمران آخذ في كل اطرافها والنمو مندفع في جميع اعضائها وفيها من حركة الاعمال مايضاهي اكبر العواصم الاوربية .

كل هذا التقدم والاصلاح ناطق بان اللورد كرومر هو منبت غرسه وضع يمينه وتاريخ الاعوام السبعة عشر التي مرت على مصر وهي راقية مراقي النجاح متصل بتاريخ سبعة عشر عاماً من تاريخ حياته اذ انه لم يتم عمل الا باشارته ولم يكن اصلاح الا بغاية فهو قد كان سياسيا نفع حكومته واداريا نفع مصر والانكليز في مصر والحكومة المصرية يعملان باشارته وحكومته في انكلترا تعمل بارائه

وقد وصفه احد كبار الانكليز في خطبة له عن مصر فقال :

ليس اللورد كرومر من الفراعنة ولكنه اتى اعمالا في مصر تفوق اعمال رمسيس الاكبر وستكون هذه الاعمال اعظم منفعة واعم فائدة على مصر من اعمال الفراعنة .

ورقي ابان خدمته في مصر الى مرتبة الاشراف ونال لقب لورد كرومر (نسبة لبلدته الاصلية) وذلك في سنة ١٨٩٢ .

وكان اكبر المساعدين على استرجاع السودان بل اول العاملين بفتح هذا

السودان لتكوين المملكة الافريقية التي تنوي انكلترا تكوينها في القارة الافريقية .

وهو واسع الاطلاع شديد النظر الى العواقب جرّب الدهر طويلا حتى جلله الشيب وعلمه الاختبار فصار يرى فيه الناظر له كل المهابة والوقار .

وله المام تام بالافرنسية والالمانية والتركية وميل الى مطالعة التاريخ والاشعار القديمة وحديثه لايخلو من الفكاهة والاقتباسات الشعرية والتاريخية

وهو مثال الحزم والعزم والنزاهة والنشاط رأيا وعملا ويعد من نوابغ السياسة الذين تجعلهم الحكومة الانكليزية ذخيرة لها في حل كل معضلة وفصل كل اشكال .

« واخيراً »

« يرى مطالع هذا المؤلف انني ذهبت في تأليفه مذهباً حراً وعززت »
« مواضيعه باقوال فحول المؤلفين عن عظمة انكلترا وبلوغها الشأو البعيد »
« بين دول الارض . »

« على أنه يرى أيضاً انني عمدت الى الايجاز في الكلام لما اجد في »
« الاسهاب من النصب الذي كابدت اشده حتى كدت اقف عنده « وما »
« عرف تعب التأليف الا من عاناه ولا الكتابة الا من زوالها » ولا سيما »
« في المطالب التي يبذل فيها الكاتب نور العين وراحة القلب لشد ماتقتضيه »
« من البحث والتنقيب ثم انه يرى فوق ماذكر بعض اغلاط سهوت عنها »
« وما ارتأيت التنبيه عليها الآن لانني اراني في غنى عنه بذكاء المطالعين الالباء »
« وعلى كل حال فأنا افوز بحلم القارئ من علمه . » وألجأ الى إيائه من »
« ذكائه بعد ان نفحته بما وصل اليه باعي القصير ويراعي القاصر . فان اصبت »
« المرمى فهو المراد والا فحسبي حسن القصد وبذل الجهد والسلام .

بشاره كنعان

« تم الجزء الثاني »

PART II.

I. History of Queen Victoria

II. English Gouvernment ; System Policy etc.

III. England's Debt, Income & Expenditure

IV. Agriculture, Commerce, arts & Industry — Several chapters

V. Army & Navy

VI. Manners & customs

VII. English language & Literature

VIII. British Law & Justice

IX. Newspapers, books, etc.

X. Prince of Wales

XI. Great men of England

Bishara Canaan

obeikandl.com

الدكتور جنر

CONTENTS

When I see the power of the British people increasing every day, and the progress and influence they have exerted in Egypt especially during their occupation, both as regards the Education and wealth of the Egyptian Population and their influence in every other part of the Globe, I desire to publish a book in the Arabic language containing full information about the British Nation, this subject as never having been previously dealt with in the East.

The book is divided into two Volumes:

*
* *

SUBJECTS OF THE BOOK

PART I.

I. Preface

II. Physical & Political Geography of the British Islands

III. London — Description, principal Buildings, etc.

IV. History of England down to present reign

V. British Colonies — Several chapters

VI. England in Egypt and the Seudan

VII. Great feat of England in Africa

Obeikandl.com

THE

ENGLISH WORLD

AN ARABIC WORK ON ENGLAND & THE ENGLISH

BY

BISHARA CANAAN

II. VOLUME

EMIN HINDIÉ EDITOR

CAIRO EGYPT

printing Office HINDIÉ, Mahdi Street, Ezbekieh, Cairo.

obeikandl.com